الإمام الهادي المهدي
وجهوده الدينية والاجتماعية
والاقتصادية والسياسية
(١٩٢٢ - ١٩٧٠م)

الدكتورة
بخيته الهادي عبدالرحمن

دار الجنان للنشر والتوزيع

الإمام الهادي المهدي

وجهوده الدينية والاجتماعية

والاقتصادية والسياسية

(١٩٢٢- ١٩٧٠م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٦

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٤٨٢٥ /١٠/ ٢٠١٥) مركز الايداع ٩٦٣.٠٣

الإمام الهادي المهدي

وجهوده الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية (١٩٢٢- ١٩٧٠م)

الدكتورة : جميع الحقوق محفوظة

بخيته الهادي عبد الرحمن

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ ٦ ٠٠٩٦٢ تلفاكس: ٤٦٥٩٨٩٢ ٦ ٠٠٩٦٢
- موبايل: ٧٩٥٧٤٧٤٦٠ ٠٠٩٦٢ موبايل: ٧٩٦٢٩٥٤٥٧ ٠٠٩٦٢
- هاتف السودان – الخرطوم ٩١٨٠٦٤٩٨٤ ٠٠٢٤٩
- ص .ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: dar_ jenan@yahoo.com

daraljenanbook@gmail.com

الإمام الهادي المهدي

وجهوده الدينية والاجتماعية

والاقتصادية والسياسية

(١٩٢٢-   ١٩٧٠م)

الدكتورة

بخيته الهادي عبد الرحمن



بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأحزاب، الآية (٢٣)

حديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة).

رواه مسلم

الإهداء

إلى .. المجدد الأول الإمام محمد أحمد المهدي وصحبه الأبرار.

إلي .. خليفة المهدي .. إلي أخوان المهدي محمد وعبد الله وحامد، إلي شهداء الشكابة الفاضل والبشري بقيادة الخليفة محمد شريف،إلي الخلفاء والأمراء أصحاب شعار "فلتبقي الدعوة ولتذهب الدولة".

إلى .. الشهداء الذين ضمخوا الأرض بدمائهم من اجل العقيدة والوطن إلي المجدد الثاني السيد الإمام عبد الرحمن المهدي، إلي السيد علي المهدي وابنه المناضل الفاضل علي المهدي، إلي المخطط والمنفذ الوطني السيد عبد الله الفاضل المهدي.إلي الإمام الصديق ورفاقه حماة العقيدة والوطن،إلي شهداء كيان الأنصار في كل زمان ومكان، إلي القمم الشواهق في الجزيرة أبا وود نوباوي حماة الدين والعقيدة وشهداء الحق والواجب، إلي زعماء وقادة الحركة الإسلامية بقيادة الشهيد محمد صالح عمر الذين وقفوا مع الإمام الشهيد دفاعاً عن الحق والدين، إلي القائد الاتحادي الشهيد الشريف حسين الهندي، إلي كل القادة والمؤسسات والدول الصديقة، إلي العمدة مصطفي حسن عبد الرسول وأسرته بقيادة الشهيد/ محمد أحمد مصطفي،إلي والدتي السيدة رقية عبد الله الفاضل المهدي وفاءً وإعزازاً وتقديراً،إلي أسرتي الكبيرة والصغيرة إلي زوجي عبد الجليل حسن عبد الجليل لمساندته ودعمه لإخراج هذا البحث، إلي شباب الوطن أودع هذه الرسالة، وثيقة جهاد ونضال امة وقصة استشهاد لرجل رفع شعار لا اله إلا الله.

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إخراج هذا البحث عن الإمام الهادي عبد الرحمن المهدي ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ثم الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ البروفيسور/ أحمد إبراهيم دياب على تعهده البحث بالرعاية منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح حقيقة. لقد كان لتوجيهاته وتشجيعه ومراجعاته وتصويباته الفضل الأكبر في إبراز هذا العمل في صورته النهائية.

والشكر مقروناً بالوفاء والتقدير لكل من ساعد في إخراج هذا البحث وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/ يحيي التكينة على ما قدمه لي من معلومات قيمة وإرشاد ساعد في إخراج هذا البحث.

والشكر موصول لمركز التراث والتوثيق بكلية الإمام الهادي التي أمدتني بالوثائق والمستندات. والشكر لدار الوثائق المركزية بإمدادي ببعض الصحف السودانية ولمكتبة جامعة الخرطوم والشكر والتقدير لجامعة الإمام المهدي بالجزيرة أبا، إدارة وموظفين، فقد كان لمساعداتهم القيمة ما أعانني على إعداد هذا البحث.

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير..



تقديم.

تناولت هذه الدراسة التاريخية السيرة الذاتية للإمام الهادي المهدي ومسيرته ودوره الرائد في الحركة السياسية السودانية خلال الفترة من ١٩٢٢-١٩٧٠م.

ثم تناولت سيرته من حيث الميلاد والنشأة والتعليم وسلطت الضوء على الأحداث التي صاحبت الفترة خاصة الأحداث السودانية والعربية التي لعب فيها دوراً هاماً ومؤثراً..

كما تناولت الدراسة دوره الرائد والهام وتمسكه بعقيدة الأمة وتحرير إنسانها من ذل الشيوعية والحفاظ على التراث والأمانة التي توارثها الأئمة من قبله، والاهتمام بلغة وعقيدة وتراث وحق المواطنة لأهل السودان كافة.

وأبانت الدراسة موقفه وموقف الأحزاب السودانية التي لجأت إلى الجزيرة أبا للدفاع عن حرية المواطنين، ودحض الشيوعية وإعلاء كلمة الحق والوقوف ضد الهجمة المايوية التي أطاحت بالديمقراطية، وأوقفت الدستور الإسلامي، وعطلت مصالح الشعب مما قاد إلى أحداث الجزيرة أبا وود نوباوي والتي راح ضحيتها الآلاف من أبناء السودان وخاصة كيان الأنصار.

وأوضحت الدراسة الدور الأجنبي في الأحداث وخاصة ميثاق طرابلس وما لعبه في تحقيق الأهداف المايوية.

تناولت الدراسة دور الصحافة السودانية والأجنبية والعربية، وعكسها للأحداث وصححت المفاهيم الخاطئة، وأبانت مواقف الصحف حسب مصادرها؛ كما أبانت الظلال والسحب الدكناء التي تناولت بها الأقلام لأحداث الجزيرة أبا وود نوباوي.

مصححة للمفاهيم الخاطئة للكاتب المصري محمد حسنين هيكل ومحاولاته لإضفاء نوع من البطولة على مواقفه والطمس للحقائق بمعلومات حاول من خلالها التزوير للتاريخ.

وتأتي هذه الدراسة، وعلي حد سواء، وثيقة تاريخية وتصحيحية هامة لتلك الفترة من تاريخيا السودان الحديث والمعاصر، دفع ثمنها الشهداء وعلي رأسهم كان إستشهاد الإمام الهادي ورفاقه.

وتأتي هذه الرسالة مدعمة بالكم من الوثائق التاريخية التي تفتقدها المكتبة السودانية.

مقدمة:

تأتي هذه الدراسة، محاولة من قبل الباحثة للتناول لشخص الهادي عبد الرحمن المهدي في إطار بحثي ممنهج لما يتعلق لديه بالشئون العامة والخاصة. وآثرت التوفيق بين عدة طرائق بما فيها الجمع بين التدرج الزمني والنمو النفسي لرجل لطالما شغل الساحة السودانية والعالمية بمواقفه على المسرح المكاني والزماني، باعتباره رجل دين ودولة، استشهد من أجل المبادئ والمثل والقيم والموروثات التاريخية وللحفاظ على الوطن ووحدته وعلي الشعب وهويته الدينية والعربية، وحداً للتيار الأحمر وزحفه المتنامي بفعل المصطنع من ثورات للتغيير للهوية ببلداننا في الوطن العربي، لاسيما في تلك الفترة الحاسمة من التاريخ المعاصر.

لقد كان للإمام الهادي المهدي مواقفه التاريخية خلال تلك الفترة الحاسمة المتداخلة القضايا والتنوع، التي ما برح التاريخ يسطرها له مصانة ومحتفظاً بها من بين الثنايا بسجلاته. الأمر الذي حدا بالباحثة العمل في جد للتنقيب عنها وإزالة ما علق بها من عتمة وغبار، مستعينة في ذلك بالمتاح من الوثائق ذات الأدلة والبراهين والدفوعات والحجج القانونية العلمية. فضلاً عن المقارنة وبمنهجية للتميز بين الحقيقة المعلومة والخيال الجامح، لدى تلك الثورات وما ترمي إليه من مساعي ليست في محيط الطمس للحقائق وحجبها عن أصحابها فحسب بل ليتعداه إلي التغيير لمواقفهم وهوياتهم، وذلك خدمة لأهدافها وبرامجها ونواياها المبيتة سلفاً.. وقد كان ذلك جانباً هاماً مما خضع إليه الإمام الهادي من عوامل متباينة، خلفت ورائها لاحقاً من التبعات، أثاراً في نهجه السياسي، ومؤدية إلى استشهاده.

أهمية البحث:

لم تنل الزعامات من رواد الحركة الوطنية بالبلاد حقها من العناية من جانب الدارسين والمختصين تقييماً لدورهم العلمي والجهادي من أجل الحرية والكرامة لهذا الشعب إندماجاً وتماسكاً..فللوطن قد قدم أولئك الأفذاذ من العطاء الجزيل ما لا تعرفه

الأجيال آنياً، فقد خلت المكتبة السودانية فيما عدا الكم المتواضع من البحوث والدراسات الحاوية لسيرهم الذاتية وتاريخهم وكفاحهم المقترن بروايات النضال جهداً وعرقاً. ورغماً عن العلم والتعليم ومحدوديته آنذاك إلا أن ذلك الجيل لم يكن بعيداً عن السماع والإلمام بقصص البطولات لمنْ افترشوا الأرض والتحفوا السماء وحملوا أكفانهم وسقطوا شهداء على سفوح جبال كرري من أجل العزة والشموخ. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث ومقاصده في تسليط الضوء على الرواد الأوائل من زعامات الحركة الوطنية وأداورهم القومية .

أهدف البحث :

يسعى هذا البحث إلي إزالة ما اكتنف تاريخ البلاد إبان تلك الفترة الهامة من غموض، والتوضيح تحليلاً للدورين الديني والاجتماعي الذين نهض بهما الإمام الهادي عبد الرحمن المهدي وأفكاره ومواقفه تجاه فترات الحكم العسكري الأول، والديمقراطية الثانية والحكم العسكري الثاني، مع التعرض خلالها أيضاً، للجماعات والقيادات الملتفة من حوله وأفكارها وبرامجها السياسية.

مشكلة البحث :

تتمحور مشكلة البحث في هذا الصدد حول الإمام الهادي، ودوره السياسي في الحياة السودانية فكراً ومواقفاً، علاوة علي العمل علي رفد المكتبة السودانية بالكامل من الحقائق التاريخية بعيد التصحيح للعديد من المفاهيم الخاطئة والمغلوطة وذلك سداً للثغرات البحثية وإنصافاً لمنْ عرفوا بالبذل والفداء بأرواحهم من أجل الوطن.

أسئلة البحث وفرضياته :

يفترض البحث تزامنناً مع فترة التناول وأهميتها حزمة من العديد والمتنوع من التساؤلات المحورية للدراسة والمتمثلة في المؤشرات الآتية :

- إذا كان الضغط الخارجي والداخلي قوياً هل يؤدي إلى التماسك والتقارب بين القيادات السياسية وجماهير الشعب، أم يؤدي إلى التفكك وبذر بذور الفتنة بين مختلف القطاعات؟

- هل القيادات السياسية تختلف وتتفاوت تبعاً لما تتعرض له من خبرات وتجارب، أم أنها تظل متمسكة بالنظام النمطي الذي اختطته.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة المستندة علي المنهجية التاريخية في السرد والتحليل ، الاستعانة بمناهج أخرى مساعدة في التناول والمتابعة. والتي كان من بينها الآتي:

المنهج الاستقرائي التاريخي:

يؤكد ويبين هذا المنهج العلاقة بين التاريخ وعلم السياسة، ويساعد في فهم ما قام به الهادي المهدي من أدوار سياسية؛ كما يساعد على إعادة تقييم المادة العلمية على أسس جديدة مبنية على النظرة المعمقة والشاملة قياساً لأراء المختص من العلماء؛ كما يساعد هذا المنهج على إيضاح ما نهض به الهادي المهدي من أدوار متداخلة التعدد والمواقف سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وهذا لا يتأتى إلا بالرجوع إلى الكتب والبيانات والوثائق دراسة تحليلاً.

المنهج الاستنباطي:

عولت الباحثة علي هذا المنهج في الإستنباط للحقائق العلمية من المصادر والوثائق والكتب المتعددة والمتنوعة.. فالاستنباط كما هو معروف ومعلوم هو استخراج ما هو مستند من المعرفة؛ لذا فقد جاء الركون إليه إستكمالاً للحوارات وإجراءاتها مع المعاصر من الشخصيات لاستخلاص الكثير من الإفادات والاستجلاء للكم من المعلومات وقد إكتنفها الغموض في ظل العتمة وغياب الحقائق المتصلة بأحداث تلك الفترة من تاريخ البلاد.

منهج المضمون وتحليله:

يعتبر تحليل المضمون من أهم المناهج المستخدمة في دراسة مثل هذه المواضيع إضافة لأهميته باختيار المادة العلمية موضع التحليل، ثم تحليلها وتقييمها واكتشاف خلفيتها الفكرية أو الاجتماعية والعقائدية أو السياسية على أساس خطة منهجية منظمة.

نطاق البحث وحدوده :

(أ) الزمانية: تتسع تغطية للفترة الزمنية من العام ١٩٢٢م حيث مولد الإمام إلي لحظة إستشهاد في العام ١٩٧٠م.

(ب) المكانية: حيث دارت أحداثها بالبلاد داخلياً.

(ج) الموضوعية: تأتي دراسة تاريخية وثائقية تحليلية لشخص الإمام الهادي المهدي مكوناتها وأبعادها.

البحث أدواته واستعراض مصادره :

أولاً : أدواته

لجأت الباحثة هنا إلي مختلف الوسائل والطرق والأساليب للحصول علي المادة المصدرية الأولية اللازمة للدراسة والتي كان من بينها الوقوف علي الوثائق ولتكملة النقص في البيانات بإجراء العديد من المقابلات الشخصية غير الموجهة والتي شملت من الأساتذة حينها: البروفسور محمد إبراهيم أبو سليم وعبد الحميد آدم ومحمود إدريس ومحمد شريف علي وموسى محمد السراج، يحيي التكينة، يوسف حسن ونصر الدين الهادي المهدي، التي تناولت جوانباً من سيرته ومواقفه.

ثانياً : تقويم أهم مصادر البحث

إستفادت الباحثة من العديد من المصادر والمراجع التي تناولت الجوانب التاريخية والسياسية بالبلاد ورموزها الوطنية كما وقفت علي البعض من الإسهامات العلمية الوثيقة الصلة بموضوع الدراسة. وقد أمكنها التعامل معها بمنهجية علمية من خلال النقد والتحليل والمقارنة والتمحيص بغية الوصول إلي الحقائق والإفادات المرجوة واللازمة للدراسة وإستكمالها.

وفي الواقع، لقد كان لمذكرات ضابط الشرطة العقيد "مختار طلحة مختار" والتي بعنوان "حقيقة مقتل الإمام الهادي"، وقعها الهام لدراستي والذي أختط ورسم من خلالها وبكل الصدق والأمانة كيف أغتيل الإمام شهيداً ،مشيراً ومحدداً في الوقت نفسه للمكان والزمان وللشخصيات والملابسات التي أدت إلى حادثة استشهاده. ولذا يعتبر هذا الكتاب من الوثائق البالغة الأهمية للدارسين والمهتمين. هذا إضافة إلى "موسوعة الرموز والشخصيات السودانية" للبروفيسور أحمد إبراهيم دياب والذي تناول فيه جانباً من سيرة

الإمام وتاريخه ومواقفه.. فضلاً عن السيد الصادق الهادي المهـدي وكتابـه الـذي بعنـوان "مجزرة الجزيرة أبا الهجرة وأحداث الكرمك ١٩٧٠م" والذي أبان من بين ثنياه، الكثير مـن الحقائق والمعلومات التي غابت وخلت عنها سجلات التاريخ.. وهي لا تقل أهمية أيضـاً عن إسهامات الفاضل الهادي في مذكراته التي تناولت "الأحداث من زوايا متعـددة" مركـزاً من خلالها على الأحداث التي لم تجد المتابعة من قبل الباحثين. إضافة إلى تلك الإشـارات الواردة في مواقع متناثرة من سجل "الديموقراطية في الميزان" للسياسي السوداني محمد أحمـد محجوب، علاوة علي "الصحف والدوريات" و"شبكات التواصل الإلكترونية" المتعددة، ومـا ورد بها من "مقالات" و"تحليلات" لما نحن بصدده من بحث ودراسة.

ويكمن منبع الأهمية لجملة الدراسات والإسهامات البحثية المتقدمة، في وصـلها للمكتبة السودانية بالكثير والمتنوع من الإفادات والمعطيات التاريخية .وهذا جانب لا شك فيه، يحسب لها تقديراً وعرفاناً. إلا أنها بالمقابل لم تعـط الإمـام الهـادي بجسـانه، شخصـية وطنية إسلامية جاذبة وقائداً لأكبر كيان ديني بـالبلاد، حظـه الـوافي مـن التنـاول دراسـةً وتقييماً وتحليلاً لما نهض به وإنبري إليه من دور رائد ومتميز، تجلـي في التصـدي لقضـايا الأمة علي الصعيدين العربي والإسلامي. وهو ما جهدت الباحثة، من خلال المتـاح مـن الوثائق في إجلائه وإثباته ومن ثم العمل علي تأكيده والحض عليه.

خطة البحث:

يأتي هذا البحث بعنوان "الإمـام الهـادي المهـدي وجهـوده الدينيـة والاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية ١٩٢٢ - ١٩٧٠م".

وقد جاء هذا البحث مقسماً إلي خمسة فصول ، حوي كل منها علـي عـدد مـن المباحث والعناوين الجانبية بالإضافة إلي مقدمة تمهيداً للدراسة تضمنت موضوع البحـث ودوافع إختياره وأهدافه وحدوده ومنهجيته وصعوباته ومن ثم الخاتمة وثبـت للمصـادر والمراجع وقسم للملاحق الوثائقية المتعددة التنوع. وقد رتبت هذه الخطة البحثيـة حسـب مقتضيات الدراسة علي النحو التالي:

الفصل الأول: وعنوانه " الأسرة والنشـأة" حيـث جـري التنـاول عـبره لتـاريخ آل المهدي وهجرتهم من الجزيـرة العربيـة (منطقـة الشـام) إلى جنـوب مصـر (بـلاد النوبـة) واستقرارهم وتمازجهم وتزاوجهم من النوبة (الدناقلـة) في الشـمالية ثـم هجـرتهم إلى أم درمان حيث عمل جدهم والد المهدي في صـناعة المراكـب، مـا بـين أم درمـان والجزيـرة "أسلانج" وتصاهر هو وأسرته من الشمالية من بنات عمومته واتخـذ أم درمـان مسـكناً لـه ولأسرته حيث ولد حفيده الهادي بن عبد الرحمن.

أما الفصل الثاني: والـذي بعنـوان "الـدور الاجتمـاعي والاقتصـادي والـديني والسياسي" فقد جاء سياحة للعلاقات الاجتماعية للإمـام الهـادي وتطوافـه علـى أقـاليم السودان وتفقد لكيان الأنصار وأحوالهم وفضلاً عن التنـاول للجوانـب الدينيـة، مـروراً بمسألة "الإمامة" والتي حسمت لصالحه، ثم المتابعة لدوره المتواصـل رعايـة وترتيبـاً لكيـان الأنصار ووضعه للأسس المنظمـة للعلائـق الرابطـة بـين الـدين والسياسـة مـع التشـبث بالدستور الإسلامي أداة للحكم بالبلاد وهو ما ظـل متمسـكاً بـه إلـي أن سـقط شـهيداً دونه.

بينما تناول الفصل الثالث: والذي بعنوان " أحداث الجزيـرة أبـا" ، مجريـات تلكـم الأحداث تفصيلاً حيث دارت وقائعها بتلك المنطقة من النيل الأبـيض، مـع التعـرض ل لأحزاب السياسية المعارضة للنظام المايوي اليساري وإنضمامها إلي جانـب الإمـام، ومـا تلاهُ من حراك سياسي واسع تمثل في هجرة الأنصار من الأقاليم إلى الجزيرة أبـا للوقـوف جنباً بجنب إلي صف الإمام عضداً له ودفاعاً عن العقيدة والحرية والديموقراطية والإنسان وحقوقه. هذا إلي جانب التطرق لميثاق طرابلس ودوره في معركة الجزيرة أبـا وتداعياتـه، مع الاستعراض لتلك الاجتماعـات الحواريـة والرسـائل المتبادلـة بـين الطـرفين الإمـام وأركان النظام المايوي وما تخللهما من صور للمداهنة والخداع، كما تعرض ذلك الفصـل للدور الذي لعبته دول ميثاق طرابلس في معركة الجزيرة أبا وأبعاده ، ثم الوقـوف متابعـةً للرسائل التي بعث بها الإمام الهادي إلى الرئيس جمال عبد الناصر والتي تعتبر الأسـاس في دعم النظام المصري لنظام مايو، ومـده بالطـائرات المقاتلـة الـتي أدت إلى دك الجزيـرة أبـا

بساكنيها في أكبر مجزرة يشهدها النصف الثاني من القرن العشرين. تلك الهجمة التي قام بها سرب من الطائرات المقاتلة بقيادة الطيار "حسن مبارك" والذي ما تناقل عنه يفيد بإفتخاره بذلك. هذا إلي جانب تناول الفصل أيضاً، لقرار مجلس شورى الأنصار بأن يهاجر الإمام إلى دولة أثيوبيا سلامة للمواطنين وأرواحهم بالجزيرة المنكوبة بأبا فضلاً عن الحفاظ علي شخصه من بطش النظام ومحاولات التصفية، كما أبان الفصل اللحظات الأخيرة من حياته حتى إستشهاده.

أما الفصل الرابع: من الدراسة والذي بعنوان " أحداث ود نوباوي"، فقد كرسته لطرح الأحداث بمدينة ود نوباوي ومجرياتها والتي كانت في حقيقة الأمر صدي ورد فعل لعدوانية النظام المايوي واستخدامه للطائرات والدبابات وغيرها من الأسلحة في الترويع والقصف للجزيرة أبا وقاطنيها، مؤدياً بذلك الصنيع إلي استشهاد الآلاف منهم المواطنين، الأمر الذي أهاج أبناء أم درمان عامة وكيان الأنصار بود نوباوي علي وجه الخصوص، حيث عبروا عن غضبهم ورفضهم للنظام وقمعه هناك، في شكل تظاهرات سلمية هادفة إلي تسليم مذكرة إحتجاج إلى السلطات الحاكمة التي سارعت بالإغلاق لكافة المعابر والمسارات في طريقهم،مما اضطرهم للعودة إلي حيث إنتهوا بمسجد الإمام عبد الرحمن المهدي بود نوباوي، حيث اشتبكت معهم هناك قوات من الشرطة والجيش، تلك الاشتباكات التي راح ضحيتها العشرات من المواطنين الأبرياء ومثلهم وطلاب الخلاوى.

أما الفصل الخامس: والذي جاء بعنوان "دور الصحافة السودانية والعربية والأجنبية في أحداث الجزيرة أبا وود نوباوي" فقد كان رصداً ومتابعة للدور الهزيل للصحافة السودانية التي واكبت النظام الإرهابي وانعكاس ذلك في الصحافة العربية والأجنبية سلباً وإيجاباً. كما أوضحت مواقف الذين باعوا ذواتهم وضمائرهم للنظام المايوي وعملوا بالتالي علي وتضليل الرأي العام داخلياً وخارجياً من أمثال الكاتب الصحفي المصري محمد حسنين هيكل.

وقد ذيلت الدراسة "بخاتمة" ونتائج وتوصيات ومقترحات قدر لها أن تكـن مفتاحـاً لدراسات مستقبلية أثراءً للمكتبة الوطنية السودانية والتي تفتقر حقيقة إلي مثل هذا الكـم من البحوث والدراسات التي لا تنقصها الجـرأة والمنهجيـة. إضـافة إلـي قائمـة بالمصـادر والمراجع وكما أفردت جزئية مقدرة من البحث للملاحق الوثائقية.

الدراسة مقارنة بسابقاتها:

في الواقع لقد تطرق الكثير من الكتاب وعبر مجموعـة متعـددة مـن المقـالات في الصحف اليومية لسيرة الهادي المهدي وكفاحه كما تناولها الـبعض في مؤلفـات وكتيبـات متواضعة ، وبالرغم من أن الإصدارات المشار إليهـا سـابقاً، قـد تناولـت في عمومياتهـا للسيرة الذاتية لشخصه، إلا أن البعض من المهتمين قد تناولها والي حد مـا، في شـي مـن التفصيل في الأحداث وتفاعلاتها بالمنطقة من الجزيرة أبا من النيل الأبـيض وانعكاسـاتها علي مدينة وود نوباوي بأم درمـان. ويـأتي في الصـدد كتـاب "أحـداث الجزيـرة أبـا وود نوباوي" لمؤلفه الكاتب صديق الهادي أنموذجـاً لـذلك، بـل عـده الـبعض لأهميتـه وثيقـة تاريخية هامة ومرجعاً أساسياً للراغب من الباحثين في الوقـوف علـي تلـك الأحـداث في الفترة المشار إليها وبتفاصيل أوفي فيما يتصل بالمواقف السياسية والمعارك والمحاكمات التي جرت لاحقاً فيما بعد. كما يعد كتاب "الإمام الهادي إمام الدين" الصادر عن قسم الـتراث والتوثيق بكلية الإمام الهادي، مماثلاً له من حيث التقصي للحقـائق والأهميـة. ولعـل مـا يميز هذا البحث الذي نحن الآن بصدده مقارنة بالغير من الدراسات المقدرة آنفاً، انـه مـن حيث المادة العلمية المقومة للدراسة، قد كان الأوفر حظـاً، أمـا علـي صـعيد الإستقصـاء والتحليل والمقارنة، فقد كانت الباحثة، بحكم المعاصرة، الأكثر جـرأة وجديـةً في التعـاطي مع الأحداث التاريخية والعمل علي توثيقها في دقة وإحكام.

الفصل الاول

الاسرة والنشأة

أسرة الإمام المهدي

ترى الباحثة بأن من الضروري ولفائدة البحث العلمي، ولوضع الثوابت التاريخية، وتسليط الأضواء حول أسرة المهدي، وقبل أن تتناول بالتفصيل حياة الهادي المهدي يجب أن توضح سيرة هذه الأسرة التي شغلت التاريخ السوداني، والعربي، والإسلامي، والعالمي بما حققته من مواقف أضحت بوابة لتاريخ السودان الحديث، بل والمعاصر أيضاً.

تتناول الدراسة أسرة المهدي من حيث المولد والزوجات والأبناء ووضع صورة حقيقية لمولد الإمام المهدي الذي تنتسب إليه هذه الشجرة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخنا الحديث والمعاصر ولتبدأ بصاحب الشجرة ومؤسسها الأول.

من هو محمد أحمد المهدي:

يذكر عبد المحمود أبو شامة[1] موثقاً لأسرة المهدي بأن (محمد أحمد بن عبد الله بن فحل بن عبد المولى بن حاج شريف بن علي بن حسب النبي بن جبير بن نصر ابن عبد الكريم بن حسين بن عون بن نجم الدين بن عثمان بن موسى أبي العباس ابن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسين العسكري بن علوان بن عبد الباقي بن منخره بن يعقوب بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب ومن ناحية الأم فهو ابن زينب بنت نصر وينتهي نسبها بالعباس بن عبد المطلب.

---

[1] عبد المحمود أبو شامة، من تلسهاي إلى أبا، الخرطوم، ١٩٧٠م، ص٣.

نسب المهدي: جذوره وتسلسله:

يذكر الدكتور عبد الودود شلبي[1]، أن أسرة المهدي هاجرت من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين، فراراً من المظالم والآلام التي كان يصبها على رؤوسهم الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وفي عهد أبنه الوليد، وقد اتخذت أسرة المهدي وادي النيل مهاجراً لها، وأقامت في الفسطاط ما طابت لها الإقامة، وبها مات أحد رجالها المعروفين نجم الدين بن عثمان ودفن عند باب الوزير بالقاهرة، وله مقام يزار، ثم شدت الأسرة رحالها وواصلت رحلتها جنوباً وقد طاب لبعض أفرادها المقام في كشتمه بين أسوان والدر، وظل باقي الأسرة على رأسهم نصر الدين بن عبد الكريم بين ظعن وإقامة، وحل وترحال، حتى انتهى بهم المطاف إلى إقليم دنقلا بالسودان، فالقوا عصا تسيارهم هناك، وقد سموا المكان الذي نزلوا فيه بالخناق على اسم آخر قرية سكنوها بأعالي صعيد مصر.

استقرت العائلة واستثمرت جزر (ضرار، لبب، أب تركي) وهي الجزر التي تسمي بجزر الأشراف، وخرج منها شيوخ عرفوا بالتقوى والصلاح منهم الشيخ حاج شريف الذي أنجب ستة ذكور أكبرهم هو السيد محمد –جد المهدي–وهو الذي أشرف على قباب أجداده الأشراف، وقد رزقه الله بولد أسماه عبد الله، وامتهن مهنة صناعة المراكب النيلية.

وفي السابع والعشرين من رجب ١٢٦٠هـ الموافق ١٢ أغسطس ١٨٤٤م ولد عبد الله ولداً أسماه محمد أحمد وهو الذي ملأت شهرته الآفاق وسطر مجداً في تاريخ السودان.

---

[1] عبد الودود شلبي، نقلاً عن كتاب تطور الحركة الوطنية في السودان، لأحمد إبراهيم دياب، ص١٠.

يذكر محمد سعيد القـدال[1]: (أن أسـرة المهـدي هجـرت موطنهـا حـوالي عـام ١٨٥٠م واتجهت جنوباً هرباً من وطأة الحكم التركي المصري. واستقرت في كرري شمال الخرطوم، ثم في الخرطوم في حي سلامة الباشا، وهو حي شعبي سكنته العديد من القبائل السـودانية، وواصـلت الأسـرة عملـها في صـناعة المراكـب في منطقـة المقـرن الغنيـة بالأخشاب).

أما عبد المحمود أبو شامة فيوضح[2]: (قبل أن يصل محمد أحمد سن السابعة تعاقد والده مع الحكومة لصنع المراكب فأتى إلى مكان أشجار أكثر هاجرت العائلـة إلى شـندي وبقي بمنزل ود تنير ومنها إلى قرية السيال نـاير - وهـي قريـة الفكـي الـريح السـنهوري بالجميعاب - اتهمت الأسرة بإيواء الهاربين من دنقلا والذين فروا من الخراج ومـن ظلـم الكاشف ود نميري وتسخيره الناس لبناء قصره الشهير بدنقلا، وقد أخذ تعهداً ألف جنيه إذا أوت العائلة الهاربين. ويواصل أبو شامة سرده ويضيف أن العائلـة ذهبـت إلى حلـت كرابيج ليبتعدوا عن المارة ومنها رحلت إلى النوفلاب حيث توفى عبـد الله ودفـن هنـاك. وبعد وفاته رحل أبناؤه إلى كرري حيث أقاموا طويلاً يواصلون العلم ويعملـون بصـناعة المراكب.

بينما يذكر نعوم شقير[3]: (أن الأسرة تتكون من أربعة أبنـاء محمـد ومحمـد أحمـد وحامد وعبد الله وبنت اسمها زينب، قتل حامد في قدير ومحمد وعبد الله في الأبيض أمـا أقارب المهدي فهم أحمد شرفي، وعبد القادر ود ساتي، ومحمود أمير، ومحمد عبد الكـريم، والخليفة شريف.

والباحثة وهي تتناول أسرة المهدي ترى ضرورة إثباته للتاريخ وللأجيال القادمـة حتى لا يلف الظلام تاريخ الأجداد.

---

(1) محمد سعيد القدال، لوحة لثائر سوداني (مسيرة الإمـام محمـد أحمـد المهـدي)، دار جامعـة الخرطـوم للنشر، بدون تاريخ، ص ٢٣

(2) عبد المحمود أبو شامة، مرجع سبق ذكره، ص٨.

(3) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ط١، الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص٦٣٥.

أما عن زوجات المهدي فهن فاطمة بنت أحمد شرفي ابنة عمه والتي تزوجها في الخرطوم وتوفيت في قدير وعائشة بنت أحمد شرفي تزوجها في الأبيض، وفاطمة بنت حاج تزوجها في كرري قبل المهدية، وفاطمة بنت حسين الحجازي تزوجها قبل المهدية، وعائشة بنت إدريس الفلاني.

وكان قد أنجب من فاطمة بنت أحمد شرفي ثلاثة أولاد هم الفاضل وهو أكبر الأولاد والبشرى ومحمد وبنت تسمى زينب تزوجها الخليفة شريف. ومن فاطمة بت حاج أحمد أربعة بنات أم كلثوم تزوجها الخليفة عبد الله التعايشي ونور الشام تزوجها الخليفة علي ود حلو. ومن فاطمة بنت حسين الحجازي ثلاثة بنات رحمة وأم سلمة تزوجها شيخ الدين بن الخليفة عبد الله التعايشي، ومريم وولد يسمى الصديق ومن نحل الجود (سرية) محمد بك الشايقي، ومن النعمة بنت الشيخ قرشي ولد يسمى علي، ومن مقبولة الدرافورية ولد يسمى عبد الرحمن، ومن مأمونة الحبشية ولدان توأمان هما الطاهر والطيب، ومن قبيل الله النوباوية ولد يسمى نصر الدين.

وقد تربى هؤلاء جميعاً على الصبر وكبح جماح الرغبات وكانوا أكثر من العامة ملبساً ومأكلاً.

وقد استشهد ابن المهدي محمد كأول شهيد في كرري، والصديق في أم دبيكرات مع الخليفة وآخرين، والفاضل والبشرى في الشكابة وجرح عبد الرحمن ولم يؤخذ مع الجرحى للعلاج في سنار خشية المسئولية لصغر سنه، أما عبد الله والطاهر ونصر الدين وعلي أخذوا للأسر وأضيف لهم أسرى أم دبيكرات وأخذوا للرشيد بمصر حيث البرد القارص وسوء الغذاء والكساء قضى على أبناء المهدي الأسرى، ولم ينج منهم إلا الطاهر المهدي الذي مات بوادي حلفا، وعلي المهدي الذي توفى في ٢٥ نوفمبر ١٩٤٤م.

وفي الشكابة في ٢٨/ ٨/ ١٨٩٩م بعد أن تم محاصرتها من قبل السلطات البريطانية اعتقل الخليفة شريف وابني المهدي والبشرى وتم إعدامهم رمياً بالرصاص.

بعد هذا السرد لأسرة المهدي توثيقاً وتأصيلاً وتأكيداً على الدور الكبير الذي لعبه هذا البيت في الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحقيقاً لتصحيح

المفاهيم التي حاول البعض أن يظللها بالسحب الدكناء لطمس حقائق وجهاد آل المهـدي أثبتنا ذلك للتاريخ.

ولمزيد من التأصيل لأسرة المهدي وحتى لا يكـون عـدم الدقـة هـو السـمة الـتي لازمت كتابة تاريخنا في ماضـيه وحاضـره، وتأكيـداً وتحقيقـاً في الأحـداث زمانـاً ومكانـاً وأسباباً وتحليلاً، وحتـى لا تضـيع الحقـائق وتطمـس علـى الأجيـال القادمـة المعلومـات تواصل الباحثة تأصيل هذه الأسرة التي شغلت العالم وتضع الحقائق التالية:

يؤكد نعوم شقير[1] نسب المهدي الذي أوضحناه ويقول: (أن نسـبه كـان يتصـل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو من الدناقلة الأشـراف وعـرف هـذا النسـب واتصل به قبل أن يعلن مهديته تحقيقاً لمقولة "أن المهدي المنتظر من سلالة الـنبي صـلى الله عليه وسلم".

أما عن ميلاد المهدي فقد تعددت الروايات واختلفت إلا أن الـراجح أن تـاريخ ميلاده كما ذكره كشة[2] في ٢٧/ رجب/ ١٢٦٠هـ الموافق شهر أكتوبر ١٨٤٥م في جزيـرة لبب بدنقلا ثم انتقل من موطنه مع أسرته إلى كرري وهو طفل صغير في شهره الرابع.

بينما يذكر محمد سعيد القدال[3]: (أن محمد أحمد بن عبد الله "المهدي" ولد في لبب في رجب ١٢٦٠هـ الموافق له الأسبوع الثاني من أغسطس ١٨٤٤م.

أما إبـراهيم فـوزي باشـا[4] فقـد ذكـر أن المهـدي ولـد في جزيـرة الخنـاق عـام ١٢٥٠هـ. بينما يورد الشاطر بصيلي[5] في قول يؤيده الإمام عبد الرحمن المهدي أن والده

---

[1] نعوم شقير، مرجع سبق ذكره، ص ص٦٣٧-٦٣٨.

[2] سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، "بدون بيان نشر"، ص٤٧.

[3] محمد سعيد القدال، الإمام المهدي، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٧.

[4] إبراهيم فوزي، كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر، القاهرة، طبعـة الهيئـة العامـة لـدار الكتـب والوثائق، ٢٠٠٨م، ج١، ص٧.

[5] الشاطر بصيلي، معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسـع عشـر، الخرطـوم، طبـع مكتبة النيل الأكاديمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص٢٢٣.

(الإمام المهدي) ولد في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس ١٨٤٤م وهذا التاريخ اتفقت عليه أغلب الروايات.

ويوضح المبارك إبراهيم[١] في ميلاد الإمام المهدي فيذكر (في ليلة ٢٧ رجب ١٢٦٠هـ -أكتوبر ١٨٤٥م أشرق بدر حياة المهدي في سماء الوجود وكان مولده بجزيرة لبب إحدى جزائر الأشراف في إقليم دنقلا. وقد أطلق عليه والده اسم محمد أحمد وعرف بهذا الاسم إلى أن جهر بالدعوة المهدية وهو في الثامنة والثلاثين من عمره فنقش على خاتم توقيعاته لا إله إلا الله محمد المهدي بن عبد الله.

وقد أورد كشه[٢] أن صاحب كتاب السودان المصري والإنجليزي أورد أن ميلاد المهدي كان في عام ١٢٥٣هـ في جزيرة الخناق (جزيرة الأشراف بلغه الدناقلة) قبيلة تعرف بقبيلة الأشراف حيث ينتسب إلى الشريف..

يذكر محمد فؤاد شكري[٣] أن محمد أحمد المهدي ولد بجزيرة لبب في مدينة دنقلا في ١٢/٨/ ١٨٤٤م وقد أظهر منذ حداثة سنه رغبة في تعليم الصم الديني وكان ورعاً تقياً وزاهداً نشأ بمدرسة الخرطوم عام ١٨٦٣م ثم انتقل إلى أبا ١٨٧١م أو ١٨٧٣م منقطعاً للعبادة.

أما عن أسرته يذكر محمد عباس[٤] أنه لما كانت دولة بني أمية في دمشق ٤١هـ-٦٦١م طاردت العلويين في زمن الحجاج بن يوسف في عهد عبد الملك بن مروان ٦٨٥م-٧٠٥م وعهد ابنه الوليد ٧٠٥-٧١٥م وهاجرت أسر علوية إلى وادي النيل وبقيت بمصر ودفن أحد مشاهيرها (نجم الدين بن عثمان عند باب الوزير).

---

[١] المبارك إبراهيم، أمين مكتبة الإمام عبد الرحمن المهدي.

[٢] سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، مرجع سبق ذكره، ص٤٧.

[٣] محمد فؤاد شكري، مصر والسودان، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٨٦م، طبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ص٤٦.

[٤] محمد عباس، مقال بمجلة وشل، العدد الأول، إصدار مركز التقانة للدراسات الأمدرمانية، يناير ٢٠١٢م، ص٣١.

ويذكر المبارك إبراهيم[1] نقلاً عن كشة: (أن الأسرة واصلت هجرتها شمالاً فأقامت مجموعة منها في كشتمته بين أسوان والدر، بينما واصلت بقية الأسرة بزعامة نجم الدين بن عون الله حتى وصلوا دنقلا فأقاموا في مكان سموه الخناق باسم آخر بلده سكنوها في صعيد مصر)، وبعضهم سكن جزر ضرار ولبب وسركي وهي تعرف باسم جزر الأشراف.

وفي أواسط القرن السابع الهجري اشتهر من هؤلاء الأشراف رجل يسمى حاج شريف اشتهرت أسرته باسم أولاد حاج شريف له ست بنين غير البنات وأكبر أبنائه السيد محمد جد الإمام محمد أحمد المهدي لأبيه.

مهنة الأسرة:

يذكر محمد عباس[2]: (كانت أسرة المهدي تعمل في صناعة المراكب وكان سبب نزوح الأسرة من دنقلا تعاقد والد المهدي مع الحكومة لبناء سفن شراعية.. سعى الوالد وراء الغابات متحركاً من الشمال إلى الجنوب حيث استقر بكرري، وبعد عام توفى والده ودفن بكرري بقرية النوفلاب سنة ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٥١م وحينها كان عمر المهدي خمس سنوات وبعد هذا انتقلت الأسرة إلى الخرطوم.

بعد ست سنوات من وفاة والده توفيت أمه سنة ١٢٧١هـ (قبرها في داخل مستشفى الخرطوم)؛ وبهذا تيتم المهدي وهو في الحادية عشر من عمره، فكفله أخوه الأكبر محمد خير بينما واصل إخوانه العمل في صناعة أبيهم.

أما من ناحية تعليمه فإن المهدي الذي التحق بخلوة بكرري ثم بمدرسة قرآنية للشيخ الهاشمي لمدة سبعة أعوام حفظ فيها القرآن، وأتقن التجويد، وبعد ذلك لحق بإخوته ودخل مدرسة الشيخ الشنقيطي، وقد توفيت أخته أثناء غيابه، وعندما قدم

---

[1] المبارك إبراهيم، أمين مكتبة الإمام عبد الرحمن المهدي، وسليمان كشة، مرجع سبق ذكره، ص٤٦٠.

[2] محمد عباس، مرجع سبق ذكره، مجلة وشل، ص٤٣.

الخرطوم تزوج وانتقل إلى خلوة كترانج ليدرس على يد الشيخ الأمين الصويلح بن محمد بن الأمين بن عيسي.

يذكر مكي شبيكة[(١)] أن المهدي بقي مع شيخه محمد شريف مدة طويلة درس فيها علوم التصوف ومارسه وأخذ الإجازة.

أما علي المهدي[(٢)] فيرى أن الظروف التي جعلت الأسرة تنتقل من دنقلا إلى كرري هي أن السلطات المحلية اتهمت أسرة محمد أحمد المهدي بإيواء الهاربين من ظلم الكاشف ود نميري في دنقلا، وفرضت عليها غرامة مالية في حالة الإيواء، وأن ارتحالها كان بسبب الضرائب الباهظة..

ويضيف أن الناس هربوا من دنقلا فراراً من الخراج وظلم ود نميري الذي كان كاشفاً على المنطقة، حيث كان يسخر الناس لبناء قصره. أما عن يتمه فيوضح أن المهدي أصبح يتيماً وهو في الحادية عشر، وقد كان حافزاً في بناء شخصيته الدينية.

أما عن قبر والدته فالباحثة تثبت وفقاً لما أورده كشه[(٣)] أنهم اتصلوا بالمقاول الطيب المجذوب الشاعر لاستفساره عن موقع قبر والدة المهدي، خاصة وأنه كان المقاول عن إنشاء مستشفى الأمراض الصدرية بمستشفى الخرطوم، حيث أوضح أنهم بعد إزالة تلال التراب والرملة وضح قبر والدة السيد الإمام المهدي، ومقبرة الشيخ الوراق، وقد كان عقده مع وزارة الأشغال يقضى بأن يتصل بقاضي القضاة إذا تم العثور على مقابر أثناء الحفريات، وقد ذكر الطيب الشاعر أنه رجع إلى الشيخ حسن مدثر قاضي القضاة الذي أحال الموضوع إلى الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم مفتي الديار، وتم الاتفاق على المقابلة بمكان القبرين، حضر سعادة المفتي ومن معه وقرر أنه لا بأس من إزالة القبور الدارسة لمصلحة الأحياء، ولكن بالنسبة لقبري والدة المهدي والشيخ وراق فقد اقترح الطيب الشاعر معاملتهما مثلما عومل حكام الأتراك (القبتان على شارع البلدية

---

(١) مكي شبيكة، تاريخ شعوب وادي النيل، دون بيانات نشر، ص٦٥٢.

(٢) علي المهدي، جهاد في سبيل الله، ص٧.

(٣) سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم، مرجع سبق ذكره، ص٤٨.

بالخرطوم). وقد وافق المفتي على ذلك وكتب إلى مدير الأشغال فأدخل القبران داخل مستشفى الأمراض الصدرية من الجانب الجنوبي الشرقي محاطين بسورين.. وعندما علم الإمام عبد الرحمن المهدي بذلك استدعى الطيب الشاعر وأكد له أن القبر هو للسيدة والدة الإمام المهدي وشكره على اهتمامه.

والباحثة تأصيلاً وتوثيقاً ولفائدة البحث تتناول سيرة الإمام عبد الرحمن المهدي لأنها تشكل البنية الأساسية لحياة الهادي المهدي باعتباره الابن الذي اتسم بالصلاح وتحققت فيه نبوءة والده الإمام، والذي خطى خطواته تقوى، وصلاح، وزهد، وجهاد، وحفاظ على الوطن وحرية شعبه وعقيدته ولغته، حتى استشهد وشعاره نموت ونحيا للدين.

أما من ناحية والدته فإنه حفيد العمدة مصطفى حسن عبد الرسول الذي ينتمي إلى قبيلة الجعافرة العقليين التي توطنت بصعيد مصر، وترجع جذورها إلى الجزيرة العربية (الحجاز) ويرجع نسبها للسيد الخير نجم الدين الذي ينتهي نسبه بالعزة الشريفية، وأن عائلة عبد الرسول استقر بهم الترحال بصعيد مصر بمديرية قنا، وتوفى الجد نجم الدين وله مزار في باب الوزير. ونزحت الأسرة إلى بربر واستقر بها الحال في الشوال، ولأسرة العمدة مصطفى مكانة اجتماعية لأنه من جبل نعيم وأسندت له العمودية ومنها انطلق في بناء العديد من المنشآت التعليمية والصحية وتزوج عدد من النساء منهن مدينة الحمرية، وأنجبت له العديد من الأولاد والبنات منهن بخيته والدة الإمام الهادي.

أما والد الهادي المهدي فهو الإمام عبد الرحمن المهدي الشخصية السودانية الفريدة القائد، والمعلم، والملهم.

يذكر أحمد إبراهيم دياب[1]: (أن الحقيقة التاريخية مبهمة المعالم، وإذا كان بإمكان من غاب عما حوله، وأفتى عقله وقطع العلائق بالكون الطبيعي، وعرض نفسه لنبال العقلاء وجعل من روحه ترساً لسهام غير العقلاء، فإن المؤرخ يدري معالم طريقه المبهم ويقدم نظرية المعرفة والكشف التي تقوم على المعرفة والوعي، ويضيف مع اختلاف

---

[1] أحمد إبراهيم دياب، موسوعة شخصيات ورموز الحركة الوطنية في السودان، ١٩٠٠-١٩٥٦م، المجلد الأول، يناير ٢٠٠٦م، ص٢.

الآراء حول تفسير التاريخ إلى أن الشخصية الإنسانية هي المرجع الأول والأخير في أحداث الحركة التاريخية).

ويؤكد المؤرخ الانثربولوجي[1] جوريون تشايلد في كتاب بعنوان: "الإنسان يصنع نفسه" وهو العنوان الذي ينطوي على التحدي وتفسير تاريخ الإنسانية، ويوضح كيف شق الإنسان طريقه الوعر المليء بالعقبات حتى تم له تكوين المجتمع الإنسان، وبناء الحضارة، وسن القوانين والشرائع، ووضع النظم والتقاليد، ومكونات الثقافة المختلفة.

ويتضح أن العامل الإنساني هو أهم العوامل في الحركة التاريخية. يضيف دياب في تناوله لشخصية الإمام عبد الرحمن المهدي "أن الحركة الوطنية لم تمت بسقوط الدولة المهدية، كما يحاول بعض الباحثين أن يصوروا الموقف فالحركة الوطنية لم تمت وكانت موجودة وكامنة وأن الإمام كان له فضل الدعوة إليها وإيقاظها، وبث الحماسة، وإعادة الثقة والتطلع إلى المستقبل، ومحاولة نشر الدعوة لها، لا في المدن وحدها بل في الأقاليم، وإلى خارج السودان إلى المحافل الدولية، وهذا هو الإمام عبد الرحمن المهدي الذي كان في الثالثة عشر من عمره عندما وقع الاحتلال الإنجليزي المصري ١٨٩٩م، فقد ولد في اليوم الأول من شوال ١٣٠٢هـ في يوم عيد رمضان ١٥ يونيو ١٨٨٥م في بقعة المهدي في منزل الإمام المهدي الواقع شرق القبة الحالية، وكان ميلاده بعد وفاة المهدي بحوالي ٢٣ يوماً وولد بعده أخوه علي المهدي.

أما والدته فهي الميرم "الأميرة" حسب لهجة الفور، مريم التي عرفت فيما بعد باسم مقبولة ابنة الأمير نورين بن السلطان بن الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد وشقيق والده الأمير نورين الأمير زكريا والد السلطان علي دينار وهو ابن عمها.

والإمام عبد الرحمن تاريخ طويل وجهاد مرير، وزعامة دينية وسياسية، فقط هنا في هذا البحث تورد الباحثة نشأته وميلاده أما جهاده فمعروف في المخطوطات، والكتب،

---

[1] جوريون تشايلد، الإنسان يصنع نفسه، ترجمة منير كعت، مكتبة التقى، بيروت، ص ١٢٣

والروايات، وما تثبته الباحثة أنه سار على نهج والده الذي ربط قبائل السودان بالمصاهرة، وكذلك في مصر وأثيوبيا.

فقد وصل عدد زوجاته طوال حياته إلى تسعة، ثلاثة منهن لم ينجبن وهن بخيته بنت غره والجودلية شجرة الخير، ونفيسة على حسن، أما بقية زوجاته فقد أنجبن له عدد من البنات والأبناء، وهن خديجة الخليفة شريف وبخيته مصطفى حسن ابنة عمدة الشوال بالنيل الأبيض، ودار النعيم عبد الباقي من قبيلة الكواهلة، وزينب بابكر، وآمنة فرج الله، وسكينة عبد الله جاد الله ابنة الناظر عبد الله جاد الله ناظر عموم الكواهلة، الملقب بكسار قلم حكميك (حكمايكل)، وهو زوج ابنة المهدي أم سلمي بنت فاطمة حسين حجازي والدة السيدة رحمة.

وخلاصة الأمر أن الإمام لم يكن مزواجاً ولم ينجب مثل والده إلا أنه من حيث التمازج والمصاهرة فقد كانت في أسرته.

بعد هذا السرد فإن الباحثة توضح أن الهادي المهدي أخذ من والده الذي شغل العالم الزهد والورع، والقيادة والريادة، والتصميم على حق الشعب في الحرية، والعقيدة، ومن هناك كانت شخصية الهادي مستمدة من تاريخ الوالد والجد، وكفاح الأسرة ونضالها، وهو ما نحاول أن نثبته للحقيقة والتاريخ.

الإمام الهادي المهدي: مولده ونشأته:

في بداية العقد الثالث كان مولده حسب رواية الحاجة آمنة عبد الرحمن السيد طه[١]، في رواية لأبنها صديق محمود مصطفى[٢]، حيث ذكرت أن مولده كان بالجزيرة أبا عام ١٩٢٢م بالغار (الفوقاني)[٣]، كما كان يطلق عليه بمنزل والدته السيدة بخيته مصطفى حسن عبد الرسول، والذي يقع بالجزء الشمالي الغربي من حوش سيدي، كما يطلق عليه، ومنها جده لأمه فهو عمدة الشوال.

---

[١] من وثائق قسم التراث والتوثيق، كلية الإمام الهادي،ص ص٢ – ١١.

[٢] المرجع نفسه والصفحات.

[٣] المرجع نفسه والصفحات.

وعند ولادته كان الإمام عبد الرحمن المهدي في إحدى رحلاته خارج السودان فأوصى الطيب الخليفة علي ود حلو والشيخ الجليل عبد الله جاد الله أن يسميا المولود (محمد الهادي) أن كان ولداً، وقد كان ذلك أن من الله عليه بهذا المولود الذي أصبح اسماً فيه الهدوء، والتدين، والعقلية الذكية، والنظرة الثاقبة. وكالعادة التي جرت في ذاك الزمان فقد أرضعته الأنصارية (عائشة) ، المعروفة بالمرضعة وهي من قبيلة المهادية[1] .

وإخوانه في الرضاعة علي وزينب ونور الهدى والتومة، أما رضيعه فتوفى صغيراً.

أما نشأته منذ نشأ وترعرع في بيت دين يحمل ذكرى عطرة لاسم جده مجدد الدين وقائد الثورة المهدية محمد أحمد المهدي، الذي طبقت سيرته الآفاق وسجل في التاريخ مع جند الله أروع الصفحات.

الإمام الهادي ومراحله التعليمية :

نشأ الهادي المهدي في بيئة أنصارية معافاة تماماً، ولعب مع أترابه كحال الأطفال في ذاك الزمان، ودخل الخلوة وحفظ القرآن الكريم في تقابة مسجد الكون[2] بالجزيرة أبا على يد الفقهاء علي البدري، ومهدي هارون، وأحمد الشيخ، وهم من أشهر فقهاء ذاك الزمان.

أما المرحلة الوسطى فهي مرحلة الإلمام التام بطبيعة الحياة وتقدمها برحلة من المولد والنشأة إلى رحاب البقعة التي أضحت علامة بارزة ومكانة مقدسة للأنصار، لأنها تمثل تاريخ قائد ورسالة زعيم واسم دولة جديدة شغلت العالم ردحاً من الزمان. فقد تلقى تعليمه الأولى بمدرسة الجزيرة أبا بالغار، ثم انتقل إلى أم درمان حيث التحق بمدارس الأحفاد، واتخذ من العباسية سكناً مع جدته لأبيه السيدة مقبولة، وكان يقضي عطلته

---

[1] من وثائق قسم التراث والتوثيق، كلية الإمام الهادي، المرجع السابق، ص٥.

[2] المسجد العتيق في الجزيرة أبا.

الصيفية حسب إشارة الإمام بالجزيرة أبا، كأنما كان الإمام عبد الرحمن يرى أن انطلاقة الطفل التعليمية وانطلاقته الجهادية والنضالية ترتبط بالجزيرة أبا إحياءً للذكرى والتاريخ.

يذكر إسحاق محمد الخليفة شريف[١] أن الهادي المهدي واصل تعليمه الابتدائي في مدينة رفاعة شرق النيل الأزرق بولاية الجزيرة، ثم في مدارس الأحفاد بأم درمان، فكلية غردون، ثم كلية فكتوريا بالإسكندرية، وكان كثير القراءة والإطلاع في معظم العلوم وتعمق حسب موروثاته في العلوم الإسلامية، حيث تبحر في تفسير القرآن الكريم، والسيرة العطرة، والفقه، وأصبح لتقواه وهيبته مصدر ثقة لدى الأنصار والعامة في تبليغ الناس عبر الخطب والدروس والرسائل أهمية معرفة ما جاء به الإسلام.

الإمام الهادي: صفاته وسجاياه:

اتصف بالتقوى والصلاح ومواصلة القراءة والتبحر في كتب الدين وقيام الليل صلاة وتعبداً وذكراً فقد ذكر محمد حسن آحيمر وصبر عبد الرحمن[٢]، وهما من أبناء الجزيرة أبا وسليمان أديب[٣]، أن (الهادي) كان في رحلاته وتنقلاته يحمل معه فانوساً يضاء بالشمع يحمله معه في (شنطته) يوقده بعد أن ينام من معه فيقيم الليل تالياً للقرآن الكريم في خشوع تبلل وجه دموع العابد التقي الورع، بينما يذكر مبارك قسم الله زايد[٤]، أنه طوال فترته التي قضاها بود نوباوي كان يشاهد الهادي المهدي قائماً يصلى الفجر ممسكاً بمسبحته في حالة تسبيح دائم، بينما أكد صبر عبد الرحمن رئيس هيئة

---

[١] إسحاق محمد الخليفة شريف، أحد رموز كيان الأنصار.. شخصية علمية شغل العديد من المناصب داخل وخارج السودان وله مكانة في تاريخ المهدية، وهو أحد الذين فاوضوا نميري.

[٢] محمد حسن إحيمر وصبر عبد الرحمن، من أبناء الجزيرة أبا يجمعهم كيان الأنصار، رافقا الإمام في مسيرته.

[٣] سليمان أديب: من مواليد ١٩١٩م بأم روابة شرق كردفان، من قبيلة الهبانية والده من مواليد المهدية في أم درمان، والملازمين وجده مدفون في الشهداء، حيث كان مقدم ملازمين.

[٤] مبارك قسم الله زايد: الأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية، والذي سكن حي ود نوباوي ١٩٥٥م.

الملازمين ومن أقرباء الهادي المهدي أنه كان دائم التعبد وقراءة القرآن ومداومة على صلاة الفجر وتلاوة خمسة أجزاء من القرآن الكريم.

ويؤكد الشريف حسين الهندي[1]، وهو زميله ورفيق دربه وصديقه الصدوق بأن صلته قوية وثابتة لم يؤثر عليها مرور عشرات السنين ولا عبور للعديد من المشاكل، ولا اختلاف الانتماءات السياسية وكان تقديري لصفاته الخلقية والدينية ووطنيته واستقامته وأمانته ووفائه، وبعد التجربة والمعايشة الدائمة منذ أن كنا أطفالاً، كان يكبرني ببضع سنوات ولم تكن وليدة الاسم ولا الأسرة بل هي ثمرة التجربة الطويلة المتواصلة والاختيار اليومي في صغار الأمور وفي كبارها خلق بيننا ثقة متبادلة ومحبة متواصلة ويضيف الشريف الهندي للتاريخ وهو يتحدث عن سيرة الهادي المهدي رفيق طفولته وصباه ورحلة العمر الممتدة الطويلة ويؤكد: (أنه كان المتدين ليس بالوراثة، والأمين ليس بالأسرة، والوفي ليس بالقلب، والشجاع لا بالولادة بل بالمعدن والأصل والطبع والخلق وكنت أعايش مشاكله وآماله، ومثله وقيمه، كما لم يعشها ويعرفها أقرب الناس إليه من أفراد أسرته، وأؤكد أن جماهير الأنصار منذ الإمام المهدي لم تلخم بشخص أيقظ فيها الشحنة الدينية التي صفت المهدية، ولم يعاشر الأنصار من يقارنه تديناً والتحاماً بهم واقتراباً من مشاعرهم مثله وليس هذا بغريب فقد كان تدينه الفطري واستقامته الغريزية وامتزاجه بالبسطاء.. رهبان الليل وفرسان النهار تؤكد استقامت..

والباحثة تثبت بهذه الشهادة للشريف حسين الهندي مكانة الرجال في ذاك الزمان فرغم الاختلاف في الانتماء والآراء إلا أن شهادة الهندي كانت بمثابة وسام يزين به تاريخ الرجل لتتناقله الأجيال وهي تعاود كتابة التاريخ فتبين لها أن جيل الأمس هو جيل الوفاء فالهندي صديق طفولة وزميل جهاد طوله طول الحياة بشدتها ورخائها، والصديق يعرف عن صديقه ما لا يعرفه أقرب الأقرباء وشهادته معتبرة عقلاً وشرعاً.

---

[1] الشريف حسين الهندي: القيادي والسياسي ورفيق الإمام.

بينما يذكر سليمان أديب[١]، أن من أهم صفاته أنه كان يمتاز بالصبر والعزم والجلد وسداد الرأي ولين الجانب والتواضع للناس وكان في غاية الحياء فانتزع بهذه الصفات احترام الناس بأخلاقه وروحه الدينية العالية والاستشارة في كل صغيرة وكبيرة، حيث كان يصغي لكل كبير وصغير يحب مجالسة البسطاء ويستمع إلى القصص وينبسط معهم في أحاديثهم.

ويذكر كامل شوقي[٢]، أن الصفات الحميدة والخصال الطيبة والتواضع الجم وحفظ كتاب الله وتقواه وصلاته وقيامه الليل وتبسطه في الحياة، فتحت له النوافذ والأبواب ليدخل قلوب الأنصار فصار مصدر إعزازهم وقائداً لمسيرتهم.

بينما تؤكد زوجته رقية عبد الله الفاضل[٣]، أنه كان رجلاً متديناً عطوفاً بسيطاً في تعامله كريماً في معاملاته لطيفاً مع أسرته وأولاده، قائماً بالليل قارئاً لكتاب الله ذاكراً لا تفارق المسبحة يده.

بينما يذكر مهدي إبراهيم[٤]، أن الهادي المهدي كان قائداً شجاعاً وأميناً وصادقاً، حمل الأمانة وأدى ما عليه واستشهد في سبيل رفع راية الإسلام والدفاع عن حقوق المواطنين ووقف بحزم وقوة ضد بزوغ نجم التيار الأحمر الجارف الذي كان يسعى لتقييد الهوية والتاريخ وقيادة البلاد إلى التهلكة.

---

[١] سليمان أديب، مرجع سبق ذكره، ص ٦

[٢] كامل شوقي: أحد كيانات الأنصار.. زراعي مخضرم وأول وكيل للغابات في السودان.

[٣] رقية عبد الله الفاضل: زوجة الإمام وابنة مهندس سياسة حزب الأمة وساعد الإمام عبد الرحمن، سياسي مخضرم وعضو مجلس سيادة. ورقية خريجة كلية المعلمات وهي من الرعيل المثقف.

[٤] مهدي إبراهيم، أحد قادة ورموز التيار الإسلامي. سياسي وإعلامي قاتل في صف الإمام ضد مايو إعلاءً لكلمة الحق والديمقراطية ودحضاً للشيوعية.

بينما يؤكد الكاروري[1]، أن شخصية الهادي القوية جعلت الوفود تترى إلى الجزيرة مساندة ومؤيدة وأعطته زمام القيادة والمبادرة لأنه رجل دين لا يختلف حوله ورجل سياسة وحكمة فالتف حوله أهل السودان بتنظيماته وأحزابهم للوقوف ضد المد الأحمر الجارف.

وتؤكد الباحثة أن الذي الجيل عاصره هو جيل الحركة الوطنية والثقافية وقادة الرأي والفكر، فهو الجيل كما ذكره محجوب عمر باشري[2]، موضحاً أن هناك قيماً مهما تقدم العلم وتقدم الإنسان وهي واضحة إلا وهي الحق والحرية والخير والجمال، فهذا الجيل أخرجنا من الظلمات إلى النور وأحسنوا إلينا وجاهدوا، وقال تعالى في كتابه العزيز:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[3].

الإمام الهادي: حياته زوجاً ورباً لأسرة:

تزوج ثلاثة من السيدات هن زهراء خالد شيخ الدين خليفة المهدي وهي أم أولاده ولي الدين ومعتصم وعبد الرحمن ومحمد علي وأم بناته مريم ومرام ثم فاطمة الصادق العمدة، وهي أم ولده مهدي ورقية عبد الله الفاضل المهدي فهي أم أولاده الفاضل ونصر الدين والصادق وبناته رحيمة وبخيته وبرهان وعاطفة وعبلة وصديقه وكان في تعامله مع أولاده جميعاً عطوفاً كريماً سعى إلى تربيتهم تربية دينية مع دروس عصرية وكان حنوناً عطوفاً عرف كيف يعلم أولاده أن يكونوا النواة الطيبة لمستقبل ينتظرهم لحمل الأمانة ومواصلة المسيرة.

بينما كانت داره تستقبل من يحط من الرجال، دار كرم ودين وثقافة ووطنية وتاريخ ممتد مواصلة لتراث الأجيال وتضيف زوجته رقية بأنه حرص على تعليم أولاده

---

[1] الكاروري: قيادي إسلامي كافح وناضل من أجل إعلاء كلمة الحق.. كان من ضمن القياديين الذين وفدوا إلى الجزيرة أبا.

[2] محجوب عمر باشري، رواد الفكر السوداني، دار الفكر الخرطوم، دار العالم الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ص٧.

[3] سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

في المدارس والجامعات، وأن من أهم صفاته عزوبة الحديث وحسن المعشر مع هيبة ووقار ومعرفة بأقدار الرجال وأنسابهم، فقد كان شخصية فذة تمتاز بالصبر والحكمة وحسن المعاملة، وكانت له صلات مع جميع الأحزاب وقادتها ورجالات المجتمع المدني، مواصلاً لكل ألوان الطيف السياسي وله صداقات مع أسرهم، وكانت علاقاته تقوم على التراحم والتكافل والحب.

والباحثة تدحض افتراءات النظام المايوي وآلته الإعلامية التي رسمت خيوط تضليل الشعب السوداني بما بثته من أكاذيب، هؤلاء الذين فقدوا فضيلة التفكير الهادي، وتناسوا أن الشعب السوداني يدرك تاريخ الرجال، ويحفظ لصناع الحركة الوطنية مكانتهم، ويعلم أن الذين سعوا لرتق النسيج السوداني والحيلولة دون أن تلحق بالمجتمع المدني بوادر الانهيار السياسي والديني والاجتماعي.

هؤلاء الأفذاذ لن يكونوا إلا بوابات للتاريخ تستمد منها الأجيال مواقفهم الشجاعة من أجل حرية المواطن وعدالة المجتمع.

لقد حاول النظام المايوي الإساءة والتجريح ليس لكيان الأنصار فحسب بل وللدين الإسلام الذي رفع راياته الإمام المهدي والأئمة من بعده والتي سعى الإمام الهادي لتطبيق شرع الله، لقد وظف النظام المايوي آلته الإعلامية بتصوير الإمام الهادي بالشخصية الماجنة التي تشرب الخمر، وتمارس الرذيلة، وتناسى أن الإمام الحافظ لكتاب الله رجل مجتمع يعرفه شعبه بالتقوى والصلاح.

وهنا تنوه الباحثة إلي جملة الحقائق التالية التي ذكرها العقيد ركن معاش محمود توفيق حراز وهو من ضمن الكتيبة التي دخلت الجزيرة أبا مع أبو القاسم محمد إبراهيم حيث يذكر[1]: (للحقيقة وأنا مسئول أمام الله عن كل كلمة أذكرها أنني كنت أشر بمدى كراهية الرائد أبو القاسم للإمام الهادي وكيان الأنصار، كان يسعى لاعتقال الإمام وفشل.. ويسعى لدخول الجزيرة ليرى الأعلام البيضاء مستسلمة وفشل، ولكنه دخلها

[1] العقيد زكي محمد توفيق حراز، عن لقاء الباحثة به بمنزلها بأم درمان وبالعرضة والدوحة.

بأكبر مجزرة في تاريخ الإنسانية بطيران مصري يقوده حسني مبارك فدك الجزيرة دكاً وكان أكثر سعادة بذلك فخلف الجرحى والرعب الذي ساد مجتمع الجزيرة ومنظر الأشلاء والأطفال والنساء والدمار الذي لحق بالجزيرة. كل هذا لم يحرك مشاعره الإنسانية.. فالهدف عنده محدد وهو إخماد كلمة الحق، وقد أحزننا أن نرى أهلنا يموتون بهذه الصورة المحزنة والشعار المرفوع وقتها الله أكبر ولا إله إلا الله.. لقد اهتزت جوانحنا وتوقف الزناد بين أناملنا ولم نسعى لقتل النفس التي حرم الله قتلها.. واحتفظت ذاكرتنا بتلك الصور المحزنة.

أما عن الشائعات والمزاعم التي أطلقها النظام المايوي ونشرتها الصحافة السودانية وعكستها الوكالات بتواجد عدد كبير من زجاجات الخمر والملابس الداخلية النسائية، فالأمانة تقتضى تصحيح تلك الوقائع للتاريخ فمثلى لا يتحمل وزر إدانة رجل حافظ لكتاب الله وداعياً للحق أن أتهمه وأحاول تشويه صورته، والحقيقة تقول أن هناك استهداف مرسوم سعى لتحقيقه الرائد أبو القاسم لعلمه بأن الطيار استيورد الإنجليزي المولد وصاحب الجنسية الكندية والمسئول عن قيادة طائرة الإمام والذي كان يسكن مع زوجته في الفرقة الأخيرة من الجزء الشمالي من الطابق الثاني هو الذي كان يحتفظ بزجاجات الويسكي دون معرفة الإمام أو من بالقصر، ولم يشاهد في أي يوم مخموراً ربما كان يتعاطاها ليلاً حسب طبيعة حياته، وبتعليمات من الرائد أبو القاسم لصغار الضابط والجنود تم إدخالها إلى غرفة الإمام كما تم تصويرها وعرضها على الأجهزة الإعلامية، وأقسم صادقاً أن الذي حدث فبركة مايوية شيوعية، فالإمام برئ من ذلك، وأؤكد كشاهد عيان مرة أخرى أن الطائرات التي ضربت الجزيرة أبا مصرية، وهو ما أكده العقيد حامد محمد أحمد[١]، الذي أكد دو ر مصر بقيادة حسني مبارك وتعليمات عبد الناصر التي نقلها السادات لنميري بضرب الجزيرة أبا.

---

[١] العقيد حامد محمد أحمد، عند تناوله لأحداث الجزيرة أبا مع الفاضل محمد بشير السكرتير الخاص للإمام الهادي وزوج رحيمة الإمام الهادي.. وقد التقت بهما الباحثة في مطلع عام ٢٠٠١م بمنزلها بأم درمان.

أما عن تواجد الطيار أثناء الأحداث، فقد صدرت له التعليمات من قبل الإمام بمغادرة الجزيرة أبا إلى أثيوبيا وبعدها إلى كينيا وقد ظلت الطائرة في كينيا حتى باعها نميري. وهذه شهاداتي أمام الله للتاريخ وحتى يحفظ في سجلاته مواقف الرجل الذي وهب نفسه من أجل الشريعة الإسلامية، ووقف ومن معه صفاً قوياً ضد الشيوعية والإلحاد ومحاولة هدم القيم والموروثات.

وقد أكد محمد إبراهيم أبو سليم[1]، هذه الحقائق فذكر: (أنه طلب من الرئيس نميري السماح له بدخول الجزيرة وقصر الإمام وقد سمح له بذلك وقد هاله النظام الذي وجده في غرفة الإمام واحتفاظه بأدق الأشياء مرتبة منظمة لم تمسها يد ولم تعبث بها الأيدي الآثمة، وهذا يؤكد أن دخول الخمور كان متفقاً عليه.. أنني للتاريخ أؤكد بأن كل شيء في غرفة الإمام ينافي حقيقة ما ذكره النظام وإدعاءاته ومحاولاته تضليل المجتمع السوداني.

[1] محمد إبراهيم أبو سليم: مؤرخ سوداني معروف، ومدير دار الوثائق المركزية والباحث في التاريخ والمهدوي، عند لقاء الباحثة به في أكتوبر ٢٠٠٣م، بمنزلها بودنوباوي.



الفصل الثاني

الدور الاجتماعي للإمام الهادي

يجئ التناول لهذا الجانب الاجتماعي للإمام الهادي عبد الرحمن المهدي إستكمالاً للدورين السياسي والاقتصادي حيث يبرز شخصيته وعلاقته بالمجتمع وتعامله مع أفراده، وجماعاته، فهو صاحب عقيدة وعبادة ومعاملات وصلات، وفوق هذا وذاك فهو الحفيد للإمام الأكبر الذي حمل أمانة الدعوة وأدى رسالتها وترك لمن بعده أن يسير على منواله، وأن يهتدي بهديه، وهديه هو الإسلام وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو قد نشأ على قيم المجتمع وتقاليده، وموروثاته، لأنه من بيت رفع رايات العدل والحق، ومن أسرة لحمتها وسلالتها الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وال حبة في الله والتعاون والتكافل والتواضع بما يرضى الله ورسوله.

والباحثة ترى أن من آلت إليه قيادة المجتمع الأنصاري لابد أن يكون بثقافاته وعاداته ملتزماً بالعرف وبالاحترام.

يركز علم الاجتماع السياسي دراسته على الصفوات ومجموع أعضائها، وعلى تنسيق مظاهر الصراع بين جماعات المصلحة والجماعات ذات النفوذ الرسمي، وكان اهتمام علماء الاجتماع السياسي كما يذكر الصادق المهدي[1]: (أنهم اهتموا على وجه الخصوص بالأحزاب السياسية كتنظيم اجتماعي، وبالتالي فإن علم الاجتماع السياسي عند علماء السياسة والاجتماع في الفكر الحديث هو الفرع الذي يهتم بالأسباب والنتائج الاجتماعية لتوزيع القوة على نحو معين على نطاق الجماعات أو فيما بينها، ويهتم بالصراعات الاجتماعية والسياسية التي تؤدي إلى التغيير . ففي هذا المجال الذي يرتبط بعلاقاته بالمجتمع فقد عمل على جمع وحفظ كيان الأنصار لما يتمتع به من صفات فقد استطاع بخبرته المكتسبة وبثقافاته المتنوعة وبشجاعته وبتواصله وباهتمامه بأمر المجتمع أن

---

(1) الصادق المهدي، جهاد في سبيل الديموقراطية، مطبعة الأمة، بدون تاريخ، ص ص٨٧-٨٨.

يجد قبولاً لدى العامة، فالأنصار يـذكرون نشـاطه ودوره الجهـادي منـذ أحـداث مـارس ١٩٥٤م، عندما خرج الأنصار يستقبلون ضيف البلاد محمد نجيب رئيس جمهوريـة مصـر، فقد كان لشجاعته وموقفه الأثر الأكبر في النفوس، وهو ذات الدور الـذي شـهد مواقفـه عند أحداث المولد النبوي الشريف بميدان الخليفة، بين الأنصار وحكم عبـود، والـتي راح ضحيتها اثنا عشر شهيداً أنصارياً تعرف عليهم فرداً فرداً.

لقد كونت الأحداث المتلاحقة شخصيته إضـافة إلى ثقافتـه الإسـلامية العميقـة، وحصيلته من الثقافات السودانية التي اكتسبها من مجالس الكبار، من أهل العلم والثقافـة الذين كانوا يفدون لدار والـده، فقـد أثـر ذلـك في تكـوين شخصـيته وأنصـب اهتمامـه بالتاريخ، لأن آثار الماضي يتولى حفظهـا وحمايتهـا الجيـل اللاحـق، وبالتـالي فإنـه شـجع الطلاب على فنون المسرح، كما كان يحب قراءة الشعر الـذي يـدعو إلى الجهـاد، والـذي يجسد الشخصية الأنصارية ودورها في الحركة السودانية..

لقد كان سـلوكه مـع المجتمـع يجسـد معنـى الحـديث النبـوي الشـريف: (الـدين المعاملة)، فقد كان يتعامل مع المجتمع من باب التكافل والإخاء والسـماحة، يقـوده تقـواه وورعه في تفهم قضايا المجتمع وهو في تعامله يراعى الله وسنة المصـطفى صـلى الله عليـه وسلم: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

وبحكم موقعه القيادي فقد كان يتلقي العديد من لحظات من المجتمع عامة، فكان يرد عليها ويتجاوب مع مطالبهم، فقد كان قلبه يتسع لقراءة خطابات البسـطاء والفقـراء الذين كان يجلس بينهم، ويحل مشاكلهم ويعلمهم أمـور ديـنهم، ويـدعوهم إلى التمسـك بكتاب الله، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليـه وسـلم، ولم تكـن علاقاتـه الاجتماعيـة قاصرة على كيان الأنصار، أو من يرد إليه من كافـة أهـل السـودان، بـل كانـت علاقاتـه الاجتماعية تمتد حتى للجاليات الأجنبية التي اتخذت السودان وطنـاً، كالجاليـات الهنديـة، والإغريقية، والأقباط.

فالباحثة بحكم وضعها الأسري قد شهدت وعاشت تلك اللحظات الاجتماعيـة الرائعة التي غذت النسيج السوداني وأكملت دوره في وطن لا يعرف الفوارق الدينيـة أو

الاجتماعية، فقد كانت دار الإمام مشرعة الأبـواب لكـل أبنـاء الشـعب بكافـة طوائفـه، وبالتالي فإن الصلات مع الجاليات قد توطدت لأن شخصية الإمام لا تعرف التعصـب.. شخصية تعطي كل ذي حق حقه، وتخالط الناس بخلق حسن وتحترم إنسانية الإنسان

وهي في هذا المنعطف، تعطى أمثلة للتاريخ فالنفس الإنسانية تحفظ الجميل وتعيد الذكرى، وعطي كل ذي حق حقه، ففي زيارة قامـت بهـا إلى هـراري بزيمبـابوي التقـت باسبيروا الإغريقي وزوجته وسط المدينة وكانا على علاقة طيبة بالإمام، وكـان مـن أهـل حظوته في مجالس العلم والتعارف والتمـازج والثقافـة، وقـد خرجـا مـن السـودان بعـد استشهاد الإمام فقد شعرا بأنهما فقدا من كان يعتبرانه سنداً لهما، وظهـراً يحميهمـا رغـم اختلافهما معه في الدين وكانا قد نشأ في بورتسودان، ثم حضرا إلى الخرطوم وتعرفا علـى الإمام وعاصراه فلمسـا منـه عطفـاً ووداً وحبـاً للأجانب،إضـافة إلى شخصـيات قياديـة وثقافية مسيحي تعاملت مع الإمـام، فلـم تجـد إلا رحابـة الصـدر وسـعة الأفـق وعمـق الثقافة، هذا ما دفع البعض لاعتناق الإسلام على يديه[١].

ولأن الإمام ارتبط بالجماهير فهو يعرف مطالبها وحاجاتها إلى التعليم والصحة، ولأن منطقة الجزيرة مع توافد القبائل لاتخاذهـا مقـراً وسـكناً كانـت في حاجـة لمستشـفى يقابل هذا العدد والنمو السكاني المتكاثر، فقد وجه في خطابه[٢] لمؤتمر الوكلاء الذي عقد بالجزيرة أبا حيث يذكر كمثـال تـورده الباحثـة: (قـديماً قيـل الصـحة تـاج علـى رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، والعقل السليم في الجسم السليم، وإننا منذ عهد بعيد نتطلع إلى اليوم الذي يمكننا من إقامة مستشفى كامل على أحدث وضـع يمكـن سـكان الجزيـرة وضواحيها من أخذ العلاج السريع، وقد بذلنا جهداً كبيراً، وها نحن اليوم في مطلع شـهر نوفمبر من العام ١٩٦٨م في عهد الحكومة الائتلافية مع الحزب الاتحـادي بزعامـة السـيد إسماعيل الأزهري نتمكن من وضع حجر الأساس للمستشفى آملـين أن تـتم إجـراءات بنائه، ومباشرته لأداء رسالته في أقصر وقت).

---

[١] أسبيروا وزوجته، عند لقاء الباحثة بهما في زيمبابوي، عام ١٩٨٩م.

[٢] انظر الملاحق.

في هذه الرسالة تقدير لأهل الجزيرة أبا وضواحيها، وسعياً لتوفير الخدمات الصحية، ولكن والأهم فإن الباحثة تورد كلمات الإمام باستعماله كلمة بزعامة السيد إسماعيل وهذا إعزاز وتقدير واحترام لرجل كبير من رجل يعرف قيمة الكفاح، والنضال من أجل حرية الإنسان وتحرره من العبودية ويوضح نجاح الائتلاف القائم على الصدق والمودة، من أجل مصلحة إنسان الوطن وحمايته.

ومن جانب آخر وبحكم نشأته وتاريخ أجداده ولعلمه وثقافته واهتمامه بالعقيدة والعمل على تربية النشء على كتاب الله وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولحفظ النسيج المجتمعي فقد قام بتشييد العديد من الخلاوي والمساجد والمدارس، وهذا الاهتمام بالصحة والتعليم اتخذه نظام مايو مدخلاً للمفاوضات معه بواسطة حمدان وأبو القاسم محمد إبراهيم.

ولعلها باتت حقيقة مؤكدة في اعتقادي، أن الورقة التي حاول النظام المايوي اتخاذها ذريعة لدخول الجزيرة وتقديم الخدمات الصحي والتعليمية وجدت قبولاً وترحيباً من قبل الإمام الهادي، فهو يسعى لعمل الخير لأهله وأحبابه، ولكن النظام أراد أن يتخذها وسيلة للضغط وبموجبها يتم الغزو اللئيم الذي حدث فيما بعد.

وهذا ما يمكن تلمسه من نص الحوار الذي دار بين فاروق حمد وأبو القاسم والإمام الهادي، فقد ذكر حمد الله في بداية الحوار الذي دار بينهما: (إننا نؤكد تقديسنا للجزيرة أبا واعتقادنا الجازم بأنها تاريخ هذا البلد، وتراث هذه الأمة، وتقديراً للجزيرة أبا واعترافاً بما قدمت لهذا البلد من تضحيات، فقد قرر مجلس الثورة والوزراء تقديم بعض الخدمات الضرورية والأساسية لمواطني الجزيرة، هذه الخدمات إكمال المستشفى وإنشاء المدرسة الوسطى وبعض المدارس الأولية، والشفخانات، وأيضاً إنشاء نقطة بوليس من قوة صغيرة عدد أفرادها كاد لا يذكر، وقرر المجلسان بأن يبدأ تنفيذ هذه القرارات في ظرف أسبوع واحد).

كما تحدث أبو القاسم في ذات الاتجاه. وهنا كان الرد الذي لم يتوقعه الوفد، إذ أن الإمام رحب بتقديم الخدمات الصحية والتعليمية، وقال كيف نرفض مثل هذه

الخدمات الحيوية، وقد أنفق والدي الإمام عبد الرحمن ماله الخاص على تشييد المدارس، ومراكز التدريب المهنية والصناعية بالإضافة إلى أننا كنا وما زلنا نشجع قيام مثل هذه المنشآت وتحظى منا بكل أنواع العون المادي والأدبي، إننا نعتبر أن لأهالي أبا حقوقاً على الدولة، مثلما عليهم من واجبات، وإني لأرجو أن لا تسمعوا إلى ما يشاع من أننا نرفض ولا نرحب بتقديم الخدمات لمواطني الجزيرة فهذه مزاعم مردودة ولا تمت إلى الواقع بصلة.

والباحثة تثبت للتاريخ هذه المعلومات كشاهدة عيان تؤكد أن الجزيرة أبا قلعة الجهاد والعمود الفقري له، فتحت ذراعيها لمايو لتحقيق هذه الأهداف، إلا أن ما كان يضمره النظام والنية المبيتة لتصفية كيان الأنصار، والعمل على تصعيد الأحداث وخلق الصدام وإطلاق اسم الرجعية والتبعية والتضليل ونسج القصص والحكاوي، وتلفيق الاتهامات والإساءات والتجريح هو الذي فتح نوافذ الدم، دفع ثمنها الأبرياء الشرفاء من أبناء الوطن، وقد قام بتوثيق هذا المحضر للتاريخ محمد عبد الله الطاهر[(١)]، وهو سجل يوضح الحقائق التي حاول ذات النظام تغيير معالمها تبريراً لما ارتكبه من جرائم.

أما من ناحية المراعاة الاجتماعية وعلاقاته العامة والخاصة بالمجتمع فقد كان ودوداً يعرف أقدار الرجال ويعز مكانتهم، ويقدر تاريخهم لأنه يعلم أن الخلافات في مجتمعنا السوداني القائم على التسامح لا تفسد حبال الود بين أبناء الوطن، وأن الالتزام بالعرف السوداني والحفاظ على التقاليد والموروثات هو من أهم مقومات العمل الاجتماعي، لذا فقد كانت زياراته للمجلس العسكري إبان حكم الفريق عبود رغم الخلاف السياسي الذي حدث على حساب وأد الديمقراطية، والحريات العامة، إلا أن هذا لم يمنعه من تبادل التهاني وزيارات القوات بنادي الضباط والاحتفال معهم في المناسبات الوطنية.

---

(١) محمد عبد الله الطاهر: أحد كوادر الأنصار والذي حضر المقابلة بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٦٩م، وقام بكتابة محضر الاجتماع.

لذا وبروحه المشبعة بالدين والتي تعرف عظمة الشرع وتعلقه بالمساجد وبقراءة القرآن والأدعية والجلوس بين العامة ألبسته الكثير من المزايا، فمن تواضع لله رفعه فهو حافظ ودارس للتاريخ الإسلامي، يقتدي بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن المحبة شرط في دخول الجنة (ولن تدخلوا الجنة حتى تحابوا)، لذا فإن كيان الأنصار الذي قدم المهج والأرواح والشهداء على مدى تاريخنا الحديث والمعاصر اتخذ هذه الصفة من قائد ركب الإنسانية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، صفة يتنادون بها وقد انعكست على محبتهم لقادتهم وأئمتهم في احترام وتوقير، ومحبة نابعة من القلوب لا تسلب المحب حق المناصحة ولا توجب عليه ذلك من غير أن تؤثر على خصوصية العلاقة بين الطرفين.

لقد اكتسب الإمام الهادي محبة الناس لأنه بسيط ومتواضع وقلبه معلق بالمساجد ولأنه عاش بينهم يجسد لهم العقيدة ويفتح لهم بوابات العلم والمعرفة، فقد التصق بالأنصار وجالس كبارهم وكان يستمع لهم لأنه ولد بينهم، وتعلم في مراحله الأولى بين أقرانه وأترابه وأصحابه، فترسبت في قلوب الناس محبة عن معرفة وألفة سبقتها علاقات وزيارات ومعاصرة ووفاء.. وقد زار الإمام الهادي أغلب مديريات السودان، وتعرف على الأنصار في أماكنهم وقبائلهم وزعمائهم وأحوالهم المعيشية، في كردفان وجبال النوبة وملكال والكرمك والروصيرص وملوط وقفا وأولو وخور دوم وجبال ود رجب والأنقسنا وقيسان وتقلى والدلنج وكادقلي وتلودي والليري وكاكا وقدير وغيرها.. لمدة شهرين طاف هذه الأماكن متفقداً المجتمع عامة والأنصاري خاصة في صبر وحزم وجلد وسداد رأي ولين جانب وتواضع، فانتزع احترام الناس بروحه الدينية وأحاديثه التي كانت تسكب على السامعين الطمأنينة والاطمئنان فقد ازدادت معرفته بالمجتمع ومشاكله بقصص فرسانه بتفاصيل الحياة البدوية والقروية، حفظت ذاكرته أسماء الأمكنة والرجال فقدت رحلته بوابة حقيقية لأواصر المحبة ولمعرفة احتياجات الوطن والوقوف على تحقيقها.

فقد استطاع أن يحافظ على نسيج العلاقات المجتمعية في أحلك الظروف فالخلاف السياسي لا يعنى قطع العلاقات وأواصر المعزة فخلافه مع نظام عبود الذي وأد الديمقراطية لم يمنعه من الالتزام بالعرف السوداني، وتبادل الزيارات والمجاملات الاجتماعية، وحتى يكون التسامح هو وسيلة لصيانة حفظ المجتمع فقد أصدر بياناً تحت عنوان: (هذا بيان للناس) في يونيو ١٩٦٣م حيث قال: (لقد جرى العرف السوداني على الفصل بين العلاقات الخاصة والمجاملات الاجتماعية، وبين ما تقتضيه الاختلافات في وجهات النظر السياسية والمشارب العقائدية)، ويمثل هذا المفهوم والقواعد التي أرساها في المجتمع بسماحة الإسلام وحثه على التوادد والتواصل هو الذي جعل الزيارات متبادلة بينه والمجلس الأعلى للقوات المسلحة إبان فترة الفريق عبود، حتى في أعنف ظروف الاختلاف في الرأي، ومن هنا كان تبادل الزيارات في الأعياد والاجتماعيات.

هذه الروح هي التي جعلت كيان الأنصار يتعلق به إماماً وقائداً وزعيماً دينياً، فالعلاقة علاقة محبة وهي ثمرة طبيعية للتربية الإسلامية التي عاشها وللتاريخ الذي حفظه، وهو الإمام الذي يضع تعاليم الإسلام في حياته فهناك الاحترام والتوقير والمحبة الخالصة النابعة من القلوب، فقد كان محبوباً لأنه بسيط ومتواضع وقلبه معلق بالمساجد، وكان يعيش بين كيان الأنصار حياتهم البسيطة، وقد عاش جزءً من حياته بالجزيرة فأمه من بلدة الشوال القريبة من الجزيرة أبا وميلاده كان بالجزيرة وفيها نشأ وتعلم فأحبته وأحبها والإنسان دائماً يعشق بيته ووقع صباه. وفي حديث للأستاذ سليمان أديب[١]، وهو من المرافقين للإمام الهادي يذكر أن علاقته كانت مع أبناء عامة الأنصار الذين منهم أخوته في الرضاعة ولذلك ينسجم معهم كواحد منهم، وكان يعود إلى الجزيرة في إجازاته أثناء فترة دراسته بكلية فكتوريا، وكان يحضر معه أحياناً زميله في الدراسة الشريف حسين الهندي، وابن خالته عباس توفيق، ثم تناول أديب زيارات الإمام الهادي عام ١٩٤٨م حيث أوفد الإمام عبد الرحمن وفود إلى كل السودان في مهمة مسح اجتماعي بهدف

---

[١] سليمان أديب، مرجع سبق ذكره، ص ص ٧ ـ ٨ ، ٨

التعرف على الأنصار في أماكنهم وقبائلهم وزعمائهم وأحوالهم المعيشية، فكان من نصيب الإمام الهادي كردفان وجبال النوبة وغيرها. وقد زار الإمام أيضاً في كردفان كل المناطق في رحلة استقرت شهرين وما لفت نظر أديب أثناء الرحلة أن الإمام كان في غاية الحياء، فانتزع احترام الناس بأخلاقه وروحه الدينية العالية والاستشارة في كل صغيرة وكبيرة، وهكذا في علاقاته الاجتماعية في كل مكان يذب إليه يترك بصماته وعلامات محبة وإخاء، ولأن حياة الإنسان ترتبط بعطائه في رحلته فالباحثة جانباً من المحور الديني الذي كان إحدى علاقاته والتي عرفها عنه جميع أحبابه.

الإمام الهادي والمحور الديني:

كان عام ١٩٥٨م هو العام الذي طوي أهم صفحات النضال من أجل الحرية والديمقراطية والتحرر فقد استلم الجيش السلطة بقيادة الفريق عبود.. وكان كيان الأنصار بقيادة الإمام عبد الرحمن من المناهضين للحكم العسكري الذي أسند قيادة المعارضة للسيد عبد الله الفاضل المهدي ساعده الأيمن والأب الروحي لهندسة السياسة التي كان يقودها الإمام عبد الرحمن، جاء الإمام الصديق إماماً للأنصار وقائداً للجبهة الوطنية لمعارضة الحكم العسكري من أبريل إلى نوفمبر ١٩٦٠م، حيث بدأت الإجراءات لتأسيس جبهة معارضة قوية للحكم العسكري حيث أدى إلى اعتقال الصادق وأحمد المهدي والذي وصف بأنه امتهان كرامة بيت المهدي، إذ كانا يقومان بجولة تفقدية للأحباب بنواحي غرب السودان.

تطورت الأحداث بين الإمام الصديق والحكم العسكري بعد مذكرة الإمام لحكومة عبود يطالبه فيها بالتعاون على أساس العدل والمساواة ورفضت الحكومة المذكرة وتعدت على الإمام وأسرته، مما أثار غضب جماهير الأنصار، وقد تدخل عبد الله الفاضل المهدي وبعث برسالة لتهدئة الخواطر سكب فيها كل خبرته وحنكته السياسية بأسلوبه وبمعرفته بأقدار الرجال، فكانت رسالته المؤرخة بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٦١م والتي أوضح

فيها مكانة الإمام الصديق وكفاح والده مستنكراً ما لحق بالإمام وأسرته مطالباً بأن تسمح له الحكومة ولإتباعه بممارسة شعائرهم[1].

كان من نتاج هذه المعاملة العسكرية ضد كيان الأنصار أحداث المولد النبوي الشريف والتي تعرضت فيها جموع الأنصار إلى تحرشات السلطات الأمنية، وأن الذي حدث من تجمعات ناتج عن المعاملة القاسية من اضطهاد الحكومة لأتباع المهدي.

والباحثة تورد ما دار في الساحة السياسية التي آلت قيادة الأنصار فيها إلى الإمام الهادي بعد وفاة الإمام الصديق وذلك تحقيقاً للعدالة والأمانة التاريخية وتوضيحاً للحقائق فالرسم البياني للأحداث يوضح أهمية الدور الديني والقيادي للإمام الهادي المهدي، وتأكيداً لربط هذه الأحداث بالتفاف الجماهير بالجزيرة أبا لمقاومة حكم نميري هو ذات الدور الذي لعبته جماهير الأنصار في مدينة أم درمان، حيث امتلأت شوارعها والطرقات بجموع الأنصار التي توافدت لنصرة الحق وإيقاف اضطهاد الحكومة لآل المهدي، وأن تدفق الأنصار لبقعة المهدي سيزداد إذا لم توقف الحكومة اضطهادها لكيان الأنصار وقائده الإمام الصديق.

ولكن كانت الأقدار بالمرصاد ففي ٢ أكتوبر ١٩٦١م توفى الإمام الصديق المهدي وبدأت الخلافات والصراعات تظهر على السطح في خلافة الصديق الذي فطن لما يحدث من بعده فكون مجلساً للشورى قبل وفاته، برئاسة عبد الله الفاضل وعضوية أبناء المهدي الهادي ويحي وأحمد والصادق المهدي من أجل أن يحافظ هذا المجلس على شئون الأنصار واختيار الخليفة الذي يكون إماماً عن طريق الشورى بقرار الأنصار. وقد استطاع عبد الله الفاضل المهدي أن يضع حداً للصراع وأن يتناول بشخصيته المعروفة وباحترام الجميع له المخاطر التي ستحدث في حالة الانقسام وعدم الالتفات للتراث والقيم والموروثات. وقد عمل مع مجلس الشورى على اختيار الإمام الهادي المهدي إماماً للأنصار لما عرف عنه من ورع وتقوى وباختيار الإمام الهادي بدأت مرحلة جديدة في

---

[1] بخيتة المهدي، مرجع سبق ذكره، ص١١٨.

قيادة كيان الأنصار الذي أكد على قيادة الإمام الهادي في الاجتماع المشهور بمنزل الهادي في ٣ أكتوبر ١٩٦١م.

والباحثة تؤكد ما جاء في مجموعة أوراق السيد عبد الله الفاضل[١]، بمركز قسم التراث والتوثيق والتي توضح كيفية اختيار الإمام الهادي حيث جاء التالي: (بشهادة من حضروا وبحضور ذهني تام أوصى الإمام الصديق بخله الأكبر الصادق المهدي بوصايا جامعة وحكيمة فذكر: "مطلبنا مطلب البلد كله وهو الحريات العامة، الديمقراطية، حكم الشورى، بيت المهدي ما له مطلب خاص وما عنده عداء مع أي ناس.. أحرصوا على هذه المطالب مهما كلفكم الحرص.. الأنصاري يسير على ما هو عليه بقوة لرفع لواء الدين.. ابقوا عشرة على الأحباب والأصدقاء، يتألف مجلس شورى خماسي من السادة عبد الله الفاضل المهدي، الهادي المهدي، يحيي المهدي، أحمد المهدي، الصادق المهدي، وذلك المجلس يرعى أمورنا الدينية والوطنية بكلمة موحدة وعندما تلتقوا لأمر اختيار الخليفة الذي يكون إماماً ذلك عن طريق الشورى بقرار الأنصار) وقبل دفن جثمان الإمام الصديق اجتمع مجلس الشورى وقرر أنه نسبة لحرج الموقف ولضرورة توحيد صف الأنصار يجب الاتفاق على الخلافة فوراً فاختار بالإجماع السيد الهادي وتمت مبايعته.

وبعد مبايعته أوجز وعبر وأبان في كلمته مساء يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الثاني ١٣٨١هـ ٣ أكتوبر ١٩٦١م حيث قال: (أن المبادئ العظيمة التي وصى عليها شقيقي الإمام الراحل الصديق المهدي ستكون رائداً فيما أعمل أن شاء الله وسأبدأ في مجال الدين والوطن من المكان الذي انتهى إليه الصديق وأرفع الراية بإذن الله في الميدان الذي طاحت فيه وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

---

[١] مجموعة أوراق عبد الله الفاضل المهدي، أحمد جودة بقسم التراث والتوثيق-كلية الإمام الهادي.

صفاته :

كانت من أهم صفاته التواضع.. ومن أهم أدوات اتصاله بالجماهير هو المسجد، فقد كان يصلى أوقاته الخمسة بالمسجد، سواء في أم درمان أو الجزيرة أبا، كما كان يقدم دروسه الدينية بصفة راتبه في يومي الاثنين والجمعة من كل أسبوع، يبدأ الدرس في العاشرة صباحا وينتهي في الثانية عشر.. كان فقيهاً وعالماً ومحباً لكتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان مؤمناً بأن الإسلام يوجب على المسلم أن يطيع الله ورسوله أولاً وأول الأمر ثانياً والإسلام يوجب على المسلم إلا يطيع أحداً في معصية الله[١]. وفي منشوراته ما يؤكد اهتمامه بالدستور الإسلامي، وبالمجتمع المسلم المتكاتف المتعاضد القوى، فقد كان قدوته رسول الإنسانية، لذا فإنه كان يعتقد أن القوة التي مكنت الأنصار من القيام بأمر المهدية انبعثت من تفاعل القدوة الحسنة والتبصر وتعبئة الطاقات، لذا فقد كانت منشوراته وخطبه تدعو لذلك.

أما معاملاته مع مخالفيه فإن أهمها الخلاف بينه والصادق المهدي في منتصف عام ١٩٦٧م.. فالتاريخ يذكر أن اختياره جاء حسماً لكل خلاف وشقاق بين قادة كيان الأنصار، فما الذي يحدث إذا حدث خلاف متصاعد بين راعي حزب الأمة الإمام الهادي ورئيسه الصادق المهدي الخلاف الذي أدى إلى انشقاق الحزب وله ظروفه ومطامع البعض ومحاولة البعض زرع الفتنة بين أبناء البيت الواحد، فقد اعتبر الإمام الهادي: (أن من خالفوه تنكروا لمبادئ الحزب ومثله وتعاليمه واقترفوا في حقه ذنباً مشيناً وأهدروا سمعته وضيعوا عليه مصالح جماهيره)، وأضاف: (رأيت من الواجب عليَّ أن أنبه إلى هذا الخطر البالغ وأن نقابله بحزم خشية مغبة مضار هذا التصرف، وقامت الهيئة التأسيسية معنا وأقرت حل جميع الأجهزة السياسية ثم أعقبت ذلك بانتخاب أجهزة الحزب).

أحدث الانقسام هزة عنيفة بين كيان الأنصار فلم يكن أحد فرحاً بهذا الانشقاق لأنه يهدد التماسك والتسامح والتعاضد، التي اشتهر بها كيان الأنصار ولحدوثه في زمن

---

[١] انظر الملحق وبيانات الإمام.

نسجت فيه خيوط الفتنة بين الإمام والصادق مما أدى إلى انتشار الأقوال كذباً في حق الرجلين، كان الإمام أشد الناس حزناً وألماً لهذا الانشقاق، وهو الإمام المسئول عن الترابط والتضامن والحفاظ على كيان الأنصار، لذا فقد أكد أنه[1]، سيعمل على الحفاظ على الكيان: (فلن يفقد الأنصار القدوة الحسنة ولن يضلوا بإذن الله لأن هداية النور ودلالته متصلة القوى، (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [2].

وعندما أطلت على الأفق حكومة مايو وإطلاقها لشعارات اليسار وهجومها على اليمين ممثلاً في كيان الأنصار، وعندما وجهت رسائل إعلامها لوضع تصورات جديدة لسودان جديد، وعندما اتخذت شعارات التحدي والتلفيق والتزوير حل الوفاق محل الخلاف بين بيت المهدي وانطوت الصفحة المحزنة، وتم توحيد الجناحين وقتها قال الإمام الهادي (الصادق قطعة من كبدي)، وجل إطلاق سراحه بعد أن اعتقلته السلطات بعد مناقشات معها حول الحكم أحد شروطه الخمسة للتفاوض مع الانقلابيين أنه الإمام تسامى فوق الجراح وكانت الأحداث[3].

أما عن قيام الإمام الهادي وتوليه تنظيم الأنصار في عهده فالمعروف أن الزمن يحتاج لرجال الساعة ولتنظيم حديث يواكب ما تحدثه التغيرات في المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لذا فإنه قد ورث تنظيماً أنصارياً محكماً في شكل هرم قاعدته الأنصار وتتصاعد حلقاته ليكون الإمام على قمته قائداً دينياً ومرشداً وموجهاً وراعياً في شئون الدين والسياسة، يسرى توجيهه على كل الأنصار خاصة في السودان بقوة بيعة الرضا والاقتناع التي تربطهم به كان تنظيم الأنصار تنظيماً دقيقاً محكماً لا تماثله في دقته وانضباطه أدق أنظمة الجيوش.

---

[1] راجع الملحق.

[2] سورة الصف، الآية: ٨.

[3] انظر فصل الجزيرة أبا.

الهرم التنظيمي بالداخل:

تتكون قاعدة الهرم التنظيمي من مجموعات ثمانيات على كل ثمانية أشخاص مقدم ثمانية، وكل أربعة ثمانيات تتشكل فرقة على رأسها مقدم فرقة، ويسمى مقدم الثلاثين، وكل ثلاثة فرق عليها مقدم رأس مائة ويعطى رأس المائة علماً. وما زاد على المائتين يكون مسئولاً عنه مسئول يسمى سكرتير ويرأس هؤلاء جميعاً في كل منطقة وكيل الإمام ووكلاء الإمام مربوطون مباشرة بالإمام يتلقون منه التوجيهات، ويرفعون إليه التقارير ويقومون مقامه في المسئولية عن الأنصار كل في منطقته.

أما عن مؤهلات المقدمين فالاختيار يتم بالرضا والاتفاق كل من جماعته بمراعاة أن يكون أعلاهم همة وأدناهم ذمة وأقواهم إيماناً والتزاماً ما إجادة القراءة والكتابة والإلمام بالضروري من علوم الدين.

هكذا كان التكوين المتوارث الذي وضع فيه الإمام بصماته واحدة بطاقة روحانية وجعله ساعده الأيمن.. وهو وهم أجنحة الولاء للأئمة والأنصارية فهذا التكوين هو الذي وقف أيام حكم عبود وقدم الشهداء من أجل حرية الوطن والعقيدة، وهو الذي قدم الشهداء في كافة المعارك، وهو الذي وقف مع الإمام المهدي في ود نوباوي والجزيرة أبا رافضاً لحكم الإلحاد والشيوعية الماركسية، إنه التنظيم الذي رفع راية الإسلام نضالاً وكفاحاً[١].

والباحثة وهي تختص في هذا المجال يكفى أن تقول بأن الإمام العابد الزاهد القائد الشهيد قد رفع راية الحرية والعقيدة ومات دونها وشعاره (فلنمت ويحيا الدين).

العلاقة بين الدين والسياسة في فكر الإمام الهادي:

الباحثة تثبت في هذا البحث الحقائق الغائبة عن علاقة الدين بالسياسة، فالزمن الذي ولي فيه الإمام الهادي كان مشحوناً بتغيرات سياسية، وبظهور موجات يسارية قوية وبسياسات وتوجهات متعددة، فقد كان قدره أن يواجه في مرحلة حياته كل هذه

---

[١] انظر فصل الجزيرة أبا ود نوباوي.

الصراعات، وهو الذي اتخذ الدين وسيلته وغايته وشعاره.. وهو الذي حمل أمانة الرسالة المهدوية في الحفاظ على الثوابت وعدم النكوص عن تحقيق الأهداف التي رسمتها المهدية وقائدها الأول والأئمة من بعده، لذا فإن أنصافاً غير مؤتلفة من الناس تفصل بين الدين والسياسة وبعضهم كما يذكر دياب[1] يرى أن السياسة ليست من الدين بل إنها تتنافى معه بالنظر إلى ما يصدر عن بعض الساسة من خدع ومكايدات وسلوك يخالف تعاليم الدين ويجافي هديه. يلتقي في ذلك العلمانيون والمتدينون وبعض الذي هم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بعض العلمانيون يفعلون ذلك ربما عن جهل بالدين يريدون طرد الدين عن السياسة ليجردوا دعاته من أهم عنصر في دعوتهم ومنافستهم لهم بالنظر إلى ما تخلفه الدعوة الدينية على صاحبها من احترام وتقدير يبلغ في بعض الأحيان درجة التقديس والطاعة العمياء، أما المتدينون الذين يفصلون بين الدين والسياسة فبعضهم يفعل ذلك لعجزه ويكتفون من الدين بالعقيدة والفرائض الفردية والمعاملات الاجتماعية.

لكن الأمر عند الإمام الهادي الذي حفظ كتاب الله وتمرس في العمل السياسي وتخرج في مدرسة البيت المهدوي والذي عرف الأنصارية وتبحر في مياهها الصائبة العذبة، ونهل من معينها الذي لا ينضب، فإن الأمر عنده كما هو في عقيدة الأنصار وكما تثبته حقائق التاريخ وتؤكده مواقفهم وتوثقه خطبهم وأقوالهم وأفعالهم والتزامهم الذي تتناقله الألسن، ويتجاوز حدود البقعة فيصبح أنشودة أهل السودان هنا الجمع بين الدين والسياسة (على أساس أن الدين والسياسة قرناء لا يتم بقاء أحد بغير الآخر).

فقد كانت خطب ومنشورات ومواقف وأفعال الإمام المهدي وحياة المسلم (في شأن الله) من الركاب إلى التراب، كما قال الخليفة عبد الله التعايشي.. تاريخ المهدية الممتد عطاءً وصدقاً وتضحية وفداء، وكما كان شعار الإمام عبد الرحمن المهدي الذي هز مشاعر الوطن وحقق الأهداف (لا طوائف ولا تبع ولا أحزاب ديننا الإسلام ووطننا

---

[1] أحمد إبراهيم دياب، سبق ذكره، ص١٤٨.

السودان)، وهو أيضاً ما جاء في وصية الإمام الصديق (ليس لبيت المهدي مطلب خاص مطلبنا الأمة حققوا الحريات العامة وحكم الشورى).

هذا الطريق المرسوم هو الذي سلكه الإمام الهادي في خطبه وخطاباته، فقد كان مفصلاً وواضحاً وجلياً ومباشراً، ويؤكد هذا في خطابه الذي وجهه إلى الوكلاء وكافة الأحباب (أن هم المؤمن في هذه الحياة يجب أن يكون هادفاً لإحياء الشرع القويم والسنة المطهرة خصوصاً في هذا الزمان الذي لعبت بغالبية أهله الأهواء وتفرقت بهم السبل)، وأورد هنا قوله تعالى:(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1].

وذكر أن ذلك نهج سلفه الذي يلتزم به ولن يحيد عنه فقال: (فالإمام المهدي عليه السلام جدد الدين وقدم الشرع الحنيف واقتفى خليفته والأئمة من بعده الأثر في إحياء تعاليمه وسلوك نهجه وساروا على هدى من الله وبصيرة سالكين طريق الهدى والخير والرشاد فقادوا الأمة في الدلالة إلى الله أحسن قيادة، وإني سائر كما ساروا وادعوا إلى الله ببصيرة أنا ومن اتبعني وسبحانه الله وما أنا من المشركين "لن أحيد ولن أبدل ولن أغير").

هكذا كان الإمام الهادي طريقه رسالي وفترته خصبة بالمتناقضات وإيمانه لا يتجزأ عن الدفاع عن العقيدة ومسئوليته التاريخية أن يكون أميناً على المبادئ وأن يعمل في سبيل تحقيقها، لذا فإنه لم يكن غائباً فقد قال لأحبابه: (إنكم أيها الأحباب في سبيل تحقيق ذلك وفي سيركم للقيام بهذا الأمر تلاقون العنت وتكابدون المشاق والصعوبات في محاربة النفس والهوى وشياطين الإنس فخذوا حذركم وتعوذوا بالله من قطاع الطريق الموصل إلى الله رب العالمين والهادي إلى الحق المبين).

ومنذ ذلك التاريخ ربط الإمام الهادي بين المبادئ التي ينادى بها أهل ذلك الزمان وبين الإسلام فقال: (أن هذا الزمان الذي نحن فيه زمن الحرية والعدالة والمساواة

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

والشورى وهذه خصال الإسلام وتعاليمه الحقة التي جاء بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ووجه أحبابه قائلاً: (فاعملوا بينكم لإرساء قواعدها والتمسك بها كأمر لازم ويواصل في توجيه رسالته (اهتدوا واتبعوا ولا تبتدعوا فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى وإن الدين والسياسة قرناء لا يتم بقاء أحدهما دون الآخر).

ويوضح الإمام الهادي مكانة الأمة ولكيان الأنصار فهمه لتمام الدين وكماله وشموله ووجه الحياة وحاجات الأحياء فيقول: (الإسلام دين عملي وجهاد واقتداء وسمع وطاعة ورعاية ونصح وإرشاد وإيمان وإخلاص ومسئولية كبرى بين يدي أحكم الحاكمين). وخلص بعد ذلك إلى التوضيح بالتصريح فقال: (أن الإمام عبد الرحمن المهدي حيثما دعا الأمة السودانية للعمل بالسياسة كان هدفه وغايته أن يبرز وجه السودان المشرف ويصون مقدرته وحرمته لذا دعا لقيام حزب الأمة ليكون الواجهة السياسية للأمة جمعاء)، وخلص الإمام الهادي إلى تحديد المهام منها (جهاد النفوس والمحافظة على المبدأ والتوعية لتحقيق حكم الإسلام وتطبيق الحكم الصالح والشورى وسيادة الدستور الإسلامي والسير بالأمة في طريق الرقى والتقدم والرخاء والازدهار وحدة الصف وجمع الحكمة والتعاون على البر والتقوى والنهوض بمرافق الحياة والتربية السياسية المستمدة من القرآن والسنة السمحاء).

بهذا المفهوم تثبت الباحثة أن الإمام الهادي دفع حياته ثمناً لمبادئه والتزامه بتحقيقها فهي عنده التزام عقيدة، والتزام بالكتاب والسنة، ووفاءً للذين حملوه الأمانة بأن المهدية قائمة بالكتاب والسنة منذ بداية الدعوة ومسئوليته الحفاظ عليها.

الإمام الهادي والدستور الإسلامي:

والباحثة وهي تختم هذا المحور وللتاريخ توضح دور الإمام الهادي الرائد في الدستور الدائم للسودان وتؤكد أنه سكب خلاصة فكره وثقافته وتدينه في تحقيق دولة العدل والمساواة بتطبيق شرع الله، الرسالة التي قام من أجلها الإمام الهادي وسقط دونها الشهداء وتحمل وزر إنفاذها كيان الأنصار حتى لا تذوب هوية الوطن في انتماءات أخرى تقود البلاد إلى هاوية الضلال.

فعندما كانت الجمعية التأسيسية بصدد إجازة الدستور الدائم للسودان في فترة الديمقراطية الثانية (٦٤-١٩٦٩م) كان حزب الأمة يعمل بقوة من أجل أن يكون دستور البلاد الدائم دستوراً إسلامياً وكان الأمر بالنسبة للإمام الهادي هو: (إما دستور إسلامي نظيف ننعم بظله جميعاً وتنعم بخيراته الأجيال القادمة وإما دستور وضعي يفسح المجال أمام الفوضى والاضطراب والفساد السياسي وهذا ما نعيذكم بالله منه)، ومن ١٢ يناير ١٩٦٨م أكبر الوكلاء والمناديب المؤتمرين في الجزيرة أبا ما جاء في دستور الحزب في أن يكون الدستور الذي تحكم به البلاد هو الدستور الإسلامي الذي يستمد مبادئه من الكتاب والسنة عملاً بأن الإسلام دين ودولة).

إزاء تمسك الإمام الهادي بأهمية إقامة شرع الله حظي مشروع الدستور بتأييد أغلبية نواب الجمعية وقد أيد النواب المسيحيون من كتلة جبال النوبة والأحزاب الجنوبية في ذلك الوقت بعد أن تأكد لهم كفالة حقوقهم وحرياتهم في الاعتقاد والعبادة، وكمواطنين، ولكن انقلاب مايو ١٩٦٩م أطاح بالاتفاق حول الدستور وحرم البلاد من قيام دولة السودان الإسلامية الجديدة، فظهر على السطح الطابع الشيوعي المعادي للدستور الإسلامي، ومن هنا وطبيعياً أن يقف الإمام الهادي أمام الزحف اليساري ويرفع شعاره في مواجهته (لا سلا بلا إسلام فلنمت وليحيا الدين والوطن)، هذا هو موقف الإمام الحازم القاطع في تطبيق شرع الله فلا كرامة لما يخالف الإسلام ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن هنا أيضاً كان الطريق إلى الدفاع عن العقيدة والاستشهاد دونها وقد أراد الله له الشهادة.

المحور الاقتصادي:

درج النظام المايوي منذ توليه السلطة بعمل مظلات يحاول أن يقتحم بعدها التجمع الأنصاري أولاً، والمجتمع السوداني عامة ويحاول أن يضع غشاءات التعصب والتميز، ومحاولة مسح وقائع التاريخ الملموسة التي يعرفها الشعب جيداً، فالأعمال هي الموازين التي تعطي كل ذي حق حقه، فقد حاول النظام المايوي الشيوعي على استغلال

الأحداث بالجزيرة وود نوباوي وحاول تشويش الحقائق، والاصطياد في بحر الخبث وإلباس الباطل قميص الحق، فهي لم تكن مدركة لواجباتها ولا مسئولياتها لأنها تجاهلت الواقع ومسحت حقائق التاريخ، وغرقت في الخيار بين الواقع المعاش والنظريات الإلحادية التي حادت لتطبيقها وعجزت لأن الحقيقة بددت سحب الظلام، وهي التي كشفت الحقائق ففي لحظات التضليل وفتح أبواق الكذب من إذاعاتنا وأجهزة إعلامنا أدلى نميري بتصريح نشرته صحيفة الرأي العام[1]، أعلن فيه: (أن أراضي الجزيرة أبا كانت أساساً ملكاً للدولة استولى عليها آل المهدي بطرق غير قانونية وأن قرار الحكومة بإرجاع الأراضي للعاملين فيها يمثل إجراءً طبيعياً لرد الحقوق لأهلها).

بينما أوضح عثمان أبو القاسم في ذات العدد أن الجزيرة أبا انفتحت لتطبيق المفاهيم الاشتراكية.

والباحثة قبل أن تتناول المحور الاقتصادي ودور الإمام فيه توضح أن المجتمع السوداني بفطرته السليمة النابعة من طبيعة حياته وتركيب مجتمعه يعلم أن كل البيانات والتصريحات والآراء والأكاذيب ما هي إلا صناعة من جماهير اليسار الذين يتقيدون بالأيديولوجيات والنظريات تستعبدهم بحرفياتها وتجعلهم يتبعون لمصدرها، متناسين أن الماركسية التي يتنادون ويحتفلون بعيد ميلاد زعيمها ما هي إلا إطار عام ونهج في التفكير أكثر من كونها علاجاً سحرياً لا دواء لكل أمة خاصة كأمتنا المسلمة التي تنتهج في حياتها العقيدة والتسامح والإيمان.

فالذي يتحدث عن الجهل والفقر والفاقة يتناسى أن الشيوعية تحتاج إلى كوادر مثقفة لتحمل إشعاعها وتعكسه بين أبناء الجزيرة، فإذا كان الحال في الجزيرة دون ذلك فكيف نقول أن الاشتراكية وجدت الأبواب مفتوحة في الجزيرة أبا.. وهي معقل الأنصار ومقبلة القبائل ومنبع الدعوة الإسلامية التي قادها الإمام محمد أحمد المهدي.

---

[1] الرأي العام، ٤/ ٤/ ١٩٧٠، العدد ٨٧٣٠.

وللحقيقة فإن الباحثة[1]، توضح وفقاً للوثائق التي أوضحت أن انضمام تركياً صاحبة السيادة القديمة على العالم الإسلامي والعرب إلى جانب ألمانيا وبالتالي غدت في صفوف أعداء انجلترا وحلفائها، رأت تركيا أن تتوسل باسم الدين إلى محاربة انجلترا، وهذا ما أكده عادل شرفي[2] بأن أعلنت بعد دخولها الحرب أنها في حالة جهاد مقدس ضد الإنجليز، الذين انتهكوا حرمة العالم الإسلامي، وسيطروا على أهم بقاعه. هنا حاولت تركيا أن تتصل برجال الدين لتحصل منهم على تصديق بإعلان الجهاد المقدس وإلهاب الحماسة الدينية بالتودد إلى رجال الدين وكسبهم.. هنا اضطرت الإدارة البريطانية في السودان إلى الاعتراف بوجود المهدية ممثلة في شخص عبد الرحمن المهدي وسمحت له بالذهاب إلى أرض الجزيرة أبا، حيث يكثر أتباعه وينتشر نفوذه إمعاناً منها في كسبه إلى جانبها..

وللرد على حديث نميري باعتبار أن الأرض حكومية وهو لا يقرأ التاريخ ولا يستنبط المعلومات، ولكنه يردد ما يكتب له فإن الباحثة توضح أن الإمام عبد الرحمن المهدي طلب في عام ١٩٠٦م من الحكومة أن تعطيه أرضاً للزراعة بالجزيرة أبا، وتم له ما أراد فأعطيت له أرضاً مليئة بالأشجار فعمل على تنظيفها وزراعتها في مدى خمسة سنوات ووكلت له بموجب قانون التعمير الذي كان معمولاً به في ذلك الزمان.. وأصبحت الجزيرة أبا قبلة للقبائل، وقد استطاع الإمام عبد الرحمن المهدي أن يوظف طاقات محبيه في أكبر المشاريع فائدة يعود ريعها على الجميع مثلها مثل المشاريع الأخرى. فهل عرف نظام مايو بذلك، وهل درس معنى قانون التعمير وهل فتح مجالات العمل يعني استعباد الإنسان، وهل كانت دعوة الإمام المهدي دعوة للاستبداد والتعالي وأكل أموال الشعب أم أنها دعوة للتسامح والإخاء، والمودة والتعاضد والتكاتف وهي شعارات الأنصار التي عاشوا عليها.

---

[1] بخيته المهدي: عبد الله الفاضل المهدي ودوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ص٢٦-٢٧.

[2] عادل محمد أحمد شرفي، طائفة الأنصار، ماجستير غير منشور، جامعة الخرطوم، ص٤٣٦.

والجزيرة أبا هي مأوى ومنطلق لدعوة المهدي التي حفظت قلوب الأنصار وتاريخها وقاد المسيرة بذات المنهجية والأسلوب الإمام عبد الرحمن. والباحثة كمدخل لدور الإمام الاقتصادي تتناول لبعض المشاريع التي أدعى النظام المايوي استعباد جماهير أبا في زراعتها..

الجزيرة أبا: المشروع وأبعاده

يعتبر مشروع الجزيرة أبا هو المشروع الأب الذي امتزجت فيه محبة الأنصار، فكان من أكبر المشاريع إنتاجية، فقد اشتمل عند إنشائه على ثلاثة أقسام، قسم طيبة، الرحمانية، ود السلام، وقد هندس هذا المشروع عبد الله الفاضل المهدي لما له من حنكة ودراية بطبيعة الأرض والإنسان، فقد قام بإعداد التنظيم الإداري الخاص الذي أدى لنجاح المشروع وقد أمضى أكثر من ربع قرن في إدارته بقدراته الهائلة، وشخصيته الفذة واجتماعاته وتبسطه مع الناس، وحل مشاكلهم وغيرها مستعملاً سلاح التخصص دون مجاملات.

آلت إدارة المشروع بتعليمات من الإمام عبد الرحمن المهدي بعد تطور الأحداث في أعوام ٣٧-١٩٣٩م نتيجة الظروف الطبيعية وهبوط الأسعار وعدم مقدرة الإمام الصديق عبد الرحمن على تحمل مسئولية إدارة المشاريع التي آلت إليه والتي وصفها بالثقل وتشعب الجوانب، كان شهر يوليو ١٩٤٢م هو بداية التدريب الفعلي للإمام الهادي على تحمل المسئولية وذلك من خلال ما كان يسنده إليه الإمام الصديق من أعمال من أجل المساعدة وبالتالي بدأت المرحلة الجديدة بقيادة الإمام الهادي.

مشروع قوندال: تطوره ونتائجه

يعتبر هذا المشروع من المشاريع المروية بالنيل الأزرق وكانت من أنجح المشاريع في زراعة القطن، أو في السياسة التنظيمية وحل المشاكل وهو أيضاً من المشاريع الإنشائية التي تولاها عبد الله الفاضل المهدي وسجلت النجاحات.

ثم كانت مشروعات الجمالاب ومشروع الشوال فقد وضع عبد الله الفاضل كل خبراته تحت تصرف الإمام الهادي المهدي خاصة بعد أن أصبح في عام ١٩٤٤م مديراً لمشاريع دائرة المهدي بالجزيرة أبا، وعندها آلت المشاريع لتكون تحت إدارته، وهو حديث التجربة ولكن الاتفاق والتعاضد والاهتمام بالتربية الاقتصادية والإدارية فتحت المجال أمام الإمام الهادي لقيادة هذه المشاريع بنجاح تام.

كانت فترة إدارته لهذه المشاريع فترة إلمام تام بأهمية العمل الاقتصادي وهو دور أيضاً في تنمية العلاقات بين كيان الأنصار، يقوى الصلات ويدفع إلى التلاحم ويعد الأجيال بغدٍ مشرق فقد حفظ بهذه المشاريع كيان الأنصار الذين لم يرتووا من المهدية إلا الشدائد والمشاق.

والباحثة وهي تختصر في تناول هذا الجانب فهي تناولت المشاريع لدحض أكاذيب النظام المتسلط المايوي الذي حاول أن يصور مشاريع الدائرة التي يعمل فيها أبناء الأنصار بأنها استعباد، واسترقاق، وأن الأرض منهوبة وأنهم سيقومون بتوزيعها وحرمان آل المهدي منها ومن الدخول إلى الجزيرة.. حملة منظمة ومخططة لتدمير كيان الأنصار من كافة النواحي وهذا ما فشلوا فيه.

كما أن التربية الدينية المكتسبة والمتوازنة القائمة على العدل والمساواة والعقيدة والمحبة هي التي ربطت كيان الأنصار والأئمة ولم يكن الإمام الهادي إلا واحداً من تلك المنظومة التي وجدت الاهتمام من قبل الإمام عبد الرحمن المهدي الذي قام بإعداده لتحمل مسئولياته الاقتصادية والإلمام بالعمل الميداني والالتصاق بجماهير الكيان، وهو ما حقق النجاح للمشاريع وقوية الصلات بين الإمام وجماهير الأنصار ويكفى التجمع الهائل بالجزيرة أبا الذي جاء لنصرة الإسلام تحت رايات الإمام.

الإمام الهادي في محور السياسة السودانية:

كان وما زال التاريخ شاهداً على الحراك السياسي الذي هز المجتمع الدولي منذ أن أعلن الإمام المهدي في أوائل صيف ١٨٨١م في الجزيرة أبا التي أضحت معقل كيان الأنصار، ثلاثة من الأهداف والتي تتمثل في:

- العودة إلى الإسلام الصحيح إلى القرآن والسنة وإلى العقائد السنية الإسلامية.
- إطاحة الحكم التركي- المصري.
- توحيد السودانيين وتحريرهم من الولاءات القبلية والطائفية.

وقد ترك الإمام محمد أحمد المهدي بصماته في التاريخ كواحد من أعظم الزعماء الدينيين المسلمين كإحدى الشخصيات غير العادية التي قلما تظهر في التاريخ، وتجمع الحماسة الشديدة والقدرة العظيمة على القيادة الشعبية والعسكرية.. هذه الثورة التي قادها المهدي كما ذكر محمد أحمد محجوب[1] التي أصبحت للمواطن العادي غير المتمكن من أصول الدين إنما يؤمن بالإسلام. فقد كان لديه حنين متأجج إلى معبد الدين الصحيح وفاتح في سبيل الإسلام لذا كان المهدي لديه هو ذاك المعبد الفاتح برسائله وخطبة أن يجمع جميع الفئات المتخاصمة في السودان، لتحقيق أهدافه، هذا الحديث جعل الكثير في الخارج وخاصة لندن يتعاطفون مع الشعب السوداني فقد وصف غلادستون زعيم حزب الأحرار الشعب السوداني في إحدى المراحل بأنه يناضل بحق ليكون حراً والجنرال غردون الذي شغل منصب حاكم السودان العام أظهر العطف على ثورة المهدي وأن غردون وكثيرين غيره في لندن والقاهرة قدروا منذ البداية قوة الثورة ومدى التأييد الشعبي لها فقد كان عهد المهدية أساساً حكومة دينية، ولكنه شاهد تكوين شعب عملي في السودان وحول البلد إلى دولة.

وترى الباحثة أن الذي أحدثه الإمام المهدي بعد أول انفجار قومي أو أول زلزال قومي هز أركان العالم، ومنذ بدأت فصول الرواية في دور كيان الأنصار في مسيرة الحركة

---

[1] محمد أحمد محجوب، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

الوطنية في البلاد التي دارت دورتها بعد وفاة المهدي والخلفاء من بعده، إلى أن جاء الإمام عبد الرحمن المهدي مجدداً وقائداً للمسيرة لإحياء الكتاب والسنة والحرية والديمقراطية للمواطن، ولأهمية التوثيق فالباحثة تورد مذكرة للإمام عبد الرحمن إلى الوكلاء ومجموع الأنصار جاء فيها: (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله) وقال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم اللهم أغفر للأنصار وأبناء الأنصار واجبات وكلائي في الأنصار.

الدعوة للعقيدة والموعظة الحسنة عملاً بقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [١].

لقد بايع السودان كله وغيره من البلدان المهدي بيعة لا تقبل النقض وهي بيعة الله ورسوله بايعوه بالنفس والولد فمنهم من قضى نحبه ونهم من ينتظر وإن تغير الملك لا ينقض بيعة الدين.

لقد خلف المهدي بعده إماماً لربط جماعة الأنصار على تجديد البيعة عليه كما خلف المهدي راتباً أمر بتلاوته أو ما تيسر منه صباحاً ومساءً حفاظاً على هذه البيعة والرابطة الدينية المقدسة قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[٢]. وأن الأنصار هم بغية الله بإتباعهم للإمام المجدد المهدي المنتظر الذي هديه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (بقية الله خير لكم أن كنتم مؤمنين) وقال الرسول الكريم ما تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: (تفترق أمتي وكلهم في النار إلا واحدة ما عليه أنا وأصحابي) فقال حذيفة إذا حضرت أنا هذا الزمان فيما تأمرني قال: (تلزم الجماعة وإمامهم، قلت فإن لم يكن جماعة ولا إمام قال الرسول الكريم تعتزل هذه الفرق ولو تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

---

[١] سورة النحل، الآية: ١٢٥.

[٢] سورة الفتح، الآية: ١٠.

بعد هذه المقدمة التي بينت مركز الأنصار أبين واجبات الوكلاء نحو الأنصار وهي:

- تأييد الحركة للاستقلال لأنهم سموا الأنصار لهذا الفرص السامي وأنهم بذلوا نفوسهم وأرواحهم للجهاد في سبيل الله مع المهدي محرروا البلاد.
- تقويم الشباب لحفظ آداب الإسلام والتخلق بأخلاق القرآن وليكونوا مثالاً صالحاً لأمتهم.
- إنشاء المساجد كمراكز دينية للأنصار خاصة المسلمين عامة وإنشاء دور للشباب لقضاء أوقات فراغهم وجمع شتاتهم وحفظهم من مزالق السوء.
- تقويم النفوس على إتباع الشرع المحمدي.
- انتشار أبناء الأنصار في منظمات الشباب.
- رعاية مصالح الأنصار الدينية والاجتماعية والدفاع عنهم عند الحكام والرؤساء.
- خفض الجناح ولين الجانب مع المواطنين وعدم التعرض لأهل الطرق.

وعلينا أن نعرف أنهم يقومون بنصيب كبير ويعاوننا بتأثيرهم للحركة الوطنية وعليكم أن تعلموا الناس أن الشرع الإسلامي أكفل لمصالحهم وأقوم لحياتهم وأوفى لاستقامة أمورهم ديناً ودنيا. وإن الدنيا بغير الدين كالجسد بلا روح وأن الإسلام دين ودولة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [١].

تلك كانت رؤى الإمام عبد الرحمن المهدي الذي وحد الكلمة وجمع الشمل وحقق الاستقلال وفتح الدور التعليمية والتنموية والثقافية من أجل بناء الوطن، الجميع عنده أحباب دون الالتفات إلى مذاهبهم أو أحزابهم أنه حامل لواء المهدية ومجددها والحافظ لتقاليدها وآدابها والمهتم بشئون الوطن ووحدته وقوة شكيمة أهله وحبهم للحرية والديموقراطية [٢].

---

[١] سورة محمد، الآية: ٧.

[٢] محمد حسن حامد، مذكرة بمناسبة مئوية الإمام عبد الرحمن المهدي.

كان الإمام عبد الرحمن رمانة الميزان في تاريخنا السياسي وبحكمته وعلمه وثقافته وجد الكيان وقاد المسيرة وأعاد الهيبة لأهل الرسالة التي رسم خريطتها الإمام المهدي، لذا فإن التراث متوارث والمسئولية متبادلة فعندما توفى الإمام عبد الرحمن جاء بعده الصديق والذي سار على هديه بقوة شخصيته ومعرفة المجتمع السوداني به ومعرفة الكيانات بقوة تفكيره وبقيادته لكيان الأنصار والسودان، وعندما وافته المنية كانت وصيته التي تثبتها الباحثة لأنها تؤكد تواصل الأئمة في أداء الدور المحدد لهم في إقامة شرع الله وال حافظة على الوطن والدفاع عن أماني الشعب وتطلعاته، وقد كانت وصية الإمام الصديق بحضور ذهن صافي أوصى بخله الأكبر الصادق المهدي بوصايا جامعة وحكيمة (مطلبنا مطلب البلد كلها وهي الحريات العامة، الديمقراطية، حكم الشورى، بيت المهدي ما له مطالب خاصة وما عنده عداء من أي أحد أحرصوا على هذه المطالب مهما كلفكم الحرص، الأنصار نظام يسير على ما هو عليه بقوة لرفع لواء الدين.. أبقوا عشرة على الأحباب والأصدقاء، يتألف مجلس شورى خماسي من السادة عبد الله الفاضل المهدي، الهادي المهدي، يحي المهدي، أحمد المهدي، الصادق المهدي، وذلك المجلس يرعى أمورنا الدينية والوطنية بكلمة موحدة، وعندما تجتمعوا لاختيار الخليفة الذي يكون إماماً ذلك عن طريق الشورى بقرار الأنصار).

تلك كانت وصية الإمام الصديق وهي رسالة واضحة المعالم من أجل الوطن وحرية الإنسان والمساواة والعدل والتمسك بالعقيدة فهي وثيقة تاريخية فأصل الشجرة التي زرعها الإمام المهدي امتدت أعضائها وكانت دار المهدي دائماً ملاذاً لأهل السودان قاطبة عندما تتأزم المواقف وتحتاج لمواقف الرجال وقوة شكيمتهم.

الهادي المهدي والإمامة لكيان الأنصار:

اختار مجلس الشورى بالإجماع في مساء الثلاثاء ٢٤ ربيع الثاني عام ١٣٨١هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٦١م الإمام الهادي قائداً وزعيماً وإماماً لكيان الأنصار ومن هنا بدأ التاريخ السياسي الحقيقي للإمام المهدي الذي تولى القيادة، ورفع راية الحق وأعاد للكيان

هيبته ووقف شامخاً قوياً بعلاقاته التي وظفها لخدمة البلاد، فكيف كان الطريق حتى الاستشهاد.

الباحثة هنا من منطلق الصلة والتجول والمعايشة تتناول دوره السياسي، لقد بدأ الإمام حياته السياسية عضواً في حزب الأمة وكان من سياسة الإمام عبد الرحمن أن يرسل الوفود إلى الأقاليم في دراسات مسحية اجتماعية للتعرف على الناس والأنصار وكمدارس للتدريب والتأهيل مستقبلاً فالزيارات كتاب مفتوح وتجديد للذكرى وبيعة ومواقف واهتمام بالحياة العامة للكافة، وخاصة كيان الأنصار وكانت زياراته التي أشرنا إليها والتي أدت إلى تمسك كيان الأنصار بتنظيمهم لما لمسوه منه من معرفة ودراية وإيمان قوى بأن يقود المسيرة.

لقد تم انتخاب الإمام الهادي نائباً عن دائرة كوستى، وعندما تم اختياره إماماً للأنصار صار راعياً لحزب الأمة وتصدى لمسئولياته في معارضة نظام الفريق عبود العسكري الذي سلب الشعب حريته والتي استردها الشعب في أعظم تظاهرة شعبية لم يعرفها العالم وقتذاك، فقد قامت ثورة شعب أعادة الحرية والديمقراطية وأطل الفجر الجديد للوطن، دخل حزب الأمة الانتخابات الأولى موحداً ثم حدث اختلاف وانقسام إلى جناحين، جناح الإمام وجناح الصادق، وتولى الصادق رئاسة الوزارة تسعة مؤتلفاً مع الاتحاديين الديمقراطيين ثم حل الجمعية بقرار من مجلس السيادة الذي كان يرأسه الأزهري وجرت انتخابات خسر فيها الصادق ومعظم قيادات جناحه نقد الله وأحمد المهدي وفازت قيادات الإمام فدخل في حكومة ائتلافية مع الحزب الاتحادي الديمقراطي برئاسة عضو حزبه محمد أحمد محجوب، ثم نشطت الدعوة لتوحيد جناحي الحزب وتم التوحيد.

كانت فترة تولى الإمام قيادة الكيان حافلة بالأحداث لكنه كان صلباً يذكر الشريف الهندي[1] في مذكراته عن علاقة أسرته بأسرة الإمام المهدي قال: (ربط بيننا

---

[1] مذكرات الشريف حسين الهندي.

الإمام المهدي وهو يقود ثورة قومية وطنية ضد الاستعمار ثم ربط بيننا أخيراً آخر أمام هو صورة وأصل من الإمام الأول في دفاعه عن الدين والوطن، ثم هو أخيراً لا آخر يعرف أقدار الرجال يمنعه دينه وتعصمه وطنيته من الارتماء في أحضان الاستعمار قديماً وحديثاً، ثم هو يجمع ولا يفرق، يقرب ولا يبعد، يوطد ولا يبدد، هو واضح وضوح الشمس ماضي مضاء السيف، يمنعه خلقه ودينه من إتباع أسلوب الهمس في الغرف المغلقة والحسابات النقدية للربح والجري وراء الطموح والجنون للسلطة في أمر يخص كل وطنه ومواطنيه، لا يقبل لنفسه ولا لتاريخه أن يضع شخصه إطماعه وطموحاته في كفة وفي الأخرى مستقبل وطنه ومقدماته الاستقلال وكرامة مواطنيه.

والباحثة وهي تثبتت وثيقة الهندي في حق الإمام الهادي وشخصيته ومكانته توثق للتاريخ من منطلق الحرص على الحرية والديمقراطية، وحقوق المواطنة خطاب الإمام إلى رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة الفريق إبراهيم عبود يطالبه بعودة الديمقراطية وتثبيت حكم القانون وإلغاء القوانين المقيدة فقد جاء في الرسالة[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الفريق إبراهيم عبود

رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة ورئيس مجلس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد مضت على قيام الحكم الحاضر أربعة أعوام شهدنا أثناءها ألواناً من التجارب دلت على أن الحكم لا يستقر إلا إذا كفلت للإنسان حقوقه الإنسانية وحرياته، وأضاف قد كان أمر مصير الحكم في السودان موضع تعليقكم منذ أن بدأ النظام القائم وحرصكم أنتم دائماً على اعتبار الديمقراطية هدفكم الأسمى، وقد أشرتم في خطابكم ١٧/ نوفمبر/ ١٩٦١م إلى التخطيط الذي رأيتموه آنذاك مؤكداً الحكم الديموقراطي المنشود وأننا إذ نرى في تلك التصريحات دليلاً على اقتناعكم إرادة الشعب عاصمة

---

[1] رسالة الإمام الهادي المهدي إلى الفريق إبراهيم عبود، ٢٤/ ١١/ ١٩٦٢م.

للحكم، ترى أن مسئوليتنا الوطنية والشعبية تحتم علينا أن نسارع دائماً لإبداء الرأي وتوضيح المبادئ التي أجمع عليها السواد الأعظم من مواطنيكم، والتي انطوت عليها الصدور فلم تفسح لهم قوانين الطوارئ مجالاً ليعبروا عنها من أجهزة الخطابة والنشر كما هو الحال في بلاد الديمقراطية، لقد علمنا أنكم ستعلنون في ١٧ نوفمبر بعض التطورات الدستورية وأننا إذ نرقب باهتمام بالغ ما سيعلن نود أن نوضح الأسس التي نراها كفيلة بتحقيق الرغبات الشعبية التي تشكل الدعامة الأكيدة للتعاون بين الشعب والحكومة أثناء الفترة الانتقالية.

أن النقطة التي يلتقي عندها السودانيون أجمع شعباً وحكومة هي أن هذا النظام الحاضر موقوت تعقبه فترة انتقال يقوم بعدها نظام حكم ديمقراطي صحيح يكفله دستور يرعى سيادة القانون ويعطى الحريات الأساسية ويساوى بين المواطنين في الواجبات والفرص ويتيح لهم حق اختيار حكامهم.

لقد كان الوصول إلى ذلك الهدف موضوع المذكرة التي أرسلت لكم بتاريخ ١٢ مارس ١٩٦١م وما سبقها من مداولات حضرها السيدان اللواء طلعت فريد والأميرلاي مقبول الأمين الحاج، كما كان أيضاً موضوع التلغراف الذي أرسل لمعاليكم بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩٦١م وما تلته وما أعقبته من مداولات حضرها سكرتير المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وأننا في هذا المفترق من تاريخ بلادنا نكرر الأسس التي نراها سبيلاً إلى

الأهداف الوطنية والوحدة القومية تأكيداً للبلاد واستشعاراً للمسئولية التي على كاهلنا:

أولاً: تحديد فترة انتقال قصيرة ينظمها دستور مؤقت يحدد نظام الحكم ويكفل للشعب تمثيلاً حقيقياً قومياً عادلاً مع الحقوق التنفيذية والتشريعية اللازمة، ولضمان سير الأمور سيراً حسناً في فترة الانتقال نرى أن يكون الانتخاب المباشر والرقابة على الهيئة التنفيذية أساساً لقيام أية هيئة تشريعية مع توفر جميع صلاحيات التشريع لها وأن يكفل في ذلك كل الحريات الديمقراطية بإلقاء جميع القوانين الاستثنائية المقيدة للحريات.

ثانياً: تأليف حكومة قومية انتقالية تقوم بأعباء الحكم وإدارة شئون البلاد والمحافظة على الأمن العام وتقوم بالمهام التالية:

- وضع قانون لانتخابات عامة بمقتضاها انتخابات جمعية تأسيسية وضماناً لحرية الانتخابات تعين لجنة محايدة لإجراء الانتخابات.
- رفع حالة الطوارئ.

ثالثاً: قيام هيئة قومية لوضع مسودة دستور البلاد الدائم وأن يتم اختيار أعضائها عن طريق الشورى وأن تكون فترة الانتقال رهينة بإنجاز تلك الهيئة لمهامها.

رابعاً: أن تقر اللجنة الدستور الدائم للهيئة التأسيسية المذكورة آنفاً والتي ينتخبها الشعب في انتخابات حرة عند اجتياز فترة الانتقال.

إننا وقد ضمنا فيما أوردنا الرأي المخلص الذي نؤمن به ولا شك أن أبناء هذا الشعب الأمين يريدونه، نرى لزاماً علينا أن نهيب بكم لتذكروا حال بلادنا من فقر في المال والرجال والعمران، وحاجته لتضامن أبنائه ناسين الأحن والأحقاد متضامنين لرفعة البلاد وبناء الوطن، وأن الوفاق والثقة رهينتان بما يصدر عن إرادة مشتركة.

والباحثة تثبت هذه الرسالة من ضمن البحث لأهميتها التاريخية وحتى لا ينسى التاريخ صناع فجره أصحاب العزيمة والصدق والرسالة، فكلمات الإمام الهادي واضحة تدل دلالة على أنه يرفع ذات التعاليم التي رفعها الإمام المهدي، لا خوف ولا وجل، فحق الوطن والمواطن من حريات واطمئنان شعار مرفوع.. ولعل القدر جعله في بداية قيادته لكيان الأنصار أن يواجه العسكر والفريق عبود وأن تنتهي حياته وهو يرفع رايات الحق لأعداء كلمة الدين والدفاع عن مقررات الأمة وتاريخها العتيق بعد أن سيطر أهل اليسار على الحكم فدفع روحه ثمناً للمبادئ التي آمن بها، وللوصية التي عمل من أجل تحقيقها فأصحاب الرسالات يضحون ويضعون بصماتهم في ذمة التاريخ ويرحلون وسجل الإمام الهادي تاريخه ونضاله وتحمله للوصايا بكل فخر وإعزاز.

الإمام الهادي ومعاصروه: وشائج الود والتواصل

بحكم مواقفه وانتمائه ومكانته في المجتمع كقائد وزعيم وإمام لأكبر طائفة في البلاد.. فقد كانت لديه العديد من العلاقات العربية والإسلامية.. إنه التاريخ الذي يحمله الإمام والوصايا التي أودعوها لديه، صفحات ناطقات بكل المعاني التي تعز

السودان وأهله فالسودان هو قائد الزحف الحضاري الإسلامي العربي إلى أعماق أفريقيا، وهي المسئولية التاريخية التي يتحمل عبء تحقيقها.. فقد قام بزيارات للعديد من الدول العربية والأردن ولبنان ومصر ونيجيريا.. واستقبل من زعماء العالم العديدين مثل الملك فيصل وعبد الناصر وإليزابيث ملكة بريطانيا، والإمبراطور هيلاسلاسي ومن هذه العلاقات كانت دعوته واضحة ورأيه صريح واحتفائه بالديمقراطية حق، والدعوة إلى شرع الله حقيقة، فاكتسب محبة الجميع بحسن تعامله وعلو كعبه، ويكفى أنه حامل وصية الأجداد للمحافظة على الوطن.

القضية الفلسطينية، لدي الإمام الهادي:

أصحاب الرسالات لا يموتون.. وأصحاب القضية هم رجالها.. فكيف تموت قضايا الإسلام والإمام والأئمة من بعده أحرص الناس على تطبيق شرع الله، والدفاع عن العقيدة والوطن.. لقد كانت الأقدار تقف دائماً أمام الإمام في أحلك الظروف تتعدد القضايا داخلياً وخارجياً إلا أن اهتمامه بالقضايا الإنسانية العربية والإسلامية كاهتمامه بالقضايا السودانية وليس في ذلك غرابة فهو سليل بيت الدين وحفيد الإمام الكبير . فالمؤمن الرسالي طبيعي أن يكون أحمى الهموم، إنساني الإحساس، فقضية فلسطين وما حدث لرجالها وذكرى الأيام السود التي مرت على سكانها من تشريد وقتل وتعذيب واغتصاب للأرض والإنسان، كانت محور اهتمامه لأنها إحدى التوصيات التي تحمل وزرها ممن سبقوه من الأئمة، فالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين أسير الصهاينة، وهذا ما كان يؤرقه ويؤلمه، أن تكون كتائب النصر مغلولة الأيدي، لذا فقد أصدر أوامره لكتائب شباب الأنصار للاستعداد للجهاد في سبيل الله في غمضة عين والأمة مشغولة بخلافاتها. وقد أوفد أحمد المهدي في افتتاح مسجد الصخرة بمقابلة زميل دراسته بكلية فيكتوريا الملك حسين وحمله رسالته بأن شباب وكيان الأنصار على أهبة الاستعداد لتحرير القدس، وهم رهن الإشارة، أكثر من ثلاثمائة ألف مجاهد تم إعدادهم لمعركة التحرير وفك أسر المسجد وهكذا كان اهتمامه بقضايا الأمة وتفاعله معها لإيمانه

بالوحدة العربية والإسلامية وهو مسكون بحب الوطن والوطن عنده الأمة الإسلامية بأسرها..

لقد انعكس أيضاً اهتمامه بفلسطين عندما أقام حفل استقبال على شرف وزراء الخارجية العرب بسراي المهدي بالخرطوم في أكبر تظاهرة احتفائية بفلسطين إذ حضرها رئيس وأعضاء مجلس السيادة والوزراء، ورجال السلك القضائي والهيئات السياسية والأجنبية، وكبار موظفي الدولة، والأعيان وشباب وشيوخ الأنصار يحملون أعلام الدول العربية ويهتفون لفلسطين، أنهم طلائع كتائب النصر التي أعدها كيان الأنصار لاسترداد أول القبلتين.

والباحثة تورد نص خطابه في متن الرسالة لأهميته التاريخية فهو إحدى الوثائق التاريخية الهامة التي يجب أن تكو ن كتاباً مفتوحاً لدور الإمام في القضايا العربية وقصيدة أدبية ونثرية يحفظها التاريخ لرجل يلعب دوراً أساسياً في السياسات العربية والعالمية.

الإمام الهادي ووزراء الخارجية العرب: مواقفه وخطبه

فقد جاء في خطاب: (مرحباً بكم في دياركم نزلتم أهلاً ومكاناً سهلاً شرفتمونا باجتماعكم العظيم لهدف أعظم من أجل غاية مقدسة تشغل اليوم أكبر حيز من العقول العربية والقلوب الإسلامية وتهتز مشاعر الإنسانية جمعاء، ويتفجر الحماس في كل عربي وتقدم من أجلها التضحيات والفداء إلا وهي فلسطين السليبة.. لقد كان ما كان من أمر العدوان الغادر ونحن لا نريدكم اليوم أن تعيدوا علينا قصصه ولا أن نستمع إلى الألغام الحزينة، ولا إلى الأنفاس الحري ولا نريد أن نتشاكى ونتباكي ويقبل بعضنا على بعض متلازمين[1]، ولكن نريد أن نعطي الدليل المادي أننا خسرنا الحرب، ولكننا لم نهزم وأن همتنا ما زالت عالية، وعزيمتنا قد ازدادت قوة وصلابة، ما هزتها المحنة، وأنَّا على الأخذ بالثأر مقبلون، وعلى استرداد حقوقنا مصممون، وأننا قد استفدنا من التجربة، فأصبحنا على يقين من أنه لابد لنا لتحقيق النصر المؤزر من نسيان خلافاتنا البالية وأحقادنا

---

[1] الإمام الهادي المهدي إمام الدين والدولة، وثائق قسم التراث والتوثيق، كلية الإمام الهادي.

القديمة. لابد لنا من وحدة قوية متماسكة نسترد بها حقوقنا وكرامتنا ونصون بها عرضنا، ولا شك أنكم عالمون بأن شجرة الاتحاد لا تنبت وتزدهر إلا في أرض التسامح الخصبة، لأنه لا وحدة مع النوايا السيئة والأطماع، ومع تبادل التسامح والتعالي وفقدان الثقة، فلكل منا مهما صغر ومهما كان أمره أثره وفعاليته، ومهما تفاوتت الهمم والمثل والأقدار فإنه لابد من تجمع مختلف مستويات الرجال، ولابد من توحيد آراء ومشاعر الشعوب والارتفاع بها عن عقابيل الماضي إلى مستوى الأحداث، وهذا يتطلب من كل منا التضحية بالكثير من أمنياته ومثله وفلسفاته لنلتقي في منتصف الطريق، والقافلة يحدوها نغم موحد، وهدف واحد، ويدفعها دافع واحد. فإذا لم يكن هذا فلن يكون هناك اتحاد وبالتالي تكون هناك معركة ولن يكون هناك نصر ولكن سنقلب لخسران وهزيمة، والسودان عندما دعاكم لهذا المؤتمر وعندما يصمم على الدعوة لمؤتمر قمة أكبر فهذا لما يصدر عن هذا الشعب العربي، وعن تفكير عربي مجرد وعن وطنية عربية خالصة، وهو أنه كما لكل منكم مشاكله ومآخذه لكن سفينة العروبة كلها تتعرض للغرق.

لا يرى إلا أن ينسى الناس معايب غرفتهم الخاصة في السفينة وأوضاعها مع بعضها البعض، وأن يتقنوا جميعاً وفي أن واحد ودون أي تفكير في أي شيء آخر لينقذوا سفينة العروبة برمتها أولاً ثم بعد ذلك يفكرون كل فيما يعنيه من إجراء وغرق السفينة.

إننا بهذا الفهم وبهذه الروح وجهنا الدعوة لهذا الاجتماع بنفس الفهم والروح..

وها هي الأمة العربية من الدار البيضاء وحتى صنعاء ومن أقصى شرقها لأقصى غربها تنظر إليكم وفي قلق، ونحن نرجو معها إلا تخيبوا آمالها، خذوا من كل على قدر طاقته لكل على قدر حاجته، وأجمعوا كل الطاقات ووحدوا كل القدرات لتحقيق أسمى أماني الأمة العربية من السودان حقوقها وكرامتها ورفع اسمها ومكانها عالياً بين الأمم، فنحن اليوم في مفترق طرق وعلينا أن نحرص على أخذ طريق المجد والخلود لنضيف تاريخاً جديداً ناصع البياض، إلى ذلك التاريخ العظيم الذي خلفه لنا الأجداد، فكما أنه لا طارف بلا تليد فإنه لا تليد بلا طارف وأنني قد لازمت التلميح وجانبت التصريح نزولاً عند مقتضى المصلحة العامة، اعتقد أن كلكم لبيب بالإشارة يفهم، وأرجو إلا يفوت

عليكم أنه بعد تجمع العرب تجمعاً سليماً وكمال وجدانهم كمالاً أكيداً يجب أن يتجهوا نحو إخوانهم المسلمين ليكملوا العدة، ويتمموا الأعداد فإن في البلاد الإسلامية لنا عضداً قوياً وساعداً شديداً وناصراً مخلصاً أميناً، برهنت أيام اجتماع الأمم المتحدة على جودة معدنه وأصالة حدبه على العنصر الذي نزلت عليه الرسالة، والأرض التي هبط فيها الوحي والأماكن التي شرفها الله بالقدسية والحرمة أن علينا أن نجمع كل القوى المؤمنة لنقهر بها كل من طغى وبقى (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [١].

بهذا الوضوح وبهديه الرسالي وبموقفه المبدئي من قضية فلسطين ولمكانته المرموقة حدد الإمام الأهداف الرئيسة وأراد لجرح الأمة العربية أن يندمل، ولشبابها أن ينهض، ولقادتها أن يتحملوا مسئولية الأجيال، فالتاريخ نافذة حساب وعقاب، ومن يقف مكتوف الأيدي تناع على حوافه الخيبة والبطلان.. لقد ناشد الإمام الأمة ممثلة في وزرائها للتضامن والتعاضد وإزالة آثار العدوان وقد تحقق إجماع الأمة بنجاح مؤتمر اللاءات الثلاث في الخرطوم والذي دعم وأعد وأعاد صياغة وحدة الأمة العربية والإسلامية.

الإمام الهادي في مجال العلاقات السودانية - المصرية:

كان للإمام بعد نظر سياسي في العلاقات المصرية السودانية أو السودانية المصرية، باعتبار أن النيل لا يتجزأ، والكفاح مشترك، وأخوة الدم لا تسفك هدراً، لذا فقد حزن الإمام محمد أحمد المهدي على مقتل غردون في سراي القصر لأنه قد خطط ليفدي به الزعيم المصري عرابي.. أنها خصوصية العلاقة مع مصر التوأم والشقيق فمصر دائماً وجهة أهل السودان لذا فإن التبادل الثقافي منذ مملكة الفونج ودور العلماء والتمازج والمصاهرة، والمصالح المشتركة والتاريخ القديم والحديث والمعاصر هي وعاء

---

[١] سورة الروم، الآية: ٤٧.

لشعب الوادي، فورقة العلاقات لن تكون للمساومة تقرباً أو إبعاداً وفي التاريخ الأنصاري خريطة طريق للحقائق التي تؤكد عمق وصدق العلاقات، وما تلزم به أخوة الدين وما هو ثمرة حقيقية للاشتراك في اللغة وكثير من العلاقات والثقافات، بجانب أواصر القربى والأسر السودانية التي اتخذت مصر سكناً ومأوى.. يورد أحمد إبراهيم دياب[1]، البعض من الأمثلة فقد ذكر المؤرخ المصري القبطي يونان لبيب رزق تأكيداً لهذه الصلات وفي محاضرة في مصر بمناسبة احتفال الأنصار بذكرى تحرير الخرطوم في ٢٦/ يناير (إن علماء مصر قد كانوا مع المهدية)، ضارباً المثل بعلماء الأزهر لاسيما أحمد بن العوام. كما بيّن أن سياسي مصر في ذلك الزمان كانوا مع الثورة المهدية باعتبارها ثورة ضد المستعمر الذي كانوا يعانون من ظلمه ويعملون على طرده، أما عامة الشعب المصري فقد كانوا في انتظار جيش النجومي ليناصروه لإيمانهم بأنه ليس جيشاً غازياً بمعنى الغزو الاستعماري، وأضاف قائلاً: أن الذين كانوا ضد المهدي في مصر هم غير المصريين الذين كانوا في مصر حكاماً سواء كانوا إنجليز أو غيرهم، لاسيما الأسرة الألبانية الخديوية التي حكمت مصر منذ أن استولى محمد علي باشا على الحكم وإلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

بهذه الحقائق عن العلاقات الأزلية التي صورها العالم المصري رزق يصبح طبيعياً أن يتحسر الإمام المهدي على قتل غردون ويقول: (كنت أريده حياً لأفدى به أخي عرابي).

من هنا كان اهتمام الإمام الهادي بالعلاقات الممتدة بين كيان الأنصار ومصر فهي كنهر النيل تزداد قوة وتواصل رغم الشلالات والمتعرجات وطبيعة السياسة.

والباحثة وهي تتناول هذا الجانب فقد أثبتت في فصل سابق موقف الإمام تجاه عبد الناصر في رسالته بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م.

---

[1] أحمد إبراهيم دياب، سبق ذكره، موسوعة الرموز والشخصيات، ص١٤٦.

وتثبت الباحثة هذه الحقائق لأن الرسالة تتضمن جميعها المواقف السياسية مع الثوابت القومية وهذا ما يميزها.

الفصل الثالث

أحداث الجزيرة أبا

مدخل:

يأتي هذا الفصل محاولة لطرح الكثير من النقاط لأهميته فصلاً للتاريخ ولتصحيح الوقائع، وإزالة الشوائب، والأحداث المصنوعة لتزييفها، وطرحها على أنها الحقائق الموضوعية في فترة حاسمة من تاريخنا المعاصر قادها رجال أخلصوا وقدموا أرواحهم من أجل أن تكون لهذا الوطن شخصيته الاعتبارية، وبلادنا مرت بمحطات ما بين الديمقراطية والحكم العسكري الذي سعى دوماً لإحباط طموح الأحزاب والشعب في وضع الأسس الصحيحة لديمقراطية تقود البلاد، وتكون نواة حقيقية لنسيج سوداني متعاون، يخطط من أجل التنمية والنماء والاستقرار، في بلد تتعدد فيه القبائل واللهجات والسحنات والأعراف والتقاليد، مساحته مليون ميل مربع، وسكانه ما بين عرب وأفارقة، فقد كانت الساحة السياسية وقتها تشهد تطورات في المحيط العربي، خاصة بعد اشتداد قوة عبد الناصر قائد الثورة المصرية الذي لعب دوراً هاماً في تغيير الأنماط السياسية في عالمنا المعاصر، إضافة إلى قوة المعسكر الشرقي المتحفز لإيجاد مساحة في قلب أفريقيا. وما بين الولايات المتحدة التي ترمي بسياساتها إلى أوضاع تخدم أهدافها.

فقد أوضح محمد أحمد محجوب[(١)] في إطار العلاقات الدولية أن علاقة السودان ببريطانيا ودية تقليدية رغم المساندة التي قدمتها للحكم العسكري بقيادة عبود، ركناً لديمقراطية اعتبرنا أن بريطانيا أم الديمقراطية قد كانت الديموقراطية بإقامتها تمثل هذه العلاقات مع حكومة عبود، وردت بريطانيا أنها تتعامل مع حكومات، وأضاف أن الحكومة وقتها قطعت العلاقات مع بريطانيا والولايات المتحدة، بينما بقيت العلاقات

---

(١) محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، منشورات الخرطوم، عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٥م، ص٢٢٢.

الاقتصادية والتجارية مستمرة، وذلك إبان حرب يونيو ١٩٦٧م، بينما استاءت أمريكا ونقضت عقودها مع السودان مع وجود الشرط الجزائي.

كان الحراك السياسي بعد هزيمة عام ١٩٦٧م والتي أطاحت بآمال الأمة العربية وزلزلت كيان شعوبها، وأدت إلى انفراط عقدها إلا أن الباحثة ترى أن مؤتمر الخرطوم للاءات الثلاثة (لا تفاوض لا صلح لا إستسلام) قد أعاد حشد الطاقات العربية وتصفية النفوس بين قادتها، وأعادت بناء الثقة بين شعوبها وأعادت أيضاً الهيبة لجيوشها المنهارة، وهذا ما لفت الأنظار إلى قدرة الساسة في السودان على قيادة الأمة العربية وهو خطر يهدد المصالح العالمية.

كانت الأوضاع في بلادنا وقتها تبحث في إقامة الدولة السودانية الجديدة، وعن الدستور إسلامياً أم علمانياً، وما إذا كانت الجمهورية ستكون رئاسية أو برلمانية، وبعد اجتماعات متواصلة أصدرت الأحزاب بياناً في ٢٢ مايو ١٩٦٩م قالت فيه[١]، أنه تم الاتفاق أن يكون الدستور إسلامياً والجمهورية رئاسية، وأن الدستور سيكون جاهزاً في غضون ستة أشهر قبل أن تجري الانتخابات الرئاسية في مطلع ١٩٧٠م.

واتضح بعد الاتفاق أن الساحة السياسية السودانية شهدت حركاً ونزاعاً ومحاولات لإدخال الجيش وصناعة انقلاب في رئاسة الصادق المهدي للحكومة، وأن النزاع صارع في أشده بين الأحزاب السودانية، مثلما حدث تماماً إبان انقلاب نوفمبر ١٩٥٨م الذي قاده عبود، والذي أدى إلى وأد الديمقراطية في مهدها، وذهبت أحلام شعبنا مع الريح في صناعة أهم حدث في قلب أفريقيا، في بناء صرح الجمهورية الديمقراطية السودانية، باعتبار أن التجربة السودانية كأول دولة في أفريقيا تحقق استقلالها عن الدولة المستعمرة بطريقة نظامية.

والباحثة ترى أن هذه الفترة قد غطاها الكتاب وعلماء التاريخ في بحوثهم ودراساتهم ورسائلهم، ولكنها وإثباتاً لدور الهادي المهدي الذي حمل الأمانة المتوارثة منذ

---

[١] محمد احمد محجوب،مرجع سبق ذكره، ص٢٢٥.

ثورة الإمام المهدي الذي قاد ثورة وطنية قوية إلى الدور المتعاظم للإمام عبد الرحمن المهدي الذي قدم الجهد والفكر من أجل الحرية والاستقلال. وللدور المتعاظم الذي قاده بيت المهدي من أجل الوطن. فالباحثة وفي نطاق رحلة البحث العلمي لأحداث الجزيرة أبا وود نوباوي تقطف جزءً من الرسالة[١] التي أرسلها الإمام الهادي المهدي في ١٤ نوفمبر ١٩٦٢م، والتي أوضح فيها أهمية تأليف حكومة قومية انتقالية تقوم بأعباء الحكم وإدارة البلاد، والمحافظة على الأمن العام، ورفع الطوارئ، وقيام هيئة قومية لوضع مسودة دستور السودان الدائم، من هنا وبمثل مخاطبته لحكم عبود فإن الباحثة بإيرادها للرسالة تؤكد أن ذات الاهتمام بحقوق المواطنة وقيادة الأمة وإيقاف النزيف والدم في الجنوب، وإعادة الحياة للمواطن، فإن الباحثة تواصل توضيح الصورة السياسية قبل حكم نميري.

المعسكر الإسلامي:

هو المعسكر الذي عاش الأحداث السياسية السودانية، ونهل من ينابيع التضحيات والبطولات، وهم أحفاد صناع التاريخ الذين التحفوا السماء، وافترشوا الأرض وحملوا أكفانهم من أجل نصرة الإسلام، هم الذين توحدت مشاعرهم الوطنية، وتحرروا من القبضة الاستعمارية وتحددت حدود بلادهم السياسية، هم أحفاد المهدي أبناء الشعب الذين أذهلوا العالم بانبلاج دولة حديثة تتوسط القارة الأفريقية، فالإسلام عندهم منهج حياة وليس مجرد التزام فردي بل هو منهج حياة يكتمل ببناء الدولة على أسسه، فالخطاب الديني هو دائماً الرابح لطبيعة الشعب وإيمانه، وقادة الأحزاب وقتها كانوا من بيوت دينية، ارتكزت على الإسلام منهجاً وحياة.. فحزب الشعب الديمقراطي كان راعيه علي الميرغني مرشد الطريقة الختمية، وقد أسس هذه الطريقة[٢] محمد عثمان

---

[١] انظر، نص الرسالة بالملاحق.

[٢] أحمد إبراهيم أبو سليم، الطائفية في السودان، بحث غير منشور، الخرطوم، دار الوثائق القومية، مجموعة أبو سليم، ص ص٦-٧.

الميرغني ١٧٩٢-١٨٥٣م والذي ولد بالطائف، وتعلم بمكة، وجاء إلى السودان من مصر ١٨١٣م وهو من أشهر تلاميذ السيد أحمد محمد إدريس، وقد انتشرت الطريقة المسماة بالختمية في أرجاء البلاد.

أما الحزب الوطني الاتحادي فقد كان رئيسه إسماعيل الأزهري حفيد الشيخ إسماعيل الولي، والرجل الثاني فيه الشريف الهندي، وهنا يجتمع الحزبان من أجل تحقيق الأهداف والغايات، أما الأخوان فقد تحولوا بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م إلى جبهة عريضة هي جبهة الميثاق الإسلامي، وكانت تلك أول خطوات الخروج من الصفوية إلى الجماهيرية الشعبية.

والدراسة باستعراضها لتلك المقدمة تؤكد أن كل هذه الأحزاب كانت تهدف إلى قيام دستور إسلامي، وقد أكدت الأحزاب في بيانها في مايو ١٩٦٩م أنه تم الاتفاق على أن يكون الدستور الدائم إسلامياً، وتكون الجمهورية رئاسية، ووصل في الجمعية التأسيسية إلى مرحلة القراءة الثانية.

أما المعسكر اليساري فقد كان وقتها من أكبر وأقوى الأحزاب اليسارية في الشرق الأوسط، وكان التزامهم معروف وواضح، وتغلغلهم بين صفوف الطلاب والعمال وكافة قطاعات الشعب بطريقة مدروسة، تتم طريقتهم في التعامل وعلمانيتهم في الأديان، ولهم جلساتهم التي يرفضها المجتمع لأنها لا تتواكب مع موروثاته وتقاليده، يؤمنون بالنظرية الشيوعية، وبأهدافها وقبلتهم موسكو ولا يرضون بأي دستور يصاغ يخالف طموحاتهم وآمالهم.

فقد أعطته ثورة أكتوبر الشعبية هذا الزخم فقد حاز على نصيب الأسد في وزارتها الأولى، وأضافت الانتخابات التي جرت بعد ذلك أن نال معظم دوائر الخريجين، وبهذا النجاح أضحت له أذرع بين النقابات والمزارعين والطلاب، بينما أضحت صحيفة الميدان المبشرة بالفكر الشيوعي ذات صيت ومبررات عالية نسبة للجرأة التي كانت تتناول بها القضايا، إضافة إلى امتياز كوادره بلغة الخطابة والإقناع والإبهار. وبمثل القوة التي ظهر بها خفت صوته بعد حادث الإلحاد المشهور وانكسر جناحه ووضح ضعف كوادره

بالرغم من الزخم الذي كان يسود في تلك الفترة، ومع ذلك فإن الحزب لم يمت بمجرد حله بواسطة الأغلبية الديمقراطية، بإرادة نواب الشعب، بل قاوم وبشدة وتكونت جبهة يسارية عريضة واتفقت على مرشح واحد لرئاسة الجمهورية وهو بابكر عوض الله رئيس القضاء الأسبق، والقومي العربي المعروف بطموحاته، وربما كان هذا الترشيح بمثابة رد فعل لترشيح الإمام الهادي المهدي عن حزب الأمة، وإسماعيل الأزهري عن الاتحادي لرئاسة الجمهورية.

لقد استطاع التيار اليساري وهو يخطط لانقلاب شيوعي حاول بترشيحه للرئاسة، أن يشغل الرأي العام السوداني بين دستور إسلامي أم علماني، حسب بعض الآراء في الاتجاهات السياسية المتعددة.

حركة مايو الإنقلابية :

قبل التناول لانقلاب مايو والدور المصري الذي لعبه جمال عبد الناصر، توضح الباحثة أن الاستقبالات الرائعة التي استقبلت بها جماهير الأنصار عبد الناصر في عهد الحكم العسكري الأول بقيادة الفريق عبود، قد وطدت العلاقات ما بين كيان الأنصار وجمال عبد الناصر، الذي نصب نفسه زعيماً وقائداً للأمة العربية.

لقد كانت للزيارة وآثارها الدور المباشر الذي لعبه عبد الناصر في المستقبل بالإطاحة بالديمقراطية خوفاً من تيار المد الإسلامي، الذي حدده الدستور السوداني في حالة إجازته بعد انتخابات رئاسة الجمهورية.

يذكر محمد أحمد محجوب[1] أن الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكمه قد خطط له بالاشتراك مع عبد الناصر، فقد علمت أنه استقبل ثلاثة سودانيين في القاهرة ورتب المؤامرة بواسطة رجاله في الخرطوم، وقد اعتبر ذلك طعنة في الخلف.

وهنا يجئ التأكيد للدور الذي لعبته الحكومة الديمقراطية في إعادة الهيبة للأمة العربية بعد انكسارها في حرب يونيو ١٩٦٧م، ولولا وساطة المحجوب لإنهاء حرب

[1] محمد أحمد محجوب، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٣.

اليمن لشهدت مصر العديد من الانهيارات نتيجة للموت الذي كان سيلحق بالفرقة المصرية في اليمن.

الإمام الهادي وعبد الناصر: الرسائل المتبادلة

وما يؤكد ما ذكره المحجوب رسالة الإمام الهادي المهدي للرئيس جمال عبد الناصر والتي بعث بها في ١٨ شوال ١٣٨٩هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م وهي الرسالة التي وجهها لعبد الناصر من الجزيرة أبا، وهو وقتها في قمة انشراحه وانتصاراته فبعد قيام مايو كانت الفاتح من سبتمبر ومعمر القذافي، وهو ما جعل عبد الناصر يقود حلفاً عسكرياً ثلاثياً مصرياً ليبياً سودانياً وهو رئيس أكبر دولة عربية وهي الرسالة التي كتبت قبل الأحداث التي وقعت في الجزيرة أبا، والتي تعد وثيقة تاريخية هامة أثبتها الباحثة حرفياً بالنص لفائدة البحث العلمي ولتاريخ السودان المنسي، والذي ظللته سحب دكناء مع كل عهد يسعى لوأد الديمقراطية.. فرسالة الإمام الهادي حددت المسار وطرحت الرأي والآراء، ووضحت هوية السودان، كما ركزت على المطامع المصرية في السودان، مذكرةً بانقلاب مايو والدور المصري الذي لعبته الدبلوماسية المصرية من أجل بطل العروبة، وذات الشعور والإحساس الذي أوضحته الرسالة هو الإحساس والشعور بالعزة والقومية وعدم الانكسار والشعار الذي رفع لواءه الإمام الهادي وتوارثته الأسرة فأصحاب التاريخ يصنعون الأحداث والأحداث لا تصنع صناعها.

وإليكم نص الرسالة كاملاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر- رئيس الجمهورية العربية المتحدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

هذه كلمات فرضت علينا مسئوليتنا تجاه وطننا وقومنا نكتبها إليكم راجين أن تمنحوها من الاهتمام بقدر ما يستحقه السودان لديكم من احترام وبقدر ما تودون له من خير وعزة في حاضره ومستقبله.

يا سيادة الرئيس أن العلاقة بين بلدينا كان يمكن بالعقل والعدل والحكمة أن تكون أفضل مما هي عليه الآن، طوال تاريخ الجوار وعلى عمق أخوة الإسلام وبإجلاء المصالح القومية للشعب السوداني والشعب المصري، فما من أحد راشد يتمنى أو يعمل على إهدار حرمة الإخاء الإسلامي، أو يمزق صلات الجوار، أو يضيع المصالح القومية لقومه، إلا أن أخطاء خطيرة قد وقعت في تاريخنا الحديث أصابت هذه العلاقة بمساوئ وأضرار كثيرة وعميقة تخطت جراحات المشاعر إلى إنزال الضرر بالمقومات القومية والمصالح الحيوية لوطننا، فالتسلط التركي المصري، ثم الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، وما أدى كل ذلك إلى قتال طاحن مع السودانيين وسقوط عشرات الآلاف من الشهداء (عشرة ألف شهيد من الأنصار في معركة كرري وحدها) وسياسة القمع والتعالي على السودانيين التي اتسمت بها تلك الفترة المظلمة، وردة الفعل السودانية ضد كل هذه السياسات وهي ردة فعل استمرت حتى استقلال السودان، هذه السلسلة من المآسي المحزنة ألحقت بالعلاقات بيننا هزات لم تقتصر آثارها على جيل واحد من السودانيين، وكان يمكن بعد ذلك كله أن يتدارك العقلاء ويضعوا العلاقات في إطار أسلم من مراعاة المصالح والاحترام المتبادل، وهنا أسمح لنا يا سيادة الرئيس بأن نكون أكثر صراحة وأدق تحديداً لما نقول: أن العلاقات بين بلدينا بعد الاستقلال لم تكن كما ينبغي لها من المتانة والثقة، كما لم نكن مسئولين عن الأخطاء التي وقعت بعد الاستقلال.

بعد الاستقلال أخذ مبعوثكم إلى السودان والمكلف من قبلكم بالإشراف على العلاقة بالسودان وهو السيد صلاح سالم، أصبح يعاملنا بروح الماضي الأليم حتى أن كثير من السودانيين الحادبين على حسن الجوار ومستقبل العلاقات تساءلوا لماذا يعاملنا أخواننا في مصر بروح الحكم الثنائي؟ ولمصلحة أي الطرفين ما يجري؟ وكان نتيجة لهذه التصرفات أن توترت العلاقات من جديد وحوادث الحدود في حلايب[1] كانت

[1] حلايب المنطقة السودانية المتنازع عليها حتى الآن.

باستفزاز من جانبكم وهي حوادث كانت ستقود إلى حرب حقيقية بين البلدين ولكن الله سلم.

إننا نذكر ذلك لتوضح مدى المفارقات الكبيرة والمحزنة وبين ما يقدمه السودان لمصر من خير وما يتلقاه من شر، وعقوق ونؤكد لكم أن العلاقة مستحيل أن تستمر بهذا المستوى المحرج لكرامتنا وأن تسير بهذا الأسلوب المستفز لكل شيء فينا.

أن الظروف وضعتنا بين موقفين اثنين: إما أن نسكت على هذه المظالم ونتجرع المذلة في صمت فنخون بذلك ربنا وإنسانيتنا وقومنا ووطننا، وإما أن نتكلم ونعارض ونرفض بحزم محاولة إذلالنا والسيطرة علينا، وقد اخترنا الموقف الثاني لأنه هو الموقف الطبيعي والأنسب لتاريخنا وأخلاقيات أهلنا فوق أنه الموقف الحق.

في ٢٥ مايو ١٩٦٩م قامت جماعة من الضباط الشيوعيين والناصريين بانقلاب فألقت الدستور وصادرت الحريات وسجنت الناس، ولا تزال تمارس طيشها في كل مرفق في البلاد، وتأكدنا أنكم اشتركتم في تدبير هذا الانقلاب سلفاً في اجتماع عقد في القاهرة بين سيادتكم وبابكر عوض الله وعبد الكريم ميرغني كان (سفير العهد الديمقراطي في بلادنا) وشخص رابع هو نفسه الآن من ضحايا الانقلاب وبمرور الأيام تكشفت الحقائق وتفضح، إذ أنهال عونكم على الانقلابيين بشكل ملفت خاصة في مجال الأمن والاستخبارات ثم كانت الخطوة الخطيرة التي أقلقت كل سوداني وهددت حاضره ومستقبله ففي هذه الأيام كثر الحديث عن الوحدة ونشط العمل لها من جانبكم ومن الطغمة العسكرية هنا، وهذا أمر جد خطير ووخيم النتائج، وهو السعي المباشر في كتابة هذه المذكرة إليكم، ولا نملك في هذا الموقف إلا أن نصارحكم بموقفنا أن أحداً منا لا يرفض الوحدة كمبدأ ومعارضتنا تتركز في عدة أسباب نذكر منها:

- أن الأنظمة العسكرية هي أنظمة ديكتاتورية وغير شرعية ولا تملك تفويضاً من الشعوب يمكنها من الإقدام على عمل خطير كهذا.
- أن لدينا مشاكل محلية خاصة بوحدة قطرنا فالسودان يعج بأجناس شتى وصهر هذه الأجناس بشرياً لا يساعد على الانصهار ولا على الوئام القومي في بلادنا، بل

أنه يثير سودانيين غير عرب خاصة وأن الوحدة التي يتحدثون عنها تنطوي على نسب عنصري عربي ولقد صدق الواقع ما ذهبنا إليه حيث حمل الجنوبيون السلاح من جديد وعادت المشكلة الحادة التي تهدد الوطن بالفرقة والتمزق. بل أن الوحدة التي تذهبون إليها تنطوي على أهداف لمصالح السودان وما هي إلا حل لمشاكل نظامكم الخاصة على حساب السودان فوحدتكم أول ما تعني تهجير مليون ونصف مصري إلى السودان، وهذا العدد الذي هاجر من بورسعيد والقنال سبب للحكومة المصرية مشاكل في السكن إلى جانب التذمر السياسي، وتعني وحدتكم اتفاقية مياه النيل مجدداً لكي تأخذ بلادكم ما تشاء من مياه النيل غير عابئة بمصالح المزارع السوداني، وتعنى أن يظل السودان سوقاً محتكراً لبضائع مفروضة عليه فرضاً. وتعنى الاستيلاء على محاصيلنا بأرخص الأسعار وتبدت بوادر هذه النقطة بالذات في إقدام وزارتكم على شراء كميات من قطننا بأرخص الأسعار، كي تبيعه بسعر أعلى مستأثرة بالفروقات بينما، مصر مصدرة للقطن وإنتاجها من مقدار إنتاجنا ثلاثة مرات.

- أن الوحدة الأمنية لدى الشعوب والارتجال في تحقيقها إنما هو إجهاض لها وتخييب لآمال الشعوب منها، وأي مخلص لوحدة حقيقية لا يظهر إخلاصه لها إلا في حمايتها من المغامرة والمجازفة (وحسب الناس تجربة ما حدث في سوريا ومصر واليمن). فإن شعوب هذه البلاد تفضل الآن الانفصال عن وحدة مزيفة شوهاء ونحن لا نريد لشعبنا أن يكفر بالوحدة إلى الأبد إذ يرى هذا التزييف والتشويه.

يا سيادة الرئيس إنني باسم المعارضة في بلادنا وهي الشعب كله باستثناء الشيوعيين والموصومين بعدم الولاء للوطن أرفض أي إجراء وقرار يخضع السودان دون سيطرة أبنائه تحت أي شعار..

والباحثة تثبت هذه الرسالة التاريخية المفصل لوجهة نظر سودانية خالصة حددت نقاط الاختلاف وأبانت حق الشعب في وطنه وذرات رماله، متناولة كافة القضايا

السودانية وما يمكن أن تؤدي إليه السياسات الهوجاء، إنما تؤكد أن ذات الأحداث في التدخل المصري ما زالت قائمة وأهم محطاتها حلايب بؤرة الصراع السوداني.

والباحثة تثبت هذه الرسالة لتبعات قادمات وتدخل مصري سافر وشهداء وأطفال ونساء وحرائر حصدهم التطرف الناصري بطائرات قذفت اللهب وأدخلت الرعب وقتلت الأبرياء، والرسالة التي حملت الآمال والأحلام.. بدلاً من أن تتدارسها الحكومة المصرية وترسل ردودها قامت بطعنة نجلاء نتناولها بالتحقيق والوصف كما سنري.

الحزب الشيوعي ودوره في إنقلاب مايو:

كانت رسالة الإمام الهادي المهدي لجمال عبد الناصر وثيقة تاريخية حددت وكشفت وأبانت الدور المصري، كما أوضحت نقاط الاختلاف وأبانت دور مصر العسكري في الانقلاب مقابلة وتخطيطياً وتنفيذاً بواسطة كوادرها ولتأكيد ذلك وللآثار الناجمة من أحداث سياسية مرت بالبلاد والتي تتضح من خلال الحزب الشيوعي وموقفه.

حيث يذكر محجوب عثمان[1]: (دخول المقدم بابكر النور والرائد هاشم العطا إلى عضوية مجلس الثورة لم يكن عملاً فردياً فقد شارك العسكريون الشيوعيون في العملية الانقلابية بتوجيه من الحزب، ودخلوا في ساعات الصباح الأول القيادة العامة وقاموا بتأمينها والاستيلاء عليها، أما بابكر عوض الله رئيس وزراء حكومة الانقلاب الأول ونائب قائد الانقلاب حيث قال في خطاب ألقاه في برلين الشرقية أن الثورة لم تكن لتنجح لولا الشيوعيون السودانيون).

يذكر د. يحيي التكينة[2] أنه استلم هذه الرسالة عندما كان ضابطاً للإعلام ورفض إذاعتها خشية من غضب الشعب السوداني، وقد طلب منه منصور أحمد الشيخ وكيل الإعلام في ذاك الزمان إذاعتها إلا أنه فوت نشرة الثالثة والخامسة مما عرضه

---

[1] محجوب عثمان: الجيش والسياسة في السودان، دراسة في حركة ١٩ يونيو، دون تاريخ نشر.

[2] د. يحيي التكينة: باحث وإعلامي عند لقاء الباحثة به بكلية الإمام المهدي، ٢٠٠٥م.

للمساءلة وعندها طلب من الوكيل التوقيع على دفتر الأحوال بالحوار الذي جرى لإذاعتها وقتها دخل إلى مكتب الوكيل عمرابي مدير الإذاعة وتسلم الرسالة وأذاعها.

وبعد إذاعتها تم استدعائه لمقابلة نميري بالقيادة العامة الذي كان في قمة الغضب من هذا التهور والتسرع في إذاعة الرسالة دون عرضها على الوزير، وقد شرح التكينة كل المواقف بما فيها كلمة خالد حسن عباس في جامعة القاهرة الفرع التي نفت تواجد الشيوعية وقد كذبه رئيس الوزراء برسالته.

ما دار في اجتماع الحزب الشيوعي ولجنته المركزية في اليوم الأول للانقلاب فقد أوضح صديق بادي[1] ما أورد محمد محمد أحمد كرار الشيوعي المعروف أن اللجنة وافقت على الاشتراك في الحكم ولكنها تحفظت على الصيغة المعروضة وذكر في موقف الثورة من القوى السياسية والاجتماعية تقرير كوادر مؤتمر الحزب الشيوعي بالضربة الشديدة لجميع القوى الرجعية في البلاد، بتصفية التجمع اليميني المسلح في أبا في مارس ١٩٧٠م.

أما عبد الخالق محجوب في رسالته من منفاه بالقاهرة إلى اللجنة المركزية للحزب في أبريل ١٩٧٠م حيث ذكر أن التنظيم المسلح في أقصى اليمين كان دائماً العقبة التي تحول دون تطوير الحركة الشعبية بصورة حاسمة، ويعنى بذلك الحزب الشيوعي ويكفى دليلاً على هذا تجربة شعبنا في أكتوبر ١٩٦٤م والهجوم العنيف على الحزب الشيوعي نهاية ١٩٦٥م، بهذا فإن ضرب هذا التنظيم يزيل تلك العقبة وبين ظروفاً أفضل لنمو الثورية ولتعاظم دور الحزب الشيوعي في الحياة السياسية.

والباحثة بإيرادها لهذه الرسائل تؤكد الدور المصري في أحداث الجزيرة أبا والقيادة الشيوعية في قيادة ورسم وتخطيط لإنهاء التيار اليميني المقاوم للشيوعية في بلد يدين بالإسلام، ومن هنا انطلقت الأيدي الآثمة المنفذة لأكبر مجزرة في تاريخ السودان المعاصر في أحداث الجزيرة أبا وود نوباوي، والحقائق المثبتة تؤكد الدور المتعاظم للتدخل

---

[1] صديق بادي، أحداث الجزيرة أبا وود نوباوي نقلاً عن تأملات ماركسية لمؤلفه عمر مصطفى المكي.

المصري والحزب الشيوعي في إبادة أهلنا بسلاح ناري متقدم وطائرات لا يمتلكها السودان.

الجزيرة أبا:

الجزيرة أبا اسم ارتبط بأذهان الشعب باعتبارها موطن الجهاد والشهادة، ومدينة المهدي والمعقل التقليدي لجماهير الأنصار فهي مقر قيادتهم، وحاملة تاريخ الوطن سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومحور تمازج أهل السودان الذين انضموا إلى مسيرة الجهاد والاستشهاد من أجل العقيدة والهوية وتحرير الوطن.

يذكر محمد أحمد محجوب[١] عن الجزيرة أبا أن هذه الجزيرة تقع على بعد حوالي ٢٥٠ ميلاً جنوب الخرطوم وهي مقر القيادة الأصلي للمهدي عندما شن حرب تحريره ضد الحكم التركي المصري في ١٨٨١م، وقد بقيت ملكاً عائلياً منذ ذلك الوقت.

أما صديق البادي[٢] فيعرف الجزيرة أبا ويذكر: (هي أكبر جزيرة نيلية على النيلين الأبيض والأزرق وعليهما معاً عندما يتحدان في نهر النيل وبدايتها من ناحية الجنوب تبدأ من نقطة تواجه كوستي وتنتهي شمالاً بالقرب من قرية الشوال وتبلغ مساحتها حوالي مائة واثنين وخمسين كيلو متر مربعاً تقريباً، أي خمسة وتسعين ميلاً مربعاً تقريباً وبداخلها القرى التالية: (كرتوب، المقرن، طيبه، البيارة، أيوام كول، شرق البيارة، أركويت، ود رشوان، دار السلام، أولاد نصر، أرض الشفاء، قباء، الغار التحتاني، الغار الفواني).

أما الجهة الغربية من الجزيرة أبا يوجد بها الغار الوراني الذي كان يتعبد فيه الإمام المهدي في الخريف والشتاء، وقد أقام حوله الفلاته حلتهم، أما الغار الفوقاني الذي كان يتعبد فيه الإمام المهدي صيفاً فقد أقيمت فيه منطقة سرايات آل المهدي.

---

[١] محمد أحمد محجوب، مصدر سبق ذكره، ص٣٣٧.

[٢] صديق البادي، مصدر سبق ذكره، ص٥.

بينما يذكر يوسف حسن[1] أن الجزيرة أبا تقع في منطقة وسطى بولاية النيل الأبيض وهي جزيرة تشبه جزيرة توتي ولكنها أكبر مساحة، وسكناً طولها حوالي ١٥ ميلاً على طول النهر يحدها من الجنوب مدينة كوستى، ومن الجنوب الشرقي مدينة ربك وعسلاية مناطق الطويلة وهي بوابة مفتوحة لقبائل السودان الذين وفدوا إليها واستقروا مع سكانها وتتميز بكثرة المساجد والمصليات، وأشهرها مسجد الكون الذي يعتبر من أكبر المساجد.

والباحثة تثبت موقع الجزيرة لأهميته التاريخية في الأحداث التي شغلت العالم والمجتمع باعتبارها سبه في جبين الأنظمة اليسارية التي تطرح رؤاها وتنفذ برامجها على جثث الضحايا.

الحالة الاقتصادية بالجزيرة أبا قبيل إنقلاب مايو ١٩٦٩م:

يذكر صديق البادي وتؤكده الباحثة أن تجميد المشروع الزراعي الذي يعتمد عليه مواطنو الجزيرة أبا كان بداية حقيقية لوحدة الصفة الأنصاري ولحظة هامة في التكاتف والتعاضد مع الإمام قائد الأنصار، فتوقف المشروع زاد من الحالة الاقتصادية لدى المواطن الذي كان يستلف على حساب إنتاجه وعندها قاد المستنيرون والتجار الدعوة لإعادة تحضير المشروع وقاموا بالتحضير لاجتماع عقد عصر الخميس ٦ مارس ١٩٦٩م، وكان اجتماعاً تاريخياً ظهرت فيه الوحدة بين جناحي حزب الأمة (جناحي الصادق/ الهادي) حتى قبل إعلان الوحدة رسمياً على مستوى القيادة، وقد افتتح المؤتمر آدم موسى وشرح حال المواطنين، وتحدث عدد كبير وتم الاتفاق على رفع مذكرة للإمام الهادي، وقد كتب المذكرة الفاضل عبد الرازق وأجازها الاجتماع، وأرسلت صورة منها للإمام

---

[1] يوسف حسن، أحد أعضاء كوادر الأنصار، باحث ومدير قسم التراث والتوثيق بكلية الإمام الهادي المهدي، عند لقاء الباحثة به يناير ٢٠١٢م، مذكرات تراثية.

الهادي ولرئيس مجلس السيادة، ورئيس الوزراء، ونائب الدائرة ووزير الزراعة وصور للصحف وأدى المجتمعون صلاة الجمعة بمسجد الكون[1].

وتضع الباحثة الصورة الحقيقية للأحداث باعتبارها شاهد عيان وتؤكد أن الوفد الذي وصل العاصمة ونزل ببيت الإمام المهدي والقبة في ١١ مايو ١٩٦٩م كانوا يحملون معهم موادهم الغذائية، وهذه إشارة إلى الحالة النفسية التي جاء بها الأنصار، لتوضيح وجهة نظرهم وهي الطريقة التي لفتت انتباه الإمام بمجيئهم بتلك الطريقة، وهذا يعنى أن الأمر جلل ولابد من حل القضايا بالحكمة، وقد حياهم الإمام فرداً فرداً واستمع إليهم وكان الحوار ديمقراطياً عظيماً يوضح أن الأمر شورى بين الناس، بعدها استدعى الإمام جميع وزراء الحزب وأجرى اتصالاً بالشريف حسين الهندي وزير المالية، وذهب خمسة من أعضاء الوفد لمقابلة أحيمر وآدم موسى ضحية ومحمد عيسي إدريس، وكان بصحبتهم محمد داؤود الخليفة مندوباً عن الإمام، وتم حل المشكلة وأصدر الهندي قراراته، وفي زمن وجيز دخلت الآليات الجزيرة واخضرت الأرض.

تؤكد الباحثة أن هذه الانتفاضة الشعبية لسكان الجزيرة أبا وحدت جناحا حزب الأمة واتفق الجانبان أن يكون الإمام الهادي هو زعيم الحزب ومرشحه لرئاسة الجمهورية ويتولى الصادق المهدي موقع الأمين العام، ويكون رئيساً للوزراء في حالة فوز عمه وعاد الصفاء والالتقاء والتئم الشمل بعد طول غياب وأضحى الصادق من أحب الشخصيات للإمام الذي أصدر قراراً جعله بمقتضاه نائباً للإمام في حالة غيابه. وهذا يؤكد أن الإمام الهادي كان بين مؤيديه قبل أحداث انقلاب مايو بشهرين.

أما عن الجو العام فكانت هناك إرهاصات معركة رئاسة الجمهورية والحملات الإعلامية، بينما كانت البلاد تعيش في معاناة وأزمة حقيقية في ظل الحكومة التي كانت قائمة والتي عجزت حتى عن توفير المرتبات، إضافة إلى المعاناة اليومية التي يعيشها المواطن، وهي رؤية الصادق المهدي عن الحالة قبل الانقلاب.

---

[1] صديق البادي، سبق ذكره، ص ص٨-٩.

وفي صبيحة يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩م كان الحدث الانقلاب اليساري البعثي بصفة القومية العربية، والتي وقفت الجماهير مشدودة تجاهها في يوم الثلاثاء ٢٧ مايو ١٩٦٩م، حضر الصادق المهدي إلى الجزيرة أبا وأوضح أن الأولاد أولادنا ولا يمكن أن يرضوا أن تحكم البلاد بواجهة شيوعية.. وفي ذات الوقت جرى اتصال بين عبد الله عبد الرحمن نقد الله وبين رئيس مجلس قيادة الثورة وطالبوا بأهمية إجراء مفاوضات مع الصادق المهدي، وسافر نقد الله إلى الجزيرة أبا والتقى بالإمام الصادق وأحاطهما علماً بما دار ثم عاد إلى الخرطوم وبعد يومين اتصل بالطيب علي طه[1] وطلب منه إخطار الإمام والصادق بأن الترتيبات قد تمت وسيصلهم مندوب من جلس قيادة الثورة ليصحب الصادق للخرطوم.

والباحثة تضع الحقائق الكاملة للتاريخ وتوضح أن مبعوث المجلس كان الرائد طيار الفاتح عبد الرحمن عابدون وإسماعيل عبد الله الفاضل المهدي وطلب الرائد الفاتح من الإمام السماح لهم باصطحاب الصادق لمقابلة مجلس قيادة الثورة، بطلب من قادة الانقلاب، ثم يعود للجزيرة أبا والمعنى أن مجلس الثورة أعطاه كلمة شرف ولم يكن الإمام مطمئناً لعدم ثقته فيهم، بينما توجس بقية الأنصار من مغبة ذهاب الصادق.

والباحثة تؤكد معلومات الباحثة سمية سيد[2]، ما دار من حوار بين الصادق المهدي والرئيس نميري (أوضح نميري للسيد الصادق أنه قرأ ما كتبه سيادته وأنه استمع لكل ما قال وهو معجب بما قرأ وسمع وهو أنصاري، شكره السيد الصادق مؤكداً أن العهد البائد الذي سبق مايو هو عهد أفسدت فيه الأحزاب التطبيق الصحيح للديمقراطية، وكانت تعتمد على دستور مخروق وموبوء بسياسيين، أوضح أنهم سعوا قبل غيرهم لكشف مفاسدهم وأوضح بأنه دعا لاجتماع بالمقرن في مايو ١٩٦٩م قبل ظهور نتائج الانتخابات العامة.

---

[1] الطيب علي طه، مواطن من أربجي، يعمل تاجراً بكوستي.

[2] سمية سيد، صراع الحكم في السودان، بدون عنوان، نقلاً من كتاب أحداث الجزيرة أبا وود نوباوي، ذكره ص١٢-١٣-١٤.

وكان هدفه جمع كافة الشرائح الاجتماعية ومحاولة إيجاد مخرج لإنقاذ البلاد، إذا تسنى لهم الفوز في تلك الانتخابات لأن التشكيلة الحاكمة يومئذٍ ستذهب بالسودان إلى الهاوية، وأوضح الصادق للرئيس نميري أن حزب الأمة توحد على مبادئ سليمة وفي أخريات عهد الديمقراطية وكان همهم إنهاء الائتلاف الحاكم ووضع حد للمفاسد وبداية عهد جديد. لكن تصرفات الحزب الآخر أدت إلى الأزمة السياسية والدستورية.

وأوضح أيضاً بعلمهم بالحركة الانقلابية قبل ساعة ولم يقوموا بعمل مضاد لأنهم كانوا في حالة اقتناع بأن الوضع السابق لا يستحق الإنقاذ، وبدأ الصادق في رسم الخيوط الجديدة وأوضح رأيه صراحة وهو يمثل رأي الشعب السوداني حيث أوضح أن كثيراً من العوامل جعلتهم ينسدون قيام حركة للإصلاح الثوري على يد القوات المسلحة، وهو يؤمنون بوطنيتها ولكنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن العناصر التي نظمت الحركة.

ثم بدأ بعد هذه المقدمة يضع الخطوط الرئيسة حول مآخذهم على التكوين الحكومي. والباحثة تضع النقاط كاملة لأهميتها لما سيحدث في المستقبل القريب من **أحداث لعبت دوراً كبيراً في القتل والتخريب كانت ملاحظات الصادق تتمثل في:**

- غلبة الطابع الشيوعي.
- عزل حزب الأمة وقد اختير عدد من المنتمين للأحزاب الأخرى على أساس شخصي، ولم يتم اختيار أي عناصر من حزب الأمة.
- ضعف تمثيل الجنوبيين إذ أنهم مثلوا باثنين فقط من جملة ثلاثة وعشرين وزيراً، وأبعدت أكبر كتلة جنوبية (حزب سانو) لم تمثل وقدم الصادق ملاحظاته عن مسلك الحكومة من خلال تسعة أيام من توليها السلطة وأبان.
- تروج الحكومة لتأييد بعض العناصر التي تمثل أخبث ما في العهد البائد.
- انتهاج ما يشبه المهادنة مع بعض العناصر على أساس مساومة معينة لتغطي بها مفاسدها، ونحن نربأ بالثورة أن تساوم ونربأ بها أن تشهر سيف العدل لتساوم به كل نمو فات حدوده.

- الإصلاح الثوري يقتضى دفع الناس للعمل والإنتاج ولم يكـن سـليماً أن يعطـي الناس إجازات.
- معاملة الجنوبيين على أساس المنفعـة الشخصـية مـن أسـباب نفـورهـم ولم يكـن صحيحاً تميزهم في مسألة المرتبات وحبذا لو استخدموا في أعمال جديدة.
- المنظمات العمالية والنسوية والشبابية القائمـة هـي خلايـا وفـروع سياسـية وأن السماح لها بالاستمرار لا يفتح مجالاً للإصلاح الثوري.
- الصحف من أكثـر مجـالات الفسـاد إفسـاداً وهـي مفتقـرة للـتطهير والإصـلاح ومفتقرة إلى إنصاف الصحفيين العاملين وإلى توسيع قاعدة ملكيتها تنظيم جديد يرفع كفاءتها ويحسن أداءها وكنا نتوقع بعد قيام الثورة أن تحدث هذه الإصـلاحات ولـذا فإن قرار إعادة صدور الصحف والوضع كما هو ليس قراراً موفقاً.

وذكر الصادق المهدي للرئيس نميري أن خصومهم كثيرون وأنهم يشيعون عنهم أشياء يجب أن تصحح ومن أمثلة ذلك:

- يقولون أن بيننا وبين السـيد بـابكر عـوض الله خصـومات شخصـية وهـذا مـن جانبنا غير صحيح ودليل ذلك أننا أشدنا في مكتبنـا السياسـي عـام ١٩٦٨م بالسـيد بابكر عوض الله وبعلاقته معنا وذرته بمنزله في أكتوبر ١٩٦٨م.
- يقولون أننا نخشى مما قد تحدثه الشيوعية لأموالنا فمن ناحية المصالح فإننـا نقـدم مصلحة المجتمع على مصالحنا الخاصة وأن الشيوعيين يمثلون تجمعاً له انتماء خـارجي لارتباطاتهم القصـوى بموسـكو وأن ارتبـاطهم بالمنظومـة الشـيوعية أدى لتوصـيلهم أسلحة لثوار الكنغو مع خطورة ذلك على أحوال التمرد في الجنوب، وذهبـت تلـك الأسلحة ووجدت طريقها للمتمردين ونحن لا نعرف للشيوعيين برنامجاً وطنياً.
- أما موقفنا من الخط العربي فإننا ومنذ مؤتمر الجزيرة أبا في مارس ١٩٦٣م قررنـا ضرورة التعاون مع الحركة العربية الهادفـة لتحقيـق التعـاون الاقتصـادي والسياسـي والدفاعي ومحاربة النفوذ الأجنبي. وأوضح في آخر حديثه بعض التنبيهات المتمثلة في:
- الاقتصاد والحالة المالية في تدهور فظيع.

- حالة المديريات الجنوبية تحتاج لاهتمام عاجل.
- جميع مرافق البلاد التعليمية والصحية والحكومية تحتاج إلى عناية عاجلة، هنا توقف الصادق المهدي بعد أن طرح فكرة في جلسة استغرقت سبع ساعات مع الرئيس نميري والذي وعده بنقل ما دار لزملائه بمناقشته واتخاذ ما يرونه.

وبعد يوم وبالرغم ن الدعوة تم اعتقال الصادق المهدي تحت إصرار بعض أعضاء مجلس الثورة على رأسهم بابكر عوض الله رئيس الوزراء، والذي أوضح أنهم لو قبلوا الرجعية والقوى اليمينية لما كان هناك سبباً للانقلاب عليهم والإطاحة بهم.

وبرؤية الصادق المهدي وما طرحه من آراء فإن الباحثة ترى:

- أن النظام كان يسعى لاستقطاب الصادق المهدي وضرب الوحدة التي وحدت حزب الأمة بقيادة الإمام الهادي، وكانوا في ذات الوقت يسعون لوضع حد نهائي للتحالف الاستراتيجي والتكتيكي المتين بين الصادق والدكتور حسن الترابي.

أما الوضع في الجزيرة أبا عند سماعهم اعتقال الصادق المهدي فقد اشتد غضب الإمام الهادي وماجت الجزيرة وارتفع التهليل، وخطب الإمام طالباً الأنصار بالالتفاف وأن يكونوا في أهبة الاستعداد.

والباحثة تؤكد أنها شاهدت وعرفت من أكثر من اثنا عشر ألف من الأنصار شيباً وشباباً نساءً وأطفالاً وقفوا أمام سراي الإمام يرددون الهتافات والتكبير والتهليل.

بينما يؤكد الصادق المهدي[1]، أن الحكومة اعتقلت الصادق المهدي بعد الاجتماع وتم نقله إلى حامية شندي بالإقليم الشمالي وهو مما زاد من الهياج بين جموع الأنصار.

والباحثة للتاريخ ترسم الصورة للأحداث في الجزيرة أبا قبل وقوع المجزرة فالإمام الهادي عند وقوع الانقلاب كان بالجزيرة وتقاطر الأنصار وتدافعوا إليها ليكونوا بجوار الإمام حائط صد لمواجهة ما سيحدث بعد ذلك، قادة الأحزاب لجاءوا إليها محمد محمد صادق الكاروري القيادي بتنظيم الأخوان المسلمين. الشريف الحسين الهندي

---

[1] الصادق المهدي، مجزرة الجزيرة أبا، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

القيادي بالحزب الاتحادي الديمقراطي ومحمد صالح عمر ومهدي إبراهيم من الإخوان اجتمع هؤلاء وتفاكروا في الوضع السياسي والهجمة اليسارية ومسئوليتهم تجاه الوطن فتكونت الجبهة الوطنية من أحزاب الأمة، والاتحادي الديموقراطي والإخوان بقيادة الإمام الهادي.

إرهاصات عن زيارة نميري للنيل الأبيض وتدخلات ووساطات نشاط مكثف للقوى المؤيدة لمايو في كوستي وما حولها ونشاط ملحوظ للحزب الشيوعي واتحاد الشباب، والاتحاد النسائي والعمال باعتبارهم أهل السلطة وحماتها وأقاموا ندوة بكوستي في ٤/ ١١/ ١٩٦٩م، كتبوا لها الدعايات والإعلانات وأرسلوا برقيات التأييد لمايو ظهر شمس الدين بشرى بدوي الذي تخلى عن الحزب الشيوعي من قبل حيث انضم للحزب "جناح الصين"، وهو من أبناء الجزيرة أبا وينتمي إلى قبيلة البني هلبة استطاع بدهائه وبتخطيط مكتسب أن يجد له مكانة خاصة من قبل صديق ملاحظ البوليس محمد عبد العزيز المسئول عن الأمن في كوستي، كان الحكمدار إبراهيم أحمد عبد الكريم المسئول عن المباحث بمنطقة كوستي كان حضوراً بالندوة وسمح لشمس الدين بالحديث، وبالتالي كسب ود وتعاطف السلطات المحلية[١].

والباحثة تتفق مع ما أورده صديق البادي في كافة الخطوات هي شاهدة عيان لما حدث وسمعت واختزنت ذاكرتها المعلومات التاريخية لمواقف الرجال.

بدأ شمس الدين في ممارسة هوايته بعد أن كسب ود السلطات ونشأت بينه وأبو القاسم محمد إبراهيم ومأمون عوض أبو زيد علاقة وطيدة أدت إلى تبنيه قضايا المنطقة ومحاولة استيعاب أكبر عدد ممكن لتأييد الثورة، وأدى هذا إلى قيام رابطة لتطوير منطقة الجزيرة وذلك في ٢١/ ١١/ ١٩٦٩م، وقدمت مقترحات ومذكرات لقيام مشروع زراعي تعاوني في منطقة حجر عسلاية شرق الجزيرة واقترح بضم المشاريع ١٢ بوصة فما فوق للإصلاح الزراعي.

---

[١] صديق البادي، سبق ذكره.

في الخرطوم عقد اجتماع برئاسة دكتور عثمان أبو القاسم وزير التعاون والتنمية الريفية مع المستنيرين من أبناء الأقاليم يوم ٢٩/ ١٢/ ١٩٦٩م. حضره رئيس رابطة وهو يحمل المذكرات والمستندات والتقى برفيقه محمد عثمان مختار رئيس اتحاد أبناء دنقلا وطلب وساطته للحديث ووافق الوزير على مقابلة شمس الدين الذي سلمه المستندات وتم بينهما لقاء من السابعة والنصف صباح يوم ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٩م حضره رئيس الرابطة شمس الدين وكامل محجوب المسئول عن لجان تطوير القرى وإبراهيم دقش المسئول الإعلامي وطلب منهما إذاعة الخبر لاسيما فيما يتعلق بمشروع حجر عسلاية.

أثار الخبر الجماهير وبدأ قيام فروع للرابطة بربك وبدأت اجتماعات بين القبائل خاصة أعيان ومشايخ الصحة وبعض أفراد من قبائل دار محارب وأرسلوا برقيات تأييد لمجلس قيادة الثورة وبدأت الرابطة برامجها الأخرى في منشورات هاجمت فيها اتحاد المزارعين وقيادته ووصفتهم بالضعف. كما أساءت فيه لبيت المهدي.

واستطاعت الرابطة أن تلعب دوراً هاماً في اجتماعها في ٢٠/ ٢/ ١٩٧٠م بأهمية زيارة الخرطوم وتقديم الولاء وتم اختيار الشيخ عبد الله الشيخ أو الدخيرة شيخ سجادة بقرية الهجاليج بالقرب من ربك. وتحرك الوفد يوم ٢٤/ ٢/ ١٩٧٠م ووصلوا الخرطوم واختلفوا في حول كيفية مقابلة الرئيس أم وزير الداخلية أولاً[1].

وتم اللقاء المرتقب بين الوفد برئاسة الشيخ عبد الله الشيخ أبو الدخيرة بالرئيس نميري في الحادية عشر إلا خمس دقائق بالقصر الجمهوري وقد صافحهم نميري جميعاً، وحضر المقابلة عثمان أبو القاسم وقدم الوفد العهد والوفاء لتأييد الثورة ووقوفهم خلفها، وتحدث معهم نميري وأستأذن لمؤتمر صحفي يعلن يه السلم التعليمي الجديد في ٢٤/ ٢/ ١٩٧٠م، وترك معهم أبو القاسم هاشم الذي تحدث عن قيام مشروع عسلاية ووصفه بأنه سيكون مشروعاً تنموياً، وتحدث عن الوثائق التي حملها عبد الله العسيلي

---

[1] انظر الملحق.

والشيخ يوسف النصيب وكان الوزير على علم بها من رئيس الرابطة وعدم اعترافهم بها، وذلك للحد من دور الإدارة الأهلية ومحاولة مسحها من الوجود الثوري.

وبعد انتهاء الزيارة قام خمسة ممن ينتمون للرابطة بمقابلة الرائد فاروق حمد الله في ٢٥/ ٢/ ١٩٧٠م، كما تمت مقابلتهم بعمر الحاج موسى وزير الإرشاد ورفض طلبهم بتقديم برنامج إذاعي منعاً للحساسيات ورجعت وفود البيعة للمنطقة وبمساندة السلطة كانت تصول وتجول وتطرح برامجها بينما يقوم الشرفاء بالتنوير للأهالي بمطامع اليسارية في حكم البلاد وتوزيع ثروتها.

والباحثة تثبت أن الوضع في الجزيرة أبا كان هادئاً وعادياً وأن الهدف الأساسي هو ضرورة إنهاء الشيوعية وإعلاء رايات الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية، وقد كانت العلاقة حميمة وقوية والتعاون قوياً بين الإمام وجماعة الإخوان بقيادة الكاروري والذين توافدوا لنصرة الحق ولم يتدخلوا في تهيئة الأنصار فقد كانوا يتبادلون الرأي والمشورة ويتبادلون الرسائل[1]. وهذا يدحض ما ذكره الرائد فاورق حمد الله وزير الداخلية في مؤتمره الصحفي بالتلفزيون ٢٤/ ٦/ ١٩٧٠م حيث تناول دور الإخوان ملفقاً للأحداث مضللاً للرأي العام حيث ذكر أن عدداً كبيراً من نظريات الإخوان وكتبهم الأساسية كانت تدرس للحلقات والكتائب المحاربة من الإخوان وكتائب الأنصار ومن أبرز الكتب.. الدعوة والداعية، الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، المقاومة السرية، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، الفكر الإسلامي المعاصر، الماركسية والغزو الفكري، ثم بعض الكتب التي تعتبر من مصادر الفكر الإخواني وأن كادر الإخوان هو الذي يقوم بهذا الإعداد النفسي وسط هذا الجمهور الجاهل.

والباحثة توضح إذا كان المجتمع جاهلاً فكيف قرأ وناقش وتفاكر حول هذه الكتب، وإذا كان يقصد أن الحملة التنويرية يقودها كيان الإخوان فهذا يجافي الحقيقة، إذ أن كيان الأنصار الذي تدافع للجزيرة أبا هو التيار صاحب التركيبة النفسية والارتباط

---

[1] انظر الملحق، الرسائل المتبادلة بين الإمام والكاروري.

العاطفي الجارف المتين بالموروث الأنصاري وكيان الأخوان يعلم ذلك فالإمام كان هو الوحيد الذي يشرف على الإعداد النفسي.

هذا التواجد الأنصاري الزاحف نحو الجزيرة من كل فج وهذا الالتفاف السياسي من قبل قادة الأحزاب وتواجدهم لمقاومة المد الشيوعي الذي وأد الديمقراطية والحرية والرافض للدستور الإسلامي والذي ساد بين قادته التوتر الملحوظ إزاء التفاف الشعب تجاه التجمع الوطني والتهاب الساحة السياسية السودانية في انتظار الساعات الحاسمة قرر الشيوعيون قادة الحركة والبعثيون والقوميون العرب أهمية إنهاء القوة المناهضة لهم خشية وخوفاً من سقوط ثورتهم اليسارية، فقد كانت رؤيتهم أهمية زيارة الجزيرة أبا ومقابلة الإمام والتحاور معه وفي نفس الوقت مشاهدة الواقع المحسوس ووضع تصور له لوضعه أمام القيادة في الخرطوم.

والباحثة تؤكد ما جاء في الوثائق والكتب التي تناولت الحدث إلا أنها تضع نص الحوار للتاريخ لأنه كان المحطة الأولى للانفجار الذي هز العالم بأسره:

الزيارة والحوار الديموقراطي:

كانت الزيارة أول زيارة يقوم بها وفد رسمي من أعضاء المجلس العسكري وذلك في اليوم الأول من شهر رمضان المعظم الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٦٩م الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وقد تم الاجتماع في غرفة مغلقة وقد ضم الاجتماع من جانب الحكومة فاروق حمد الله وزير الداخلية وأبو القاسم محمد إبراهيم وزير الحكومة المحلية ورئيس الأركان العامة وقائد حامية كوستي والعقيد يوسف أحمد يوسف والحكمدار إبراهيم أحمد عبدالكريم.

أما الذين حضروا الاجتماع مع الإمام اللواء (م) أحمد عبد الله حامد وعبد الرحمن محجوب وشرف الدين عبد الله حامد وشرف الدين أحمد عمدة الجزيرة أبا والفاضل محمد بشير سكرتير الهادي المهدي والذي كان يكتب وقائع الاجتماع.

والباحثة قبل أن تتناول الوقائع بالتفصيل فإن وجود الشخصيات مع الإمام الهادي في هذا الاجتماع تدحض وقائع المؤتمرات الصحفية التي أعطت حق الإعداد

النفسي والبدني لجماعة الإخوان وهو ما كانت تسعى إليه السلطة لمزيد من الاعتقالات والإساءة والتنكيل برموز الوفد.

أما ما دار في الاجتماع وبعد صمت قام الرائد وفاروق حمد الله بإخراج بعض الأوراق من حقيبة قدمها له ملاحظ البوليس بكوستي وبدأ حديثه.

السيد الإمام حقيقة لقد جئنا إلى الجزيرة أبا وفي أذهاننا شيء واحد هو أن الجزيرة أبا بقعة طاهرة مقدسة ومهد لثورات الإصلاح والتحرر فمنها اندلعت الثورة الأولى بقيادة محمد أحمد المهدي الذي نعتبره الثائر الأول في السودان وصانع تاريخ وأمجاد هذا البلد.

لقد ثار الإمام المهدي من أجل الإصلاح والتحرر وهكذا قمنا بها ثورة من أجل الإصلاح والتحرر من الظلم، نؤكد لسيادتكم تقديسنا للجزيرة أبا واعتقادنا الجازم بأنها تاريخ هذا البلد وتراث الأمة وقد جئنا إليكم لنريكم حسن نوايانا ولندحض لكم ما أشيع عن أننا ننوي مس الجزيرة أبا بأي سوء، لقد قمنا بهذه الثورة وحتى الآن لم نرق نقطة دم واحدة وهذا يؤكد حسن نوايانا وطننا بهذا الوطن والمواطنين وتعميقاً لهذا المفهوم وتقديراً للجزيرة أبا، واعترافاً بما قدمته لهذا البلد من تضحيات فقد قرر مجلس الثورة والوزراء تقديم بعض الخدمات الضرورية والأساسية لمواطن الجزيرة أبا، هذه الخدمات هي إكمال المستشفى وإنشاء مدرسة وسطى وبعض المدارس الأولية والشفخانات وأيضاً إنشاء نقطة بوليس تتكون من قوة صغيرة عدد أفرادها لا يذكر.. هنا حاول الإمام مقاطعته ولكنه استأذن في مواصلة الحديث حيث استطرد قائلاً لقد قرر مجلس الثورة والوزراء وبحضور اللواء نميري القيام بهذه الخدمات جميعها للجزيرة أبا وأوصى المجلسان بأن يبدأ في تنفيذ هذه القرارات في ظرف أسبوع واحد، الأمر الذي قررنا على ضوئه الحضور بأنفسنا للجزيرة أبا وبما أن هذه الخدمات من اختصاص وزارة الداخلية والحكومة المحلية فقد جئت بصفتي وزيراً للداخلية والرائد أبو القاسم وزيراً للحكومات المحلية وبعض رجال الاختصاص. ثم ساد هدوء بعد أن أنهى حمد الله رسالته بعدها كان رد الإمام والذي دار فيه الحوار بينه وحمد الله حيث أوضح الإمام:

- أشكركم يا سيد فاروق نيابة عن أهالي الجزيرة أبا على ما قدمتم من حديث عن هذه البلدة وما قدمته من تضحيات من أجل قضايا التحرر والإصلاح وحالها من مكانة في نفوسكم وفي تاريخ وتراث السودان والسودانيين ولا يسعني إلا أن أعرب عن شعورنا بالألم نحو مجيئكم إلينا تحت هذه الحراسة، التي تتكون من قوة كبيرة[1]. إننا نعتبر الجزيرة أبا بلداً لكل زائر وداراً لكل ضيف وهكذا فإن الجزيرة أبا بلدكم وداركم ويمكنكم أن تزوروها متى شئتم وأن تحلوا بها متى أردتم فأنتم أبناؤنا على كل حال ومرحباً بكم في كل حين، وأهل الجزيرة أبا هم أيضاً أهلكم ومواطنيكم، إنني فعلاً أشعر بالمرارة بقدومكم لنا بهذه الصورة، إننا يا سيد فاروق نرحب بقيامكم بهذه الخدمات للجزيرة أبا ولكن ثمة شيء واحد نقطة البوليس نأمل أن تعطوه الاعتبار، ومثلما أكدت لنا في سابق كلامك بأنكم تقدرون وتقدسون الجزيرة وأن لها في نفوسكم مكانة كبيرة فإنني آمل أن تكون نفس هذه المشاعر نحو الجزيرة أبا سبباً في تقديركم وعدولكم عن فكرة إنشاء نقطة بوليس، أولاً لأن البلدة لا تحتاج لقوة بوليس لحفظ النظام واستتباب الأمن فيها ولأنها لم تعرف حوادث القتل والنهب والسرقة ولأن سكانها يعيشون في أمن وطمأنينة تربطهم جميعاً أقوى روابط العقيدة والمودة والإخاء وأني أؤكد لكم أن الأمن فيها مستتب وأن سكانها إنما نشاؤوا على حفظ النظام وصون حرماته.

والباحثة تواصل سرد محضر اللقاء لأهمية الحوار الذي دار ولإثبات الحقائق أمام الدارسين لتلك الفترة الهامة من تاريخنا المعاصر.

رد الرائد فاروق بقوله :

السيد الإمام إننا نعتبر أبا جزءً من السودان وأن لمواطنيها نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات التي تنطبق على كل مواطن، إننا نحب أن تكون حكومة أو لا حكومة وأحب أن أوضح لكم أن أنصاركم اتجهوا في الآونة الأخيرة إلى ممارسة بعض الأعمال

---

[1] الحراسة تتكون من ثلاثة عربات مصفحة وأربعة عربات كبيرة تحمل عدداً كبيراً من الجنود بسلاحهم وعربة حراسة مزودة بالمدافع الرشاشة وثلاثة عربات لاندروفر.

التي نعتبرها مخالفة للقانون وقد وصلنا العديد من الشكاوى والبلاغات تتلخص في الآتي: يقرأ سارداً بعض الحالات التي تعرض فيها الأنصار إلى إيقاف بعض العربات مع ذكر مقدمي البلاغات وتواريخها، وأن هذه الأشياء حدثت بعلم سيادتكم أو بغير علمكم وهي أعمال مخالفة للقانون، ونحن نرقى إلى حماية المواطن من هذه الأعمال التي يمارسها أنصاركم وإلى تقديم الخدمات لمواطن الجزيرة أبا.

وقاطعه الإمام بقوله:

يجب أن تعلم يا سيد فاروق أن مواطني الجزيرة أبا هم الأنصار وأنا حينما أتحدث، أتحدث باسم مواطني أبا جميعاً.

الرائد حمد الله: على أي حال هذا ما حدث فعلاً وقد قرر مجلس الثورة والوزراء إقامة نقطة بوليس وأنا بصفتي وزيراً للداخلية ملزم بالتنفيذ.

رد الإمام: يا سيد فاروق أن حكم الاستعمار والحكومات الوطنية التي أعقبت الاستقلال كل هذه الحكومات لم تفكر في فرض هذا الأمر على أهالي الجزيرة أبا، فهل نعتبر أنكم جئتم إلى السلطة لكي تفرضوا على الناس وضعاً معيناً؟

الرائد حمد الله: كلا.

الإمام الهادي يواصل الحوار ويذكر: أن كل الحكومات السابقة لم تحاول فرض هذا الأمر، وأذكر أنه في حكومة السيد إبراهيم عبود أراد مجلس الوزراء إقامة نقطة بوليس بالجزيرة أبا، ولكنهم اقتنعوا بعدم جدواها وعدم حاجة البلدة للنقطة، فعدلوا عن هذا الأمر وأحالوها لقرية المرابيع.

ثانياً: جاءني رسول خاص من السيد الميرغني وأخبرني بالخدمات المقرر تقديمها للجزيرة أبا، وسألني عن رأيي فيها وأوضحت أننا نرحب بكل هذه الخدمات، وقد ظللنا نطالب بها ونشجع قيامها بكل إمكانياتنا ولكني بينت له حساسية الموقف بالنسبة لنقطة البوليس، وبعد فترة حمل إليَّ السيد عبد الوهاب رد السيد النميري والموافقة على إلغاء نقطة البوليس.

ثالثاً: أن الشكاوى: والبلاغات التي تحدثتم عنها لم يكن لنا بها علم وقد أخبرت في خطاب السيد ملاحظ بوليس كوستى عن بعض التصرفات كإيقاف بعض العربات ولا أظن أن هذه الأعمال تمارس الآن، وأذكر أنني أوضحت له في رده على رسالته أن الأنصار هم أكثر الناس حرصاً على المحافظة على النظام وأكثرهم التزاماً باحترام المثل والتقاليد، وفي واقع الأمر أن تربية الأنصار لا تسمح بالإتيان بأي عمل غير لائق بالقيم والأخلاق السودانية.

رابعاً: فيما يتعلق بزيارة السيد نائب مدير عام البوليس فإني شعرت بالحرج عندما قاموا بزيارتي بتلك الصورة المفاجئة.. أنه من أبسط القواعد أن يخطر الزائر صاحب الدار ليكون على الأقل على علم بضيفه المرتقب، ولكن السيد نائب مدير البوليس شاء أن يقوم بزيارتنا دون إخطارنا ولا حتى إخطار العمدة المسئول عادة عن استقبال الوفود الرسمية.

والشاهد أن الموقف بالجزيرة أبا حساس للغاية وقد راعي الناس في هذه الزيارة غير المرتقبة أمراً غير عادي، فهرعت جموعهم ولحقت بنا في (جنينة طيبة) ظناً منهم أن رجال الجيش والبوليس جاءوا لاعتقالنا، ولكن أراد الله ولطف ولم يحدث أي شيء، وقمت بنفسي بتوضيح الأمر وطمأنتهم على كل شيء.

كلمة الرائد أبو القاسم في الحوار:

وهنا جاء دور الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم الذي ظل صامتاً مستمعاً بدأ حديثه:

السيد الإمام نشكرك على هذا الترحيب وأحب أن أؤكد لك بأننا صادقون فيما نحس به نحو الجزيرة، فكلنا أهل وأخوان كما ذكر سيادتك وجميعنا سودانيون وما فينا واحد مقطوع من شجرة، إننا أولاد قبائل ونحس بما يحس به كل مواطن صالح ونحن أيضاً مسلمون وأبناء مسلمين، إننا فعلاً اعتبرنا الجزيرة أبا داراً لنا وأهلها أهلاً لنا، وعلى هذا الأساس جئنا إليكم لنسهم في تقدمها وتطورها، وأنا طبعاً وزير الحكومة المحلية والمدارس الأولية والصحة والخدمات الاجتماعية تابعة لوزارتي، وسأقوم بتنفيذ كل هذه

الخدمات بكل صدق وحماس، ولقد عرفنا الجزيرة أبا بخلاف ما كنا نتصورها وبعكس ما كان يصورها لنا الناس، لقد قيل لنا أن بالجزيرة أبا حشود كبيرة وأسلحة وفوضى لا حصر لها، ولقد كانت كل هذه المعلومات التي تصل إلينا تحتوي على هذه المزاعم وتقوى وتؤكد كل انطباع سيء عن الجزيرة أبا وفي الوقت نفسه أتصور ما سمعتموه وما تسمعونه عنا يزيد حتماً من حدة التوتر لذلك فإننا يا سيدي الإمام سوف لن نقبل أن يكون بيننا وسيط بعد الآن، وسنأتي إليك إذا أردنا من سيادتك شيئاً ونأمل أن تطلبنا إذا أردت منا أي شيء. إننا حقاً نقدرك ونحترم مكانتك الدينية المرموقة.

كان رد الإمام على كلمات أبو القاسم منطقياً إذا أوضح في رده:

أشكرك يا سيد أبو القاسم أن ما قلته هو في الواقع كلام جيد ينطوي على معنى عظيم وإني نيابة عن أهالي الجزيرة أبا أرحب بالخدمات التي ذكرتها، ولن نرفض مثل هذه الخدمات الحيوية، وقد أنفق والدنا الإمام عبد الرحمن المهدي من ماله الخاص في تشييد المدارس، ومراكز التدريب المهنية والصناعية، وما زلنا نشجع القيام بمثل هذه المنشآت. وتحظى منا بكل العون المادي والأدبي. وإننا نعتبر أن لأهل أبا حقوقاً على الدولة مثلما عليهم من واجبات، وإني أرجو أن لا تستمعوا إلى ما يشاع عن أننا نرفض ولا نرحب بتقديم الخدمات لمواطني الجزيرة فهذه مزاعم مردوده ولا تمت للواقع بصلة، أما فيما يختص باتصالكم المباشر فبابي مفتوح لكم على الدوام.

الرائد أبو القاسم: لقد علمنا أن بالجزيرة أبا جموعاً غفيرة من الأنصار وأن سيلهم لم ينقطع عن الجزيرة أبا ونخشى أن يعوق هذا التجمع سير الخدمات ويشوش على من يقومون بها من الخبراء وذوي الاختصاص.

وجاء رد الإمام: أن تدفق جموع الأنصار على الجزيرة أبا أمر طبيعي وأنتم تعلمون أنني لم أبرح الجزيرة طيلة الأشهر التي مضت، فهم يأتون للاتصال بي في هذه الظروف التي لا تخفى عليكم، وفي أيام الجمعة يحرص الأنصار في الضواحي والمناطق القريبة على الحضور لأداء صلاة الجمعة معنا، أن التحدث عن إعاقة سير الخدمات وعرقلة القيام بها بواسطة الأنصار أمر غير صحيح، إذا أنهم لا يتحرشون بالناس وشعارهم دائماً الوضوح

في كل شيء، ولقد ذكرت لكم منذ البداية أن الأمر برمته موضوع تربية وأخلاق، ولم يعرف الأنصار عبر تاريخهم بالغدر أو التحرش بالناس بل على النقيض من ذلك فإن شيمتهم السمو بالأخلاق واستقامة المسلك.

الرائد فاروق: إننا لا نعترض على التجمعات الدينية ولكن المعلومات التي لدينا تؤكد أنها تجمعات سياسية يقال فيها أننا شيوعيون وهكذا.

الإمام: أن الدين يا سيد فاروق مرتبط بالسياسة وقد تبرز مواقف سياسية معينة تؤثر على الدين والمعتقدات، أما الحديث عن الشيوعية وغيرها من المذاهب فهذا موضوع كبير يحتاج إلى متسع من الوقت فلنتركه للظروف.

الرائد أبو القاسم: لقد عرفنا رأي سيادتكم في نقطة البوليس التي يمكن أن تختار أفرادها من الجزيرة أبا نفسها فهل هناك ضمانات بعدم حدوث ما يعوق سير الخدمات وما هو البديل في رأي سيادتكم.

الإمام: إنني أرى أن عمدة البلد يستطيع أن يوفر العدالة لاسيما وهو واحد من عقلاء مواطني الجزيرة أبا وملم إلماماً تاماً بالأحوال فيها، وله معرفة بكل الأهالي وهذا زيادة على أنه مضى قرابة الثلاثين عاماً في هذه الخدمة وأنا متأكد بأنه يقوم بواجبه خير قيام.

الرائد أبو القاسم: أن العمدة نفسه تابع لوزارتي واستطيع أن أغيره متى ما أثبت عدم القدرة على القيام بواجبه ويمكن أن نزيد من سلطاته لهذا الغرض الشيء الذي يهمنا أن يكون الجو مناسباً لرجال الاختصاص بالصورة التي تمكنهم من القيام بمهامهم، وأن يأتي المسئولون بما في ذلك حكمدار كوستي لتفقد سير العمل في حرية تامة.

الإمام: لقد أوضحت لكم أننا مستعدون لتقديم كل التسهيلات للمسئولين عن سير الخدمات بالجزيرة أبا فهم ضيوفنا وسنعمل على توفير راحتهم وكل ما من شأنه تسهيل مهمتهم هذا (وإنشاء الله ما يحصل ما يجعلهم يشعرون بالقربة) وإني أود أن أؤكد لكم بأن العمدة بمساعدة المواطنين يستطيع تذليل كل الصعاب التي تعترض سبيلهم.

الرائد فاروق: على كل حال أنا سأصدر أمر باعتقاله إذا حدث أي إخلال بالاتفاق.

الرائد أبو القاسم: أين هو العمدة وهل نستطيع مقابلته الآن؟

الإمام: نعم تستطيعون ذلك، وأرسل من ينادي العمدة الذي جاء وأحيط علماً بالاتفاق وبعد أن أجاب على بعض الأسئلة التقليدية حول مدة خدمته وحالة المحكمة وعدد أفرادها، أخبره الرائد أبو القاسم بأنه سيعزز المحكمة ويزيد من سلطاته لتوفير العدالة في الجزيرة أبا، فأبدى العمدة استعداده لتحمل المسئولية.

وأخيراً تحدث الرائد فاروق مخاطباً العمدة أعلم بأنني سأصدر الأمر باعتقالك إذا حدث أي شيء، فأجابه العمدة إني مستعد لذلك ولكني أمامكم أطلب أن أحاط علماً بقدوم أي مسئول في وقت يمكنني من اتخاذ التدابير اللازمة لمقابلته ومعرفة ما يريد.

وشكره الرائد أبو القاسم وكرر أنهم سيتصلون به دون وساطة فودعهم الإمام وقال لهم: (إنشاء الله المرة الجاية تجو لابسين جلاليب) [١].

والباحثة تثبت هذا الحوار الديمقراطي لأهميته وتتساءل هل كان الوفد لا يعلم باتصال نميري بالإمام أم أن الوفد جاء كجهاز استخبارات لقياس الرأي العام ودراسة الأوضاع في الجزيرة، فقد لا يعقل أن يفاوض الوفد وليغرس مندوب يحمل وجهة نظره للإمام وهذا يؤكد أن الصلة بين أركان الشيوعية وقادة النظام تبدو هشة الارتباط.

فما دار من حديث يوضح الصورة الحقيقية التي حاول كُتاب التاريخ إخفاؤها وهنا نثبتها بالوثائق والحقائق العلمية.

أما الخيارات في الساحة السياسية السودانية فالباحثة بحكم موقعها من الأحداث ومشاهدتها واستماعها لكافة الوقائع التي دونها بعض الأخوان فإن الخيارات كانت تتمثل في التالي:

أما أن تستمر الاتصالات والوساطات وهي عادة لا تأتي بنتيجة للاختلاف الواضح بين شعارات النظام الذي يقوده التيار الماركسي والقومي العربي اللذان كانا يقبضان على السلطة والذي كان يبني إستراتيجيته على ضرورة القضاء على الرجعية والإقطاع وهي شعارات ناصرية أطلقوها في منابرهم وبين تيار كان يرى أن المواجهة

---

[١] انظر الملحق، وثائق الاجتماع.

ستؤدي لدماء تسيل وتفقد البلاد أرواحاً عزيزة، والخيار الثالث هو تجميد الأوضاع بين الطرفين ولكن أطراف التطرف في الحكومة لن ترضى بذلك وتسعى للمواجهة.

في جامعة الخرطوم أم الجامعات السودانية وقائدة ثورة التغيير وواجهة الشعب السوداني دوماً بمكانتها المرموقة كان طلبة الاتجاه الإسلامي (أمة اتحاديين أخوان مسلمين) يمثلون قوة مؤثرة ومؤهلة لأن تكون أداة ضاغطة في إطار حركة المعارضة فبعض طلاب الحركة قاموا بزيارة للجزيرة في مجموعات صغيرة تثبت الأسماء والأدوار للتاريخ كان من بينهم الطالب قطبي المهدي الذي كلفه الشيخ الكاروري والإخوان الذي كانوا مع الإمام ببعض المهام وأرسلوه للأبيض وبعض المدن. وقبل فترة الأحداث زارها من الإخوان د. حامد محمد إسماعيل، ومن طلبة جامعة الخرطوم المنتمين للإخوان محمود جحا وماهل أبو جنة وأحمد علي سالم، كما قام بالزيارة للجزيرة أبا الطلبة المنتمون لحزب الأمة وكيان الأنصار، ومنهم الصادق بله، وعباس برشم، ومكي يوسف وعبد الرسول النور، والزهاوي إبراهيم مالك ومحمد آدم أحمد سعيد.

كما كانت تصل معلومات وتقارير من بعض العاملين بالقوات المسلحة والشرطة بقيادة الضابط مأمون شرفي[١].

أما فاروق البرير[٢] المحامي فقد أرسل رسالة للإمام الهادي أوضح فيها أن الاتصالات التي قمنا بها في الخرطوم والتي يجري تحتها غليان وتنظيم لبعض أخواننا في القوات المسلحة الذين لن يتوانوا عن القيام بواجبهم نحو الأمة السودانية دفاعاً عن حريتها واسترداداً لأصالة سلطتها ولابد لمثل هذا العمل أن يرتبط بجماهيرنا التي يقع واجب قيادتها على كاهل سيادتكم، وأوضح في رسالته بأهمية أن تعبأ الجماهير في النيل الأبيض لتستقبل اللواء نميري بالهتاف العدائي بسقوطه وسقوط نظامه، على أن يكون الاستقبال أول شرارة عملية لمقاومة الوضع والنظام الحاكم وسيترتب عليها وضع

---

[١] مأمون شرفي، أحد الكوادر الأنصارية التي اعتمد عليها في تزويد الإمام وصحبه بالمعلومات.

[٢] فاروق البرير، أحد كبار كيانات الأنصار.

إستراتيجي هام في الخرطوم وإخواننا في القوات المسلحة وستمحو صورة الخوف من النظام لدى الجماهير.

يورد الشهيد الفاضل الهادي المهدي[1] في صحيفة الأمة بداية الرحلة المشئومة والخطوات التي اتخذت وأوضح (حضر إلى الجزيرة أبا كبير مفتشي البوليس بمديرية الجزيرة وقابل الإمام الهادي بحدائق طيبة وساق إليه برغبة رئيس النظام في زيارة الجزيرة أبا.

وكان رد الإمام بأنه والحمد لله الأمن مستتب بالجزيرة أما الزيارة فإن الإمام لا يرحب به زائراً لها ولكن إذا أراد زيارتها رغم ذلك فله زيارتها ولكنه لن يجد الترحيب.

والباحثة وهي توضح الأحدث تثبت دور الأسرة في عملية الربط بين الصادق المعتقل وبين الإمام القائد لثورة التصحيح.

كان التشاور بين الجميع حول ما يحمله الغيب من مفاجآت فالجزيرة أبا منطقة مكشوفة لا تصلح كميدان معركة لذا فقد كانت هناك اتصالات يوردها الفاضل الهادي أن اتصالات الإمام بالصادق كانت مستمرة عن طريق بيت أهل الصادق والذين كانوا يزورونه وهو في الاعتقال كانت السيدة سارة الفاضل محمود زوجة الصادق المهدي تحمل رسائل الصادق إلى الإمام والعكس صحيح وكان الإمام الهادي قد أخبر الصادق بالاستعدادات الجارية وكان رد الصادق ضرورة الحذر والجزيرة منطقة مكشوفة لا تصلح كميدان للمعركة وكان الإمام يخطط مع مستشاريه لنقل المعركة إلى الخرطوم. تحرك مدني يدعمه عسكريون مناهضون للانقلاب المايوي وكانت الاستعدادات تسير على هذه الغاية.

نذر المواجهة والصدام بين الطرفين:

شن الإمام الهادي في خطبة الجمعة ٢٠/ ٣/ ١٩٧٩م بمسجد الكون هجوماً شديداً على الحكومة. في ذات الوقت أعلن أبو القاسم محمد إبراهيم أن الزيارة ستتم

---

[1] صحيفة الأمة، عدد الأحد ١٦ فبراير ١٩٨٦م.

حتى لو لم يتم افتتاح منشأة واحدة أو وضع مسمار واحد ورفضوا تأجيل الزيارة، ووصل صلاح قرشي محافظ النيل الأزرق من مدني لكوستي وللمنطقة عموماً قبل أسبوع من بدء الزيارة لوضع التجهيزات الواجبة.

هنا تبرز الباحثة الدور الذي لعبه صلاح عبد السلام[1]، الخليفة لتأجيل زيارة نميري ولكنه لم يوفق وبواسطة صلاح عبد الماجد[2]، صديق الرائد فاروق حمد الله حيث أجري تعارف بين الطرفين وكلفه حمد الله بالذهاب للجزيرة لمقابلة الإمام ومنحه الإذن، وقد زار الجزيرة مراراً وبحكم خبرته العسكرية.

قدم بعض النصائح لإعادة تأهيل وتدريب الأنصار.

وعندما علم بموعد الزيارة المحددة ٢٣/ ٣/ ١٩٧٠م حاول أن يتصل بنميري ولكنه كان في أم ضوأبان وقبل منتصف الليل التقى بمصطفى نميري بفندق الواحة، وطلب منه أن يصطحبه لمقابلة نميري لأمر هام وعاجل وتم اللقاء في وقت متأخر من يوم ٢٠/ ٣/ ١٩٧٠م. وعلم صلاح أن الرائد حمد الله لم يخبر نميري بالاتصالات التي جرت بينهما بل أن نميري لم يكن يعرف أنهما يتعارفان وتوسل صلاح لنميري أن يؤجل زيارته ذاكراً له بأنه سيبذل قصارى جهده لإقناع الإمام والتزم بأن تخرج الأنصار في الجزيرة أبا والنيل الأبيض لاستقباله والترحيب به.

كانت بين صلاح ونميري صداقة قديمة تزاملاً في حنتوب والقوات المسلحة لذا فإن نميري أخبره أن التماسه جاء متأخراً بعد أن يثبت أجهزة الإعلام تفاصيل الزيارة ووعده بتأجيل زيارة الجزيرة أبا.

هنا تضع الباحثة هذه الأسئلة لماذا لم يخطر حمد الله رئيسه نميري باتصالات صلاح وزياراته لمقابلة الإمام.. هل هي النية المبيتة من قبل الشيوعيين للفتك بأهالي

---

[1] صلاح عبد السلام، اعتقل بعد قيام مايو وإخراج عنه ومحل ثقة من الجانبين ولكنه أنصاري، واحد أعضاء حزب الأمة جناح الهادي قبل توحيد الحزب.

[2] صلاح عبد الماجد، ابن عبد الماجد أحمد وزير المالية زمن حكومة عبود وكان صديقاً حميماً للرائد فاروق حمد الله.

الجزيرة وهو برنامج خطط له عسكرياً لإجراء التصفية الشاملة، وبالتالي فإن الكتلة الشيوعية كانت تمارس في الظلام التخطيط للعمليات دون معرفة قائدهم.

في ذات الوقت كان حامد شاكر[1]، قد اشترك مع المحافظ في وضع البرنامج للزيارة وذهبا إلى نميري الذي أوضح أن الزيارة قائمة مع عدم ذكر الجزيرة أبا في النشرات وحاول شاكر أن يقنعه بضرورة زيارة الجزيرة التي لا يمكن أن تكون معزولة عن المد الثوري ويجب أن تخضع للسلطة المركزية ولا يسمح لها بأن تكون حكومة داخل حكومة، والكوادر الشيوعية والثورية ترى ضرورة مواجهة الرجعية في عقر دارها وعدم مهادنتها وصمت نميري في يوم الأحد ٢٢/ ٣/ ١٩٧٠م اتجه اللواء معاش احمد عبد الله حامد ليكون قريباً من الإمام الهادي ويمده بمشورته العسكرية.. كان من رأي محمود الحلو إلا يدخل الأنصار في أي مواجهة مع النظام لأنه يمتلك القوة، وإذا أصر نميري على الزيارة فعلى الإمام الهادي أن يحسن استقباله وهذا الرأي لم يأخذ به الإمام الهادي.

أما عن الرحلة وبعد أن أضفت عليها أجهزة الإعلام صور الإثارة والترقب وهيأت الساحة الداخلية والخارجية بالحدث الذي سيدك حصون الرجعية، فقد أوقدت الصحف كوادرها اليسارية بقيادة الفاتح التجاني عن جريدة الرأي العام وطلحة الشفيع (الصحافة) ومحمد حسن مهدي (الأيام) وعبد العظيم عباس جريدة السودان الجديد ووصفوا الرحلة كل حسب هواه ما بين إسهاب واختصار فالرحلة بدأت من جبل أولياء السادسة صباحاً يوم الاثنين ٢٣/ ٣/ ١٩٧٠م ووصلت القطينة ومنها إلى القراصة والجمالات وود الزاكي (توجه الوفد بالبنطون للضفة الغربية وكانت الاحتفالات حاشدة بما قام به الكادر الشيوعي من حشد للقاءات خاصة في ود الصوفي وود نمر وأبقر ثم كانت الزيارة لشبشة حيث استقبل الوفد ثم اتجه للدويم، حيث استقبل استقبالاً جماهيرياً، وبات ليلته هناك ثم زار بخت الرضا، وطالب أن تسود روح التكافل وفي يوم الثلاثاء ٢٤/ ٣/ ١٩٧٠م عقد أعضاء المجلس التنفيذي لمديرية النيل الأزرق اجتماعاً في

---

[1] حامد شاكر سكرتير اتحاد العمال لمديرية النيل الأزرق.

الباخرة ترأسه نميري وحضره مرافقوه من قيادة الثورة والوزراء، كما حضره الأمين محمد الأمين رئيس اتحاد مزارعي الجزيرة والمناقل، وحامد شاكر سكرتير العمال، ونفيسة أحمد الأمين، والأستاذة هنية محمد الحسن وضم الاجتماع الفنان التشكيلي المعروف أحمد محمد شبرين تناول الاجتماع النشاط المضاد للنظام الذي يقوم به بعض المعلمين وطالبوا بمزيد من السلطات للمجالس، اتجه الوفد لمناطق العطش في أبي حمرة والهلبة وغيرها، وأقيم ليلة سياسية بالدويم تحدث فيها نميري عن الخطة الخمسية لتطوير الاقتصاد السوداني وفد شارك في وضعها خبراء من الاتحاد السوفيتي. ثم واصل طوافه ووصل الكوه ٢٥/ ٣/ ١٩٧٠م واستقبله عمر الحاج موسى بينما كانت الجماهير تردد الهتافات بحياة الثورة وجماهير مضادة، وهنا كانت بداية التحرش بنميري عندما هاجمه مواطناً كان يحمل سكيناً، وامسكوا به عندها تحدث نميري وقال: (أن في أيدينا القوة ولكن لن تستعملها ضد أناس بسطاء أراد بعض قادة الأحزاب المنحلة استقلالهم، كما تحدث مأمون عوض الوزير موضحاً (ليس هناك عذر لمن يتصدى للجماهير ويمنعها من مسيرتها.

وفي الضفة الغربية للنيل الأبيض قبالة الكوة تقع قرية الكريدة حيث استقبل الوفد الشيخ محمد أحمد الشيخ عمر وحوله مواطنو المنطقة وتلاميذه وسعى الشيخ لتهدئة الخواطر وضبط النفس وحاول نزع فتيل الخطر، وأطلقت جماعات الأنصار هتافات عدائية وحطموا صيوانات الاستقبال.

والباحثة توضح أن نميري لم يكن متحمساً للدخول مع الأنصار في معركة أو في مواجهات دموية بعد أن تحركت باخرته ربما فطن لتدابير أعضاء الحزب الشيوعي وقيادته لضرب الرجعية ربما أحس بأنه سيقدر به، فالسياسة لعبة يجيد تنفيذها أهل اليسار والبعثيين والقومية العربية ومن جانب آخر لو كان الإمام أصدر أوامره للجماهير الحاشدة لهجموا على الباخرة والناس نيام ولكنها الأخلاق والمروءة والإسلام.

بعد هذه الأحداث تصاعدت ردود الأفعال فالكوادر المايوية العقائدية طالبت بالمواجهة الحاسمة واستعمال الردع الثوري مع من تسميهم قوى التخلف والرجعية والإقطاع.

يذكر نصر الدين الهادي المهدي أدق التفاصيل حول محاولة القبض على الإمام الهادي وقد أوردها في وثائق مركز توثيق الإمام عبد الرحمن[1]، إذ يذكر في فجر الخميس ٢٦ مارس ١٩٧٠م حضر إلى منزل الإمام الهادي بود نوباوي العقيد مأمون أحمد شرفي والمحامي فاروق البرير وطلبا منه السفر مباشرة لمقابلة والده وإخطاره بأن لواءً مدرعاً تحرك من الخرطوم لاعتقال الإمام. وأوضح أن الأنصار كانوا يترصدون ويترقبون ذلك وقد حفروا خندقاً امتلأ بمياه النيل الأبيض مما حال بينهم واقتحام الجزيرة، وبما أن طول الجاسر يبلغ حوالي ألف وخمسمائة متر وجد أبو الدهب أن قواته محاصرة فأصدر أمراً بالتراجع وفي الجزء الشرقي حفر الأنصار الكبرى الترابي وكانت هذه الكمية كافية وامتلأ الجاسر بجموع الأنصار المسلحة بالأسلحة البيضاء والعصي وعندما أحس أبو الدهب بالخطر لوح بمنديل أبيض مردداً التهليل والتكبير مع جموع الأنصار وطالب بمقابلة الإمام الهادي مكرراً بأنه جاء مسالماً وهو يطلب التفاوض وبعدها وصل المرحوم خالد محمد إبراهيم الذي بادر أبو الدهب بالاستفسار عن أسباب هذا التحرش، فرد عليه بأنه مندوب الضباط الأحرار للتفاوض مع الإمام وبالرغم من عدم اقتناع خالد بتلك الإجابة قام باصطحاب العميد أبو الدهب والرائد عثمان الأمين قائد حامية كوستي لمقابلة الإمام بالسراي داخل الجزيرة بعد أن استمع الإمام لرواية أبو الدهب ومرافقه بأنهما موفدان من قبل الضباط الأحرار لمعرفة موقف الإمام من النظام وشروطه للتفاوض وأغلظا القسم على صدقهما **وكانت مطالب الإمام تتلخص في:**

- إزالة الواجهة الشيوعية للنظام.
- الإفراج عن الصادق المهدي وكافة المعتقلين السياسيين.
- إعادة الحياة النيابية وإجراء استفتاء عام على مسودة الدستور الإسلامي.
- عودة الجيش إلى ثكناته.
- منع التدخل الأجنبي.

---

[1] نصر الدين الهادي المهدي، شاهد عيان على الأحداث.

أستاذنا بالانصراف فأمر الإمام بحمايتهما والقوة المصاحبة حتى خارج الجاسر ورافقهما المرحومان الفاضل علي المهدي والطاهر الفاضل محمود يحولون بينهم وحشود الأنصار الغاضبة.

الإمام الهادي ومحاولة الإعتقال:

بينما يذكر صديق البادي[1]، أن الرئيس نميري اتصل يوم الأربعاء ٢٥/ ٣/ ١٩٧٠م بالرائد مأمون عوض أبو زيد لإرسال قوة من الخرطوم لاعتقال الإمام الهادي عبد الرحمن المهدي قبل الساعة السابعة من صباح يوم الخميس ٢٦/ ٣/ ١٩٧٠ وقد أورد محمود عبد الرحمن الفكي[2] تكوين القوة للاعتقال وهي تتكون من:

- اثنين سرية مظلات.
- واحد سرية من حامية الخرطوم.
- اثنين عربة كماندو.
- تسعة عربة بير دوم.
- عربة إشارة.
- عنصر طبي.

وعقد اجتماع في الساعة الثانية والنصف في يوم ٢٥/ ٣/ ١٩٧٠م بالقيادة العامة حضره الرائد زين العابدين ولفيف من قادة القوات المسلحة وعين العقيد أحمد محمد أحمد أبو الدهب قائداً للقوة المتجهة للجزيرة أبا.

وقد تجمعت القوة في منطقة الشجرة واتجهت إلى الجزيرة في الثامنة والنصف مساءً وبدأت في الاستكشاف وتحديد الواجبات واتفقت الروايات على ما واجه أبو الدهب في الدخول ومواجهته بجموع الأنصار ومقابلته للإمام الهادي.

والباحثة تؤكد صحة الوثائق التي تناولت الحدث إلا أنها تضيف من واقع موقعها ومتابعتها للأحداث أن محمد صالح عمر ومهدي إبراهيم كانا يعتقدان أن ما حدث خدعة لمعرفتهما بأبو الدهب وكانا يسعيان أن يحتفظ به كرهينة ليساوموا به النظام ولا يفكوا أسره إلا إذا وصلوا لاتفاق.

---

[1] صديق البادي، سبق ذكره، ص ص٤٥-٤٦.

[2] محمود عبد الرحمن الفكي، تاريخ القوات المسلحة، دون تاريخ.

ترك أبو الدهب القوة العسكرية المصاحبة له في ربك واتجه برفقة الرائد عثمان الأمين لكوستي حيث التقى بالعقيد التاج حمد واتجهوا لمقابلة نميري قبل دخوله كوستي، وكان في طريقه إليها بعد تندلتي وقدم أبو الدهب تقريراً شفهياً كاملاً للرئيس نميري عن كل ما دار وطلب نميري وضع خطة لمحاصرة وتطويق الجزيرة أبا حتى صدور تعليمات ووضعت الخطة وتم استدعاء قوات إضافية، وقد تولى القيادة فيما بعد يوم الجمعة ٢٧/ ٣/ ١٩٧٠م أبو القاسم محمد إبراهيم وكوكوبة من القيادات على رأسهم أبو الدهب والتاج حمد وسعد بحر وبعض قادة الأفرع العسكرية.

والباحثة تواصل إظهار الحقائق الغائبة عن سجلات التاريخ والتي ارتكب فيها النظام الشيوعي أساليب الخداع والقتل والسفك والسحل.

دخل نميري مدينة كوستي ٢٦/ ٣/ ١٩٧٠م استقبلته الجماهير استقبالاً حاشداً تخللته هتافات مضادة وألقت قوات الأمن القبض عليهم. وعقدت ندوة بالميدان تحدث فيها ممثلي النقابات والاتحادات والمنظمات الموالية لمايو وألقى نميري خطاباً ضافياً نورد منه: (أيها المواطنون الأحرار لقد وصلنا إلى مدينتكم ونحن نشق طريقنا عبر مآسي متصلة الحلقات مدن وقرى يخيم عليها البؤس وشيب وشباب وأطفال تفتك بهم الأمراض وعلى طول الطريق مشاريع القطن المخضرة التي زرعتها سواعدكم وروي أرضها عرقكم ودمكم ولم تجنون منها سوى البؤس والشقاء ويجني ثمرها قطناً يباع ويتحول إلى جيوب ممتلئة ويوم هب إخوانكم لاسترداد حقوقهم كان الرد رصاصاً اخترق صدورهم في عنبر كوستي المشئوم وقد تفجرت ثورة مايو استجابة لنداء الشهداء وإحياءً لذكراهم وإدانة للمجرمين وقصاصاً منهم. وقطع نميري رحلته وعاد للخرطوم يوم ٢٧/ ٣/ ١٩٧٠م وفي ذات اليوم الجمعة خاطب الإمام الهادي جموع المصلين وأوضح أنه تم الاتفاق مع مايو وأن أبو الدهب قد حمل شروطه وكفى الله المؤمنين القتال.

أما رواية محمد أحمد محجوب[1] فالباحثة تثبتها للتاريخ لأنها لا تخرج عن الإطار العام لكافة الروايات التي تناولت غدر ووحشية مايو في اقتحامهم للجزيرة أبا، حيث أوضح (أن المجلس العسكري لم تسره كثيراً من التقارير الواردة من المنطقة وقد اعتبر ترفع الإمام عن السياسة في الخرطوم خطراً على نظام الحكم وكان معظم الذي أصبح زعيماً للختمية بعد وفاة والده عام ١٩٦٨م قد اعترف بحكومة بابكر عوض الجديدة وزعيم المعارضة الوحيد الذي ما زال قوياً وحراً ومستقلاً، كان الإمام في الجزيرة أبا والذي وجه إنذاراً أنه غير مسئول عن زيارة نميري للجزيرة وأوضح نميري أن أحد الأنصار حاول اغتياله وأن رجال المهدي اعتدوا بالضرب على كبار الضباط الذين أرسلوا للتفاوض مع الإمام.

أما عن الانتقام فقد أوضح المحجوب أنه أكثر اللطخات سواداً في تاريخ السودان القريب فقد قضى القصف بطائرات الميج التي لم يكن السودان يملكها إلى قتل وتشريد وأقسى تقتيل لا سابقة له في تاريخنا فقد تم حصد الناس وتفجيرهم قطعاً في الشوارع والحقول أثناء فرارهم للاحتماء.

والباحثة شاهدة عيان توضح باختصار المعركة خلال خمسة أيام، الأيام المحزنة المباكية فالدم الذي سال لا يغسله الزمن ولا ينساه التاريخ فدماء الشهداء من أجل العقيدة والوطن ستظل خالدة..

بدايات المجزرة بأبا:

ففي يوم الجمعة ٢٧ مارس ١٩٧٠م كان كل شيء هادئاً بالجزيرة إلا أن الخرطوم كانت تعد لمجزرة التاريخ لإزالة الجزيرة أبا من الوجود جماهير الأنصار تتجمع لأداء صلاة الجمعة ثم تناول وجبة الغداء وما أن تهيأ الجمع للتفرق إلا وفتحت أبواب الجحيم حيث انهمرت قذائف المدفعية من كل الجهات في معارك ضارية بينما الطائرات المقاتلة من طراز "بكاي هوك" تقصف الجزيرة بعنف، فتهاوت علي إثر ذلك المنازل

---

[1] محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، مرجع سابق، ص ص٢٣٧-٢٣٨.

وأعمدة الكهرباء ارتفعت سحب الدخان والغبار وكانت المعارك بين المدرعات والمجاهدين وبقايا من دم ولحم ممتزج بحصى الأرض هو كل ما تبقى من رجال كانوا منذ دقائق حياة وحيوية حتى غربت شمس ذاك اليوم الحزين وغربت معها أرواح عشرات الرجال والنساء والأطفال وهرب الطبيب الوحيد بالمستشفى مع بداية القتال وترك البؤساء للألم والعذاب والموت[1].

ووقتها كان الكاروري ومن معه من المجاهدين يتفقدون المواقع بينما الإمام المجاهد يتفقد الدمار ويواسي الجرحي والمرضى وغيرهم وقد اتخذت الباحثة وسكان الجزيرة المقابر سكناً فافترشوا الأرض والتحفوا السماء وصراخ الجرحى يعم الأحزان وصوت الطائرات يزيد الرعب وقد أصاب محمد صالح عمر إحدى هذه الطائرات، وكان يوم السبت قد شهد المزيد من القصف الناري الموجه ناحية الجزيرة بالداخل بمدافع الهاون الطويلة المدى، منطلقة من مواقعها عند ناحية حجر عسلاية ثم قامت طائرة (التمبروك) برمي منشورات في الجزيرة وفي يوم السبت اجتمع مجلس قيادة الثورة والوزراء، ووجه نميري خطاباً طويلاً عبر الإذاعة والتلفزيون نقتطف منه بعد أن استعرض زيارته التي أوضحناها حاول أن يضلل المواطنين واعتبر أن الهادي المهدي هو المحرك وهو قائد الرجعية وأن التحالف الرجعي بين الاستعمار والإقطاع والطائفية وكل قوى الشر يتحرك لتنفيذ المخطط الدموي الذي حاكته قوى الاستعمار الأجنبي ومولت بتنفيذه على أيدي الرجعية المحلية.

بينما أوضح مأمون عوض أبو زيد في حديثه لصحيفة الرأي العام[2] حول الأحداث فذكر أن يوم ٣٠ مارس يوم دخول القوات المسلحة للجزيرة أبا سيسجل كتاريخ حاسم في مسيرة الثورة السودانية وفي نضال الجماهير وأن تمرد الهادي كان يمثل بالنسبة للثورة قمة تحديات الرجعية وكانت المواجهة اختياراً دقيقاً ومحكماً لأدائها الثوري

---

(١) الرأي العام الجمعة ١٠/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٨٧٣٥.

(٢) الرأي العام ٥/ ٤/ ١٩٧٠م العدد ٨٧٣١.

إذ كانت تحس أن الجماهير تراقبها وأن العالم والأقطار المتحررة التي تخوض نفس التجارب تفتح عيونها على ما تفعله.

بينما أوضح نميري[1]، في ذات الصحيفة وفي حديث لوكالة الأنباء السودانية أن مؤامرة الرجعية المحلية والصهيونية والأمبريالية والصهيونية العالمية ضد ثورة مايو وحتى تتوقف وأن حرب هذه القوى للإطاحة بمكاسب الشعب التي أعدتها إليها الثورة ستأخذ أشكالاً جديدة ما دامت ثورة مايو الاشتراكية مستمرة.

وبدأ كتاب نميري يروجون لبطولات زائفة فقد أوضح التاج حمد[2] أن القوات المسلحة زحفت داخل الجزيرة أبا وجاء بعض الأنصار وطلبوا الاستسلام وأن القوات المسلحة طوقت الجزيرة تحت إشراف أبو القاسم محمد إبراهيم وتمكنت من دخول الجزيرة أبا وبدأت عملية الاستسلام وواصل التاج حمد أن نميري أوهم بعدم ضرب الجزيرة رحمة بالنساء والأطفال ولهذا أخذت الطائرات تلقى بالمنشورات وأوضح أن الرجال والنساء لجاءوا للجيش كما أوضح أنه قام بكشف المؤامرة التي وضعت لنسف وابور الرئيس بمجرد اقترابه من كوستي وهو الذي طلب من الرئيس المبيت خارج منطقة الجزيرة نسبة لتواجد أعداد هائلة من الأنصار.

والباحثة أثبتت الأحداث التي صاحبت قدوم نميري وقضاء ليلته وهو أمام أعين وسلاح الأنصار، وبدأ كتاب النظام الذين رافقوا نميري في رحلته يصورون الأحداث من خيالهم لأنهم من أقطاب الشيوعية وبالتالي ضللوا الرأي العام العرب والعالمي بحقيقة ما حدث فالشعب السوداني بنظرته السليمة النابعة من طبيعة حياته والتركيبة المجتمعية يعرف كيف استطاع الإعلام اليساري قيادة الحملة كذباً وتضليلاً وهؤلاء الذي يدعون حيازة الحقيقة دون بقية الشعب المتابع للأحداث إلا يدركون أن الحقيقة أضحت ملكاً مشاعاً لكل الشعب لأنه يدرك أن الماركسية إطار عام ونهج في التفكير أكثر من كونها

---

[1] انظر الملحق كشف بأسماء شهداء وجرحي الجزيرة أبا.

[2] التاج حمد، في مقابلة مع صحيفة الصحافة، ٣٠/ ٣/ ١٩٧٠م.

علاجاً لقضايانا وهي في بلادنا لا تفيد ولا تجعل لحاملها ميزة أو فضيلة لأننا شعب مسلم قبلته التي فطره الله عليها.

والباحثة وهي تؤكد يسارية النظام تورد ما جاء في صحيفة الصحافة بقيام موكب شعبي ومهرجان رياضي في الذكرى المئوية للبنين وقد وجه النداء لكافة الشعب للسير في الموكب الجماهيري الذي سيشرفه رئيس مجلس الثورة وأعضاء المجلس والوزراء.

ولقد توالت الكتابات والبيانات وتصوير الرجال الأوفياء بصفات لا تمت لأخلاقنا السودانية ثم أن الشهداء الذي سقطوا بقذائف الهاون والطائرات لم تكن في حاجة لأن يسجل أبو القاسم قائد الجزرة حزنه على الأبرياء والأطفال بعد أن شهدت الجزيرة مذبحة حقيقية أسوأ من المذابح الإسرائيلية التي أطاحت بالشهداء في فلسطين وفي فصل الصحافة ودورها ستتضح لكم الحقائق المضللة التي ارتكزت عليها الصحافة الخارجية.. والباحثة تؤكد خشية من مذبحة لكل السكان فإن الإمام قرر تسليم الجزيرة حقناً لدماء البسطاء إلا أن (السفاح) أبو القاسم قاد المذبحة الرهيبة التي راح ضحيتها الأعداد الكبيرة وقام بعمل مقابر جماعية وقام بدفنهم شهداء وأحياء كان أنينهم يحمل إلى السماء أنهم استشهدوا من أجل العقيدة ورفع كلمة لا إله إلا الله.

ويكفي في سبيل نصرة الحق استشهاد محمد صالح عمر والذي قد خطط وسعى لحرق المحلج بربك بصحبة كل من مهدي إبراهيم ومجموعة من الأنصار الذين استشهدوا فيما نجا منهم مهدي إبراهيم. وقد كان هدفهم إشعال النيران في أطرافه ليحدثوا إرباكاً للضباط والجنود ويزحزحهم عن مواقعهم[1].

والباحثة وهي تشهد الأحداث تضع الحقائق في هذا البحث متجاوزة لكثير من التفاصيل التي لا تفيد البحث ولكنها وللتاريخ تورد كيف خرج الإمام من الجزيرة والدوافع والأسباب والاستشهاد.

---

[1] الصحافة ٢٢/ ٤/ ١٩٧٠، العدد ٢١٩٢.

كان خروج الإمام الهادي واستشهاده قصة ما بين الحقيقة الواضحة والخيال المريض الذي حاولت فيه الحكومة أن تنسج له خيوط العنكبوت، فالأمر وبوضوح جاء نتيجة للشورى بين الأنصار وما حدث، والباحثة تورد القصة الكاملة لقد كان الإمام يدرك بأن الضربات ستوجه إلى السراي ولذا رحل إلى منزل بشرى عثمان ثم تحول عند اشتداد الضرب إلى منزل حسن مهدي ثم تحول إلى منزل عبد الرحمن ساتي ثم رحل إلى منزل ابن عمه بشرى السيد حامد، وفي وقت متأخر قرر مغادرة الجزيرة لأثيوبيا وطلب دعوة مجلس الشورى المكون من ثلاثين شخصاً وكانت رعايته ويرأسه عباس محمد عمر وينوب عنه أبو علي عيسى. وللظروف وضيق الزمن مع استمرار القذائف المنهارة اجتمع ثلاثة عشر عضواً من المجلس الاستشاري وهم وللتاريخ نثبت الأسماء، مشايخ الأرباع والأربعة شيوخ هم أحمد عمر أبو الجدي، محمد إدريس عيسي، هاشم كيلاني، عبد الرسول أحمد، والعمدة شرف الدين عبد الله جيد رئيس العمال، وخالد محمد إبراهيم سكرتير المجلس وحماد جابر، وإبراهيم عبد الباقي وإبراهيم الفكي وحسن ضو البيت وأحمد فرح وأحمد إدريس وطلب منهم الالتزام بتوجيهات خالد محمد إبراهيم خاصة موضوع تسليم الجزيرة إذا اقتضت الضرورة ذلك، وأسر لخالد بأنه في طريقه للحبشة، وأعدت العربة وفي الثانية من صباح يوم الثلاثاء ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م تحركت العربة والإمام بصندوقها الخلفي وصحبه تسعة هم العمدة عمر مصطفى، محمد محمد صالح الكاروري، عز الدين الشيخ، الفاضل الهادي المهدي، عباس أحمد عمر، عبد المطلب بابكر، سيف الدين الناجي (سائق العربة) محمد علي يونس ومحمد أحمد مصطفى.

وبعد أن اجتازوا الجاسر ذهبوا عن طريق بلدة "قفا" لتخذوا طريق السكة حديد إلي منطقة جبل موية ثم منها بإتجاه الدالي والمزموم ومن ثم صولاً إلي مشارف الحدود الأثيوبية.

إستشهاد الإمام: تداعياته وأبعاده

أما عن استشهاد الإمام فقد أورد من عبد العزيز ضابط الأمن المتقاعد ما جرى عند الحدود الأثيوبية حيث ذكر (لقد كان ضابط مركز الكرمك مختار طلحة والعاملون معه يحرسون تلك المنطقة ليلاً على مدى شهر كامل لئلا تتسرب الجمال حاملة السلاح والذخيرة.

حضر مراقب مباني مجلس الكرمك أورد اسمه الصادق الهادي[1] وهو أبو بكر عبده فرح في حوالي الساعة الواحدة والنصف ظهر الثلاثاء ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م وأخبر الضابط طلحة بأنه رأى عربة اوستن صندوقها من الخشب ونمرتها (٤٤٦٨) وقفت بالقرب من خور أحمد عند طريق العربات الرئيسي وحسب ضابط البوليس أن تلك العربة ربما تكون أحضرت بعض الأشخاص الذين يريدون الهروب لأثيوبيا وعلى عجل تحرك الضابط ومعه:

الأمباش فضل الله عشانا

الأمباش رمضان سعيد

النفر أحمد الكاكا

النفر عبيد كمبال الأمين

النفر عثمان عبد المجيد

النفر وداعة على سيد أحمد

النفر عباس محمد عباس

ركب الضابط والضابط السري ملازم حسن دفع الله ومراقب المباني في عربة وركب الجنود في العربة الأخرى وتحركوا في الثانية وعشر دقائق بعد ظهر يوم ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م وبعد قطعهم لمسافة إحدى وعشرين ميلاً بلغوا قرية أونسة وأخبرهم سكانها بأن هناك بعض الأشخاص الغرباء وتتطابق الروايات فالعقيد هاشم مختار طلحة

---

[1] محمد عبد العزيز، أحداث الجزيرة أبا ومقتل الهادي.

رحمة[1] الذي قام بدور رئيس في متابعة خروج الإمام لحين مقتله فالتقرير الذي كتبه عن مقتل الإمام الهادي بالكرمك مساء يوم ١/ ٤/ ١٩٧٠م والذي نوجز منه بعض المعلومات حيث ذكر أن محمد محمد صالح الكاروري، وعز الدين الشيخ وعبد المطلب خوجلي انصاعوا لأوامر الشرطة وسلموا سلاحهم بينما دلنا الأهالي إلى العدد الآخر بجوار خور صغير اتخذناه ساتر تمكنا من مشاهدتهم جلوساً في حلقة تحت الأشجار ربما كانوا في انتظار مجموعة الكاروري وعندما اتخذنا الساتر وهو خور أعطيناهم إنذار لمدة خمسة دقائق بأن يضعوا أسلحتهم ويرفعوا أيديهم تسليماً وأعطيت التعليمات بإطلاق النار في حالة وجود مقاومة.

ويؤكد صديق البادي[2] هذه المعلومات وأضاف بأن الإمام الهادي حاول أن يقاول الضابط مختار في الوقت الذي التفت فيه النفر عبيد كمبال بضرب الإمام الهادي بطلقة في فخذه وحاول الفاضل الهادي المهدي أن يمر ولكن الضابط والجنود ثبتوه بالقوة والذين كانوا مع الإمام الهادي سيف الدين الناجي، ومحمد أحمد مصطفى وكانوا حراسة الأمباش فضل الله عشانا والنفر عثمان عبد المجيد بينما ذهب للكرمك لإبلاغ الرئاسة.

الرسالة التي توضح استشهاد الإمام:

وللتاريخ نثبت نص الرسالة التي أرسلها الضابط مختار طلحة للسيد مدير عام البوليس المسئول عن مديرية النيل الأزرق.

هام للغاية وعاجل

(أهنئكم بنجاح بوليسكم في الكرمك بالقبض على الهادي عبد الرحمن وتسعة من رفاقه يحاولون الهرب إلى داخل أثيوبيا (قف) تبعتهم ومعي سبعة من رجال البوليس

---

[1] العقيد مختار طلحة رحمة، مذكرات ضابط شرطة، حقيقة مقتل الإمام الهادي، ط١، ١٩٩٩م، ص ص٣٤-٣٥-٣٦.

[2] صديق البادي، سبق ذكره، ص٧٢.

داخل الغابة (قف) حاول الإمام ضربنا فعطلناه (قف) أرسلوا طائرة حربية وعززوا القوة.

وفي الساعة الثامنة إلا ربعاً مساء أرسل ضابط الكرمك مختار طلحة برقية أخرى لمساعد مدير البوليس بود مدني جاء فيها: (توفى الإمام متأثراً بجراحه (قف) سننقله اليوم للدمازين).

ويؤكد مختار طلحة الحقائق بوفاة الإمام ويذكر أن سيف الدين الناجي قد توفى أيضاً لأن مفتش الحكومة المحلية أطلق عليه النار أما محمد أحمد مصطفى قد قتل وتركوا مع جثث الهادي وسيف الدين.

أما بيان نميري الطويل عن إلقاء القبض والذي نشرته الصحف السودانية وعلى رأسها صحيفة الصحافة في عددها ٢١٧٥ بتاريخ ٢ أبريل ١٩٧٠ نقتطف منه الحقيقة التالية حيث ذكر: (في الساعة الحادية عشر من مساء أمس وصلت برقية من قواتنا الساهرة على الحدود تفيد بأن عربتين قد وصلتا في العاشرة مساء إلى الكرمك في طريقهما إلى أثيوبيا وحاولتا الهرب وتفادي نقطة التفتيش بالحدود رغم إشاراتهم وأوامرهم لهما بالتوقف، هنا بدأت المطاردة وحاول من بالسيارة استعمال العنف فردت عليهم القوات بالمثل وبذهاب القوة وتفتيشها تعرف الناس على الهادي عبد الرحمن بين القتلى من ركاب السيارتين إذ مات متأثراً بجراحه في وقت كانت قواتنا بالجزيرة أبا في انتظاره.

والباحثة أوردت هذا النص لعدم المصداقية لأن الضابط الذي قام بالعملية قد تناولها في كتابه حقيقة مقتل الإمام وهذا يدحض إدعاءات النظام الذي مارس الكذب والتضليل وعبس بالحقائق لجماهير الشعب فلم تلعب القوات المسلحة دوراً في مقتل الإمام والجهة المنوط بها بالحراسة هم رجال الشرطة.

ولمزيد من التضليل وإظهار القوات المسلحة بأنها درع الثورة وحامي مجدها فقد ذكر نميري من ذاك الخطاب قوله: (أن قواتكم كانت فوق مستوى الامتحان وفوق قوة التآمر والشر وستكون عند حسن ظنكم ثم شكر الدول الاشتراكية الحليفة التي لعبت

دوراً في وأد الحرية والديمقراطية وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة والليبية والعراق والجزائر وسوريا والاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية الصديقان الحميمان أعداء الرجعية والاستعمار ويكفى زيارة عضو مجلس الثورة الليبي وأنور السادات[1]، التي نشرتها الصحف والتي أكدت حجم التآمر على وأد الديمقراطية في السودان إضافة إلى برقيات تأييد من سوريا العراق بالإضافة إلى رجال الصحافة والذين أفردنا لدورهم فصلاً كاملاً.

والباحثة وهي شاهدة عيان تضع تحت مجهر التحليل فقد قادت مايو بكتابها أهل اليسار حملة مضللة وقصص وحكاوى نسجت من وحي الخيال المريض للإساءة والتجريح لإمام الأنصار ولكيان الأنصار عامة وتمادوا حتى في إدانتهم للسعودية باعتبارها إحدى الدول التي كانت تستهدف الإطاحة بالنظام المايوي.. لقد كان مخططهم الذي نسجوه ليس الإساءة لبيت التاريخ والاستشهاد من أجل العقيدة والوطن وعلى مدى التاريخ فالأنصار قوة هائلة في المجتمع السوداني رجال قتال ودفاع ففي الوقت الذي وقفوا فيه على سفوح كرري يستشهدون خذلهم أهل الطرق بقيادة الختمية وفي أحداث المولد إبان حكومة عبود التي وأدت الديمقراطية وتصدى لها الأنصار خذلهم الختمية وحزبهم وفي قتال الجزيرة أبا وقف زعيمهم محمد عثمان الميرغني مؤيداً قتل الأنصار في أبا ومؤيداً الحكومة.. فالولاء لمصر من جانب الميرغني هو المقياس الأول في قيادة البلاد وهذا ما سيذكره التاريخ بأن الميرغني أباً وأبناً خذلوا الشعب السوداني وانحازوا إلى الحكومات التي تولت الحكم عسكرياً ولم تجد إلا جموع الأنصار والأئمة الذين تعاقبوا على الإمامة فالارتباط التاريخي والتقليدي للأنصار هو من أجل عزة الوطن دون تبعية وسجلات التاريخ ستحفظ للإمام الهادي أنه رجل دولة ودين هو العابد المتبتل الذي حفظ الأمانة وقاد الكيان وبني وعمر واستشهد من أجل حرية الشعب وإبعاد الشيوعية عن البلاد.

---

[1] الرأي العام ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م، العدد ٨٧٢٦.

مذكرة الميرغني المؤيدة للنظام المايوي:

والباحثة وللتاريخ تورد مذكرة محمد عثمان الميرغني مرشد الختمية في يوم الاثنين ٣٠/ ٣/ ١٩٧٠م إلى قائد الثورة والوزراء وهذا نصها: (في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ بلادنا واستشعاراً منا بواجبنا الوطني المقدس نحو سودانا الحبيب وانطلاقاً من إيماننا بالمبادئ التي أعلناها في شتى المناسبات وهي الاشتراكية النابعة من واقعنا المتفقة مع عقيدتنا الإسلامية والمنطلقة من مراكز القوى العربية الشاملة والديمقراطية الشعبية البعيدة عن التسلط الأمبريالي والليبرالي والوقوف بجانب حركات التحرر في العالم ومحارة الاستعمار القديم والحديث وكل أنواع التسلط والتخلف انطلاقاً من كل هذه المفاهيم الوطنية المجردة الهادفة إلى رفعة بلادنا نقف بصلابة ودون رهبة أو إغراء وراء المبادئ التي آمنا بها والتي أعلنتها الثورة في الخامس والعشرين من مايو مؤكدين لسيادتكم أن الوحدة الوطنية هي السياج الواقي لوطننا من كل تخريب والصائن له من كل فتنة وأننا نهيب بالجميع في هذه الفترة الحرجة أن يوجهوا كل طاقاتهم لبناء سوداننا العربي الجديد وأن يتحلوا بالصبر والحكمة في تصرفاتهم وعلاقاتهم وأن يسود الأمن ربوع البلاد لتفويت الفرصة على الاستعمار وتكريس كل جهودنا لمعركة المصير العربي والوقوف بصلابة في وجه الصهيونية والاستعمار والله الموفق وهو المستعان[1].

والباحثة ترى أن مذكرة الميرغني لم تشر من بعيد أو قريب للدماء التي سفكت، وللأرامل والشهداء وللمذابح التي فاقت مذابح صبرا وشاتيلا ولم تتناول مآلات ما يحدث للبلاد من تدخل شيوعي عاصف ومدمر، وبعض فقرات الرسالة تؤيد القومية العربية وهذا يؤكد أن الرسالة كانت موجهة من جهة ما باسم كيان الختمية فالميرغني لا يستطيع أن يتجاوز مصر ولا دورها أو تدخلاتها في الشئون الداخلية السودانية، وأن مذكرة الميرغني المثبتة هي وصمة في جبين تيار ناضل رجاله من أجل رفع علم الحرية فإذا بالميرغني يؤيد الاشتراكية اللينينية والتي كانت سمة النظام المعروفة.. وهي السمة التي

---

[1] وثائق مركز الإمام عبد الرحمن المهدي.

جعلت كل النقابات تؤيد النظام الشيوعي لأنها تخضع للقيادات اليسارية. وسايرها الميرغني لأنها نابعة من مصر الناصرية.

محاكمة المتهمين في أحداث الجزيرة أبا :

والباحثة تورد في خاتمة هذا الفصل المحاكمة التي شكلت لمحاكمة المتهمين في أحداث الجزيرة أبا والأحكام التي صدرت في حق شهداء العقيدة فقد كونت لجنة تحقيق في أحداث الجزيرة أبا وصدر قرار من عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية الرائد فاروق حمد الله بتكوين تلك اللجنة من الآتية أسماؤهم:

١/ قمندان شرطة حسين عثمان أبو عفان

٢/ الحكمدار شرطة إبراهيم جلال الدين

٣/ الملاحظ شرطة سليمان علي سليمان

٤/ الملاحظ شرطة أبوبكر عباس (المستشار القانوني لوزارة الداخلية)

٥/ الملازم أول شرطة الفاتح محمد داؤود

٦/ الملازم شرطة عبد الغني كمبال

كما تكونت لجنة أخرى للبحث في المستندات وحصر الممتلكات بالجزيرة أبا وتكونت من :

١/ الحكمدار أمن كمال حسن أحمد -رئيساً

٢/ الملاحظ شرطة سليمان علي سليمان

٣/ الملاحظ شرطة أبوبكر عباس

وشكلت المحكمة العسكرية برئاسة العميد أ. ح الفاتح بشارة رئيس المحكمة وكان عضو اليمين العميد بحري يوسف حسين وقاضي الأحكام صلاح شبيكة، وكان عدد المتهمين مائة وخمسة وثمانون متهماً وبعد تحريات متصلة أطلق سراح مئة وخمسة وخمسين متهماً وبقي ثلاثون متهماً ثم أطلق سراح الفاضل الهادي المهدي وبقي تسعة وعشرين متهماً قدموا للمحاكمة، وقسمت اللجنة المتهمين إلى أربعة مجموعات كل مجموعة حددت لها المواد القانونية التي قدمت بموجبها للمحاكمة.

المجموعة (أ) وتشمل الآتية أسماؤهم:

إسحاق عبد الرحمن قمر، حسن مختار الدومة، محمد إبراهيم عجب الدور، الطاهر محمد محي، صلاح عبد السلام، عمر مصطفى حسن، بابكر العوض عبدالله، الطاهر الفاضل محمود، محمد محمد الصادق الكاروري، بشرى إبراهيم المهدي، أحمد عبد الله حامد، محمد حسن إحيمر، محمد علي يونس، عز الدين الشيخ علي، عبد المطلب بابكر خوجلي، خالد محمد إبراهيم، عبد الرحمن محمد الفيل، عبد الرحمن يعقوب الحلو، عبد الرحمن عمر عبد الله، سعد عباس توفيق، أما التهمة الموجهة لهؤلاء هي مخالفة المادة (٩٦) من قانون عقوبات السودان (إثارة الحرب ضد الحكومة أو الشروع فيها أو التحريض على ذلك) مقروءة مع المادة (٢) من الأمر الجمهوري رقم (٢) للدفاع عن السودان لعام ١٩٦٩م (العمل العدائي ضد الثورة) وذلك أنهم في الفترة من ٢٥ مايو ١٩٦٩م إلى أبريل ١٩٧٠م حرضوا على إثارة الحرب ضد الحكومة أو الشروع فيها أو بدءوا الحرب بالفعل ضد قوات الحكومة في الجزيرة أبا وما حولها مركز كوستي بالنيل الأبيض.

أما المجموعة (ب) وهي تشمل المتهمين الآتية أسماؤهم:

عباس أحمد عمر وشرف الدين أحمد أبشر

والتهمة الموجهة إليهما هي مخالفة المادة (١٧٩/ ٩٦) من قانون عقوبات السودان (التستر على إثارة الحرب أو الشروع فيها أو التحريض عليها) مقروءة مع المادة (٢) للدفاع عن السودان لعام ١٩٦٩م (العمل العدائي ضد الثورة) وذلك من خلال الفترة من ٢٥ مايو ١٩٦٩م إلى أول أبريل ١٩٧٠م كانوا يعملون وكان لديهم سبب للعلم بوجود مؤامرة تدبر في الجزيرة أبا لإثارة الحرب ضد الحكومة أو التحريض عليها وسكتوا عن إبلاغ السلطات المختصة بذلك، أو ساعدوا في إخفاء مرتكبي تلك الجريمة أو التحريض عليها.

المجموعة (ج) وهي تشمل المتهمين الآتية أسماؤهم:

عبد الله يوسف محمد، حسين محمد بيلو، بشير حامد جبريل، عبد الرحمن محمد أحمد سليمان وإبراهيم يعقوب عبد الرحمن.

والتهمة الموجهة ضدهم هي مخالفتهم للمادة (٣٧٥) من قانون عقوبات السودان (الإتلاف بالنار) مقروءة مع المادة (٥) من الأمر الجمهوري رقم (٢) ١٩٦٩م (العمل للإضرار بموقف البلاد الاقتصادي) وذلك أنهم في يوم ٣١/ مارس ١٩٧٠م أشعلوا النيران في محلج ربك وقد قضت النيران على المحلج تماماً كما كبد الخزينة العامة خسائر مادية.

المجموعة (د) وهي تشمل المتهمين الآتية أسماؤهم:

عثمان عبد القادر عبد اللطيف، الصادق بله محمد، والتهمة الموجهة لهما هي مخالفة المادة (٢٤) من الأمر الجمهوري رقم (٢) للدفاع عن السودان ١٩٦٩م (العمل العدائي ضد الثورة) وذلك أنهما في الفترة من مارس ٢٥ مايو ١٩٦٩م إلى أبريل ١٩٧٠م قاما بأعمال معادية للثورة بأقوالهم أو بالإثارة أو الكتابة.

وأصدرت المحكمة أحكامها بإطلاق سراح الآتية أسماؤهم:

صلاح عبد السلام الخليفة، أحمد عبد الله حامد، عبد الرحمن يعقوب الحلو، عباس أحمد عمر، عثمان عبد القادر عبد اللطيف، عمر مصطفى حسن (لم يحاكم لمرضه).

وأصدرت المحكمة أحكامها بالإعدام على الآتي ذكرهم:

خالد محمد إبراهيم، سعد عباس توفيق، محمد الحسن إحيمر، عبد المطلب بابكر، عز الدين الشيخ، بابكر العوض.

وعندما رفعت المحكمة أحكامها لمجلس الثورة للتصديق عليها تزامن ذلك مع انقلاب يوليو ١٩٧١م وما تبعه من أحداث ومحاكمات وأصدر رئيس الجمهورية قراراً استبدل بموجبه حكم الإعدام إلى السجن المؤبد على الستة المشار إليهم أعلاه من المتهمين في أحداث الجزيرة أبا.

وأصدرت المحكمة حكمها على الشيخ محمد محمد الصادق الكاروري بالسجن المؤبد وخفض رئيس مجلس الحكم بالسجن من التأبيد وجعله عشرة أعوام.

وأصدرت المحكمة العسكرية حكمها على الآتية أسماؤهم بالسجن لمدة تتراوح ما بين العامين والعشرة أعوام وهم:

إسحاق عبد الرحمن قمر، حسن مختار الدومة، محمد إبراهيم عجب الدور، الطاهر محمد يحي، الطاهر الفاضل محمود، بشرى إبراهيم المهدي، محمد علي يونس، عبد الرحمن محمد النيل، عبد الرحمن عمر عبد الله، شرف الدين أحمد أبشر، عبد الله يوسف محمد، حسين بيلو، بشير حامد جبريل، عبد الرحمن محمد أحمد سليمان، إبراهيم يعقوب عبد الرحمن، الصادق بله وسجنوا بسجن كوبر ثم أطلق سراحهم جميعاً بقرار من جعفر نميري بعد انتخابه رئيساً للجمهورية.

وقد طوت الأحكام صفحة الأحزان واحتفظ بها التاريخ بالذين ضحوا والذين استشهدوا، والتاريخ ذاكرة الأمة.

الفصل الرابع

أحداث ود نوباوي

تتعرض الباحثة هنا لبداية الأحداث الدامية التي شهدها حي ود نوباوي بأم درمان، الذي اتخذ أسمه من اسم القائد الأنصاري محمد ود نوباوي، والذي يقع في الوحدة الإدارية أم درمان شمال، وهو معقل الأنصار بمدينة أم درمان بقعة المهدي، وقد شهد هذا الحي الأحداث والتطورات والندوات وخلاوي القرآن الكريم وأضحى ملاذاً لكل صاحب حاجة فهو بوابة التواصل الاجتماعي لنسيج سوداني متوارث أسسه على المحبة والتقوى والإيمان والجهاد الإمام المهدي، وواصل المسيرة من بعده الأئمة بقيادة الإمام عبد الرحمن المهدي، تاريخ السودان المعاصر وقائد كيان الأنصار.

في هذا الحي وفي الجزء الجنوبي منه يقع جامع الإمام عبد الرحمن المهدي، مسجد أسس للتقوى وللعلم وفي الجزء الشمالي من المسجد الخلاوى ومدرسة لتحفيظ القرآن ومعهد علي وداخلية صغيرة تأوي هؤلاء الطلاب، ومساحة متسعة تشمل فناء المسجد تتسع لعشرات المئات من المصلين وهو المسجد الجامع الذي اتخذه الأنصار لعقد الزيجات بين أبناء المجتمع لتكوين رابط أسري قائم على التقوى والإيمان.. وذات المسجد يعد من أهم المنابر السياسية حتى يومنا هذا.

بعد انقلاب مايو وتوجس الجماهير من هوية هذا الانقلاب وأبعاده السياسية كان من الصعب لمثل هذا الانقلاب أن تبحر سفنه دون اهتزاز.. فقد اهتزت منابر الشرفاء ولجأت إلى فصائل النضال إلى الجزيرة أبا فالجو السياسي الملبد بالقيوم وبالسحب الداكنة ينذر بوقوع أحداث تعيد الديمقراطية التي تم وأدها غدراً وخيانة والبلاد تستعد للانتخابات الرئاسية، كانت مايو أطلت بوجهها اليساري الذي دعمته النقابات الموالية للحزب الشيوعي وكانت مايو تطمح في دك حصون الطائفية باعتبار أن اليمين قد أوقف التطور في السودان، واعتقدت دون دراية ودراسة للتاريخ بأن الأنصار يمثلون الرجعية وفاتهم أن تنظيم

الأنصار مثل أكبر كتلة في الساحة السياسية السودانية التي تتمتع بقواعد شعبية تعرف معنى الأنصار وجهادهم ودورهم في الحركة الوطنية.

كانت أحداث الجزيرة أبا محط اهتمام الأنصار والمجتمع السوداني، كانت صحافة النظام تسعى لتصعيد الحدث خاصة زيارة نميري، اتخذت من وفود الحكومة لمقابلة الإمام الهادي ذريعة في طمس الحقائق والمعلومات وسعت بواسطة كتائب اليسار في الأجهزة الإعلامية والصحفية أن تعد لمواقف ما كان لها أن تحقق مآربها لو أن الناس احتكموا للعقل.. فالأخبار والشائعات والبيانات التي كانت ترد إلى العاصمة والخطب والمؤتمرات أزعجت جموع الأنصار بمدينة أم درمان وبحي ود نوباوي فلكل فرد أهل وأولاد وقبيلة.. والأخبار تتحدث عن شهداء وجرحى وأطفال قتلى ونساء ترملن واستشهد أكثرهن. صور مأساوية وصلت العاصمة.. إدعاءات وكذب وتلفيق تهم للإمام العابد التقي الذي وقف ومعه زعماء الأحزاب ما عدا الختمية ضد الشيوعية والإلحاد..

هزت الصور المأساوية والتدخل بالطائرات والضرب بالقذائف والدانات والمدافع والقنابل صدور الرجال، فقد أدت لتوتر وسط الأنصار أعقبه توتر مماثل وسط الحكومة وبيانات مضللة مجافية للحقيقة أثارت حفيظة الأنصار. يذكر صديق بادي[1]. أن الأنصار بود نوباوي كانوا متعاطفين مع قيادتهم ومع الكيان الذي ينتمون إليه وهذا شيء طبيعي لا غرابة فيه، وقد استفزت مشاعرهم الأخبار التي ترامت لمسامعهم عما وقع بالجزيرة أبا من أحداث دامية عصر يوم الجمعة ٢٧ مارس ١٩٧٠م وراح ضحيتها عدد كبير من الأنصار، واستفز مشاعرهم الخطاب الذي ألقاه نميري يوم السبت ٢٨ مارس والذي تضمن عبارات مسيئة للأنصار وكان في نبرة الخطاب حدة وغضب، وتبع ذلك إساءات بالغة عبر الوسائط الإعلامية، وكرد فعل لما حدث التقى عدد كبير من الأنصار بمسجد ود نوباوي وقرروا تسيير موكب احتجاج في صباح يوم الأحد عقب أداء صلاة الصبح.

---

[1] صديق بادي، سبق ذكره، ص ص٥٨-٥٩.

أما اللواء محمود عبد الرحمن[1]، فقد أوضح أنه في حوالي الساعة الخامسة والنصف أو بعد ذلك بدقائق عديدة وصل بلاغ تلفوني للسيد حكمدار بوليس أم درمان من ضابط البوليس التجاني بدر ورد في بلاغه أن مظاهرة عدائية قد خرجت من جامع ود نوباوي قوامها بين ٣٥٠-٤٥٠ من الأنصار المسلحين بالأسلحة البيضاء وقام الحكمدار بإخطار رئاسة البوليس بالخرطوم، وأمر بتحريك فصيلة من البوليس لتفريق المظاهرة أو فضها، لحقت فصيلة البوليس بالمظاهرة ولم تتعرض لها وفق الأوامر وأغلقت كبرى النيل الأبيض، وانضم عدد كبير من الأنصار للمظاهرة عند مرورها بالموردة وبانت وتحرك مساعد مدير البوليس من منزله بحي الضباط وتتبع المظاهرة حتى حي ود نوباوي، وتخطاها من نادي الضباط إلى شوارع جانبية وأدركها جوار مدرسة المؤتمر، وفي تقديره أن عدد المتظاهرين بلغ ألفين أغلبهم مسلح بالأسلحة البيضاء وكانت المظاهرة تسير الخطوة السريعة (جكه)، وقد قام بإخطار الأمر لكل من اللواء الركن محمد الباقر أحمد والعميد عمر محمد سعيد قائد حامية أم درمان وعلي صديق مدير البوليس، وتم ذلك في الساعة الخامسة والخمسة وثلاثين دقيقة صباحاً، وأكد مساعد مدير البوليس المشار إليه بأن المظاهرة عدائية مسلحة وطلب منه تعزيز قوتهم الكبرى وإصدار أوامره بمنع المظاهرة من عبور الكبرى.

والباحثة تتوقف هنا لربط الأحداث وتحليلها فشهود العيان وقادة المظاهرة ما زالوا على قيد الحياة ففي لقاء مع عبد الحميد آدم محمد[2]، والذي كان رئيساً للغرفة الأولى في تنظيم شباب الأنصار أنه عاد من عمله عصراً فأبلغ بأهمية حضوره لجامع ود نوباوي، وهناك كان المجتمعون يتحدثون عن أحداث بالجزيرة أبا تخللها قتل وضرب بالنيران ، وأن عليهم أن ينظموا موكب احتجاج للأحداث.

---

(١) محمود عبد الرحمن، القوات المسلحة وأحداث ود نوباوي، د.ن، د.ت،

(٢) عبد الحميد آدم محمد، عند لقاء الباحثة به بمنزلها بأم درمان.

أما ماهر عبد الله[1] أفاد بأن قاسم مكي سكرتير عام شئون الأنصار في ذلك الزمان تحدث إلى أحد الضباط أنهم يسيرون موكباً سلمياً حتى مجلس قيادة الثورة لتسليمه مذكرة ولكن البوليس رفض وتم الاتفاق على أن يعود الموكب من حيث أتى على أن ينصرف كل شخص يمر الموكب عليه، ولذلك خرج من الموكب كثيرون في منطقة الموردة وبانت والعباسية وحي الأمراء، وسار الموكب ومن ورائه قوة من الشرطة دون أن يحدث أي احتكاك بينهم إلى أن وصلوا إلى المسجد ووقفوا مع الطلاب والحضور في حلقة دائرية وأدوا أناشيدهم المعتادة وقراءة خواتيم سورة آل عمران وشرعوا بالدعاء الذي بعده ينصرف الجميع، ويكون الموكب بالتالي قد أدى دوره في التعبير عن آرائهم بسلام. ولكنهم فوجئوا بقوة من الجيش تمطرهم برصاصها وكان الملازم محمد الحسن هو الذي أشار بذلك.

والباحثة تورد المفارقات ما بين موكب سلمي حمل مذكرة للتعبير وبين نية مبيته لإبادة جماهير الأنصار فالعميد عمر محمد سعيد حسب رواية صديق البادي أرسل تعزيزات للقوات التي تحرس الكبرى، ولكن بلاغاً وصله من ضابط استخبارات حامية أم درمان تفيده بأن المظاهرة سلمية وتمر بشارع الأربعين ويبلغ عدد المتظاهرين حوالي ثلاثمائة شخص يحملون الأسلحة البيضاء العادية وعند عودتها اخترقت سوق أم درمان في طريقها لجامع ود نوباوي وفي حوالي الساعة السادسة والربع تحركت قوة من المهندسين تتكون من أربعة ضباط وسبعين ضابط صف وجندي بقيادة المقدم محمد الحسن محمد عثمان والمقدم عوض الكريم والملازم الباقر إسماعيل والملازم معاوية سبدرات وتحركت القوة دون استعداد ولم يكونوا يعرفون خط سير المظاهرة وكان قائدها يسأل عن الموكب وعند منحنى الطريق بالقرب من الخور ظهرت جموع الأنصار على بعد ١٥ ياردة وأمر قائد القوة من معه بالتمركز وهنا كبر الأنصار وهللوا وكشحوهم بالتراب وهجموا عليهم بسرعة وطعنوهم بالحراب والسكاكين واستولوا على الأسلحة

---

[1] ماهر عبد الله، ابن أحد ملازمي الإمام ناشط متابع للأحداث عند لقاء الباحثة به بمنزلها، فبراير ٢٠١١م.

والذخائر، وتمكن البعض من استعمال السلاح وهرب الآخر. قتل قائد القـوة ومجموعـة الضباط الثلاث فضلاً عن ثلاثة وثلاثون فرداً من الصف ضـباط والجنـود وجـرح مـا لا يقل عن السبعة عشر عنصراً منهم وأحرقت ثلاثة عربات وحدث عدم إلمـام بالمعلومـات فعندما وصل العميد عمر محمد سعيد والرائد الهادي مأمون المرضي والرائد محمد أبو زيد سليمان والملازم محمد عبد الله ومعهم مائة وخمسة عشر صف ضابط وجنـدي لم يكونـوا يعلمون بحقيقة ما حدث للقوة الأولى ولكن عند مشاهدتهم النيران مشـتعلة في العربـات استلقت القوة وأصبحت في حالة استعداد ولم ترى جموع الأنصار إذ أنهم كانوا قد دخلوا المسجد.

والباحثة تثبت نوعية التخبط الذي حدث بين القوات فالقوة التي وصلت بقيـادة النقيب حسن محمد حسن علام وثلاثة نقباء وفصيلتان كانت دون تنوير لوقائع الأحداث في الوقت الذي كانت فيه قوات الهادي المأمون في الاتجـاه المضـاد ولا تعلـم عـن وجـود القوة الأخرى، وحاولت القوة الجديدة أن تتقدم نحـو القـوة الأولى إلا أن الضـرب كـان شديداً فانسحبت بطريق الضرب مع الحركة.

وهنا تثبت الباحثة أن القوات لم تكن تدري بماهية الحدث بـل أنهـا جـاءت دون تخطيط أو معرفة للأحداث أو حتى رسم خريطة كروكيـة لموقـع الحـدث، والأسـوأ أنهـا كانت لا تعرف بوجود قوات وهو التخبط الذي قاد إلى التصعيد والحرق والدمار.

وصلت إلى ودنوباوي قوة من المدرعات بقيادة المقدم بابكر النـور عضـو مجلـس قيادة الثورة والرائد فاروق حمد الله والرائد هاشم العطا ومعهمـا مسـاعد مـدير الشـرطة لشئون الأمن، ووصل أيضاً المقدم عثمان حاج حسين (أبـو شـيبة) ومعـه الرائـد الطـاهر محمد عثمان واللواء خالد حسن عباس وزين العابـدين محمـد أحمـد عبـدالقادر والعميـد عوض أحمد خليفة وكان الضرب مستمراً بينما لجأ بعض الأنصـار إلى المنـازل المجـاورة في الوقت الذي وصلت فيه فصيلتان من حامية بحري بقيادة فـاروق البلـك وفصـيلتان مـن سلاح الإشارة بقيادة الرائد عصمت حسن زلفو وأحضر عوض أحمـد خليفـة سـرية مـن

المظلات بقيادة النقيب عثمان عبد الرسول ولم تكن هناك قيادة موحدة لهذه القوات ولا تنسيق في العمليات.

ورجع جميع أعضاء مجلس الثورة وعين اللواء خالد الرائد الطاهر قائداً وتنازل بحكم الأقدمية للمقدم أبو شيبة في الوقت الذي وصلت مكبرات الصوت من الإذاعة بقيادة عوض أحمد خليفة وأوقف أبو شيبة الضرب وطالب الأنصار بتسليم أنفسهم وسلاحهم خلال ساعة وبدأ الرائد الرشيد أبو شامة ومن معه من الجنود إخلاء الجرحى والقتلى إلى المستشفي العسكري، وفي العاشرة عين اللواء محمد الباقر أحمد العميد بشير محمد علي **قائداً وزوده بالمعلومات التالية:**

- هناك قوة بمنطقة ود نوباوي وليس لها قائد واحد.
- القوة الموجودة ثلاثة سرايا ومدرعات.
- عامل الزمن مهم للتحرك إلى مسرح العمليات ومهم لقائد العملية.

استغل العميد بشير عربة مدرعة من القيادة العامة ووصل الساعة العاشرة والنصف ووجد صعوبة في معرفة القوات وموقعها لعدم وجود أي نوع من الاتصالات وضع العميد بشير خطة وانتهت العملية في الساعة الرابعة والنصف عصراً بالسيطرة على الموقف وتم إبلاغ القيادة بانتهاء العملية.

وتم حصر الخسائر وكانت على النحو التالي:

قتل أربعة ضباط وثلاثة وثلاثين من ضابط الصف والجنود كما جرح أيضاً سبعة عشر منهم، وبالمقابل فقد قتل من الأنصار مائة اثنين وسبعين وجرح خمسة وثلاثين فرداً، أما من عابري الطريق وقتها فقد قتل ثمانية عشر مواطناً.

والباحثة وهي تورد الأحداث للتاريخ تؤكد هذا التخبط الذي حدث تجاه الأبرياء الذين سيروا موكباً لتقديم مذكرة تعبر عن وجهة نظرهم، فبدلاً من الاستماع أو استلام المذكرة تمت هذه العملية التي راح ضحيتها هذا العدد، والملاحظ أن مجلس قيادة الثورة أشرف بتواجده على هذا القتل والتنكيل.

والباحثة تضع شهادة أحد شهود العيان لتؤكد حقيقة ما حدث وهو ما لم يـذكره كتاب التاريخ. يذكر الصحفي محمود إدريس[1]: (أن المصلين بجامع الإمـام عبـد الـرحمن عقب صلاة الصبح وقراءة راتب الإمام تجمعوا وأجمعوا على الخـروج في موكـب سـلمي بعد سماعهم لما حل بأهلهم بالجزيرة أبا، خرج الموكب بالبوابة الشرقية للمسـجد متجهـاً صوب مسجد الإمام المهدي الجامع بالقبة شاقاً طريقاً واحداً إلى أن اتصل ذلـك الطريـق بشارع الأربعين عند مسلة إدريس الهادي[2]، ومن هناك سار الموكـب موكـب الاحتجـاج الصامت تارة والمـردد للتهليـل والتكـبير تـارة أخـرى إلى أن بلـغ ملتقـى شـارع المـوردة الرئيسي ومن ثم اتجه شمالاً بهذا الشارع إلى بلغ غايته في نقطة بدايته الأولى وهي جـامع الإمام عبد الرحمن، وكان كل فرد في ذاك الموكب يتأهب للدخول إلى حرم الجـامع وكـان من المستبعد جداً حدوث اشتباك بين أفراد الموكب وقوة الشرطة التي كانت تحف بهم من الجانبين وتتبعهم من الخلف وكان كل شيء سينتهي في سلام.

ويستطرد في حديثه متناولاً الموكب السلمي ورجوعه إلى نقطة بدايتـه الأولى دون أن يمسوا أحداً بسوء أو يستفزوا أحداً في مشاعره فهـل لعاقـل أو مجنـون أن يصـدق بـأن تصدر تعليمات من أعلى سلطة في البلاد بأن تفتح علـى صـدورهم أو ظهـورهم كيفمـا اتفق الوضع النيراني دون رحمة أو شفقة؟ فما حدث بالضبط فتح رجال الشرطة الـنيران بناءً على التعليمات وتم إحضار دبابات فقذفت مئذنة الجامع وحرقـت طـلاب الخـلاوي الأبرياء والعجزة بالمسجد حتى تفحموا، ثم حوصـرت ود نوبـاوي وقـبض علـى بعـض الأنصار وهم يهللون ويكبرون (لا سلام بلا إسلام) الأنصار حماة الدين.

---

(1) محمود إدريس، صحفي سوداني في مذكراته بصحيفة الخرطوم، ١٥/ ٤/ ٢٠٠٤م، إضـافة إلى حديثـه المتواصل مع الباحثة.

(2) مسلة إدريس الهادي: أحد معالة مدينة أم درمان تقـع عنـد بدايـة شـارع الأربعـين شمـالاً وجنـوب مستشفي التجاني الماحي وشيدها رجل الأعمـال إدريـس عنـد بدايـة عهـد عبـود وافتتـاح شـارع الأربعين ١٩٥٩م.

أما إفادة محمد شريف علي[1]، فقد ذكر أن معركة ود نوباوي كتبت برداءة وأخرجت برداءة فقد رأينا الرصاص يطلق على حفظة القرآن والدبابات تزهق الأرواح وامتزج الثري بدماء الشهداء، وشهدنا من يدخلون المسجد يقتلون والشيوخ والعجزة وطلاب الخلاوى حرقوهم باللهب وكسروا ألواحهم وضربوا المئذنة بالدانات.

أما رواية مسعود داود[2] فقد ذكر أن منزلهم شهد حركة غير عادية وكذلك بالحي حيث توافد الأهل والأنصار جيئة وذهاباً فسألنا ماذا هناك وكانت الإجابة أن الجزيرة أبا ضربت وسيكون غداً موكب للأنصار فتحرك الموكب من أمام منزل السيد عبد الرحمن ومن المسجد بالتهليل والتكبير ووصلوا كبرى أم درمان ومنعوا من عبوره وعادوا بسلام وعند وصولهم الساحة المسجد بود نوباي ظهرت أمامهم عربة جيب و٢ كومر من الجنود والضباط مدججين بالسلاح وأحاطوا بالأنصار وتقدم قائد القوة وأشار بفتح النار على المسجد والأنصار وبدأ الضرب والأنصار ليس لديهم غير العصي والسلاح الأبيض، فأخذوا يكيلون على الجنود التراب وهم يندفعون نحو النيران حتى التحموا بهم وجهاً لوجه، مع فارق السلاح وكان بصيبي طلقة في رجلي اليسرى والتي تم بترها فيما بعد، أما موسى محمد السراج[3]، فقد شاهد الحدث ووثقه بالرغم من المحاذير فقد كان هاوياً للتصوير الفوتوغرافي واستطاع أن يرسم بفكره وثيقة الإدانة للنظام حيث ذكر (أنه شهد أبشع صور سيخلدها التاريخ الإنساني والإسلامي باعتباره عملاً إجرامياً ضد الدين وسيسجل لمايو الظلم الذي هتك (شريعة الإسلام والمسلمين) فقد اهتزت مشاعري وارتجفت قدماي وكدت أموت فزعاً لما وقعت عليه عيناي.. الجامع العتيق تحطمت أطرافه وشوه تشويهاً كاملاً من جراء قصف الدبابات والمدافع وجثث للشهداء ممزقة محترقة هنا وهناك واحترقت خضرة الأشجار الباسقة التي كانت تظلهم من وطأة

---

[1] محمد شريف علي، مسرحي من سكان حي ود نوباوي، وهو من مواليد أم درمان وأحد كوادرها المثقفة، أنصاري التوجه.

[2] مسعود داود، من سكان ود نوباوي ومن ضحايا الموقعة.

[3] موسى محمد حسن السراج، إعلامي عمل في مجال الصحافة والإذاعة ومن سكان ود نوباوي.

الهجير، ودخان لا زالت تعيق رائحته يترنح في الهواء يحكي عن بشاعة الحادث ويواصل في نقله لصورة الأحداث ويضيف (ذهلت تماماً وأردت أن أبدأ بتصوير الحدث إلا أن أحد الجنود منعني من ذلك واتجهت إلى ناحية أخرى بعيداً عن أعين الشرطة واستطعت أن التقط مجموعة من الصور في حذر وصممت على تصوير كل الأماكن التي أصابها حريق القدر حتى نكون خير شاهد على حقيقة الجريمة.

والباحثة وهي تورد إفادات شهود العيان تؤكد تطابقها مع ما جاء بعد سنوات والذي يؤكد كافة الروايات بأن المسئول عن الأنصار بمسجد ود نوباوي والمفوض من قبل الإمام الهادي هو قاسم مكي الذي خاطب جموع المصلين بعد صلاة المغرب أمسية يوم ٢٨/ ٣/ ١٩٧٠م.

وطالبهم بتسيير موكب احتجاج واجتمع بعد ذلك برؤساء المائة وهم نثبتهم للتاريخ:

محمد أبكر محمد سليمان – فلاتي

الضو محمد الهادي – مديرية كردفان

عبد الرضي إسماعيل (إيزرد) – برقاوي

يوسف عيسى – رزيقي

عبد الحميد آدم يحي – زيادي

محمد عبد الله – داجاوي

فضل الكريم مهدي – من بني هلبة

علي ضوي – من الجوامعة

وتم الاتفاق أن يتم التحرك عقب صلاة الصبح وقراءة راتب المهدي وأن ينظم كل منهم المائة التابعة له ويختار منهم عشرة يسيروا في ميسرة وميمنة الموكب وقوامهم ثمانين يمثلون كتيبة الشهادة.

بعد صلاة الصبح وقراءة الراتب يوم الأحد ٢٩/ ٣/ ١٩٧٠م ساروا في صفوف منتظمة يهتفون الله أكبر ولله الحمد، لا سلام بلا إمام، تحتج لضرب الجزيرة أبا لا

شيوعية بعد اليوم، وصلوا ركعتين في الساحة الواقعة بين قبة المهدي ومسجد الخليفة عبد الله وسارت مسيرتهم حتى عادوا لود نوباوي بذات الهتافات وحدث الاشتباك بينهم وضباط الصف والجنود.

وجرت الأحداث الرهيبة[1] التي أذهلت المجتمع السوداني وأكدت أن اليسار جاء ليدمر التراث والعادات والتقاليد ويشوه صورة رجال الدين ويقود الأمة إلى المحور اليساري الذي يرفضه الشعب المسلم.

فقد لعبت الآلة الإعلامية دورها واحتفلت وترصدت وأظهرت المظاهرة السلمية بأنها مظاهرة عدائية، ذات التصور الذي قاد الضباط لإخطار قيادته بأن المظاهرة عدائية دون أن يتبين الحقيقة.. مجموعة من الأخطاء أوضحت أن الحكومة بيتت النية لضرب كيان الأنصار باعتباره من أقوى الفصائل المعارضة لمسيرة الشيوعية في البلاد فصورتهم بالناسفين والخونة والمارقين والقتلة وسفاكي الدماء. ففي البيان الذي وجهه فاروق حمد الله عبر كافة أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة في مساء يوم الأحد ٢٩/ ٣/ ١٩٧٠م والذي اتخذته الآلة الإعلامية وكتاب الأعمدة ورؤساء تحرير الصحف مادة خصبة بدلوا كل فرد منهم بخياله لكسب رضا النظام فإن التاريخ يعيب كذب إدعاءاتهم.

والباحثة وهي تتابع التحليل والوصف تضع بيان حمد الله[2] كاملاً للتاريخ لأنه يجافي الحقيقة فهو مكتوب لتضليل المجتمع المحلي والعالمي عن الجرام التي ارتكبت وحكمتها من حكمة هذا الشعب المؤمن الصابر المجاهد، ولقد قامت قوات الأمن في انضباط فوري وبالحسم الذي عرفته به على امتداد تاريخها الحافل بالبطولات وبالتصدي لقضايا الشعب يوضع حد لهذه الفتنة التي أراد بها أصحابها أن تمتد كما خطط لهم أساتذتهم من سدنة الاستعمار العالمي وأرادت لها الثورة أن تنتهي في مهدها تصميماً على استمرار زحفنا المقدس نحو الشمس ومسيرته الجبارة نحو آفاق الاشتراكية الرحبة..

---

[1] الملحق أسماء شهداء ود نوباوي.

[2] بيان فاروق حمد الله عبر الإذاعة والتلفزيون، ٢٩/ ٣/ ١٩٧٠م.

هذا وقد تم تنظيف منطقة ود نوباوي من جميع الجيوب المعادية للثورة وسلم جميع الخارجين عن القانون والنظام أسلحتهم وأنفسهم وتم إخلاء الموتى والجرحى من المنطقة كما جابت قوات الأمن كل المنطقة من منزل إلى منزل وتم تفتيش جميع المنازل وصودرت كميات كبيرة من الأسلحة البيضاء، والأسلحة النارية والأوتوماتيكية ويود وزير الداخلية أن يؤكد أن الحالة في جميع أنحاء البلاد هادئة تماماً وأن ما حدث في ود نوباوي لا يمكن أن يتكرر في أي منطقة من مناطق السودان، كما يطلب وزير الداخلية من المواطنين أن يتحلوا بالصبر واليقظة والانضباط مدركين أن السلطة الثورية لن تتردد في حماية ثورتهم وصيانة مقدراتهم من مؤامرات الرجعية والاستعمارية[1].

بعد هذا البيان كان لابد من تحرك قطاعات اليسار الموالي للحكومة من اتحادات ونقابات وموظفين ومنظمات سياسية للوقوف بجانب مايو مؤيد لحملة الإبادة التي لحقت بالركع السجود وبالبسطاء وطلاب القرآن وهدم مسجد ود نوباوي العتيق.

من حق الأبرياء حفظة القرآن وطلاب العلم والعجزة الذين أحرقتهم قذائف اللهب والمشهد المخزي الذي يضاهي جرائم النظام الصهيوني في بشاعة القتل والتمثيل، جاء في بيان حمد الله: (في الصباح الباكر من صباح اليوم قامت جماعة من الأنصار مسلحة بالسيوف والحراب وغيرها من السلاح الأبيض بالاعتداء على دورية صغيرة من دوريات رجال الأمن في منطقة ود نوباوي بمدينة أم درمان، وقد أعملت هذه الجماعة سلاحها في قوات الأمن التي استشهد عدد من أفرادها، كما تعدت على أربعة من أبناء المديريات الجنوبية ومزقتهم بحرابها، وإزاء هذا التحدي السافر للثورة والسلطة ولكافة القوانين السائدة قامت قوات إضافية من رجال الأمن بأسلحتها الأوتوماتيكية لوقف الأحداث وقد كان واضحاً أن هذه القوى التي استقلتها قوى الفتنة والتآمر الرجعي لتنفيذ مآربها كانت تهدف إلى تحويل منطقة ود نوباوي إلى مسرح دام وثغرة تستطيع أن تنفذ منها لتنفيذ مخططها الدموي الذي حاكته قوى الاستعمار والرجعية العالمية وأسندت تنفيذه إلى

---

[1] راجع الملحق بأسماء القتلى من العسكريين في أحداث ود نوباوي حسب ما أوردته الصحف والبيانات الحكومية.

وكيلها وربيبها، ولم تكن الثورة لتسكت عن كل ذلك، وهي التي آلت على نفسها منذ فجر الخامس والعشرين من مايو أن تنتشل السودان من وهدة التخلف والتبعية والولاء الأعمى للطائفية المرتبطة بقوى الاستعمار والاحتكارات العالمية، التي أقسمت على تخليص المواطن من كل أشكال الاستغلال المزري، والسير به في دروب الاشتراكية الوضاءة، مستلهمة إرادتها من إرادة الله. فكان لابد لليسار ومن سار في هديه أن يستنهض الهمم ويعد العدة لتسيير موكب ضخم مؤيد للأحداث بيد أن خط سيره من ميدان أبو جنزير إلى رئاسة القوات المسلحة، وقد لعبت الآلة الإعلامية دورها الهام في هذه التعبئة، التي حملت وثيقة التأييد والتلاحم مع القوات المسلحة.. تلك المسيرة والحشود المصنوعة والتي خرجت يوم الاثنين ٣٠/ ٣/ ١٩٧٠م أكدت اتجاه الدولة السياسي اليساري فقد ذكر عمر مصطفى المكي[1]: (يذكر المعاصرون أن الموكب التاريخي الذي شاركت فيه مئات الألوف من جماهير العاصمة يوم ٣٠ مارس ١٩٧٠م تضامناً مع ثورة ٢٥ مايو ضد نشاط الثورة المضادة في منطق النيل الأبيض، وفي الجزيرة أبا بصورة خاصة، نظمت ذلك الموكب لجنة الحزب الشيوعي بالعاصمة، وكان يقود لجنة العاصمة في ذلك الوقت التجاني الطيب، وكان يعتبر ذلك الموكب نصراً تاريخياً فلولا الموكب الذي نظمته لجنة الحزب بالعاصمة لما حسمت السلطة ترددها تجاه القوى الرجعية في الجزيرة أبا.

---

[1] عمر مصطفى المكي، تأملات ماركسية في منهج القيادة الحالية للحزب الشيوعي، ص١٤٩. د.ن، د.ت، نقلاً عن كتاب صديق البادي، ص٦٤.

والباحثة في إثباتها لهذه البيانات تؤكد التالي:

أن الأنصار قوة متراصة مترابطة شعارها الإسلام عقيدة وإيمان وتطلع لتحقيق دستوره، فردة الفعل لكل حدث يحدث في هذا الكيان تزيد من تماسكه للتصدي لما يعوق مسيرة الوطن في كافة المجالات.

فإذا كانت الحكومة التي أعلنت يساريتها ووقوفها ضد العقيدة لقيادة الوطن إلى محور اليسار تبعاً لما نتج عنه ميثاق طرابلس الثوري كما يقولون، وإن من يطالب بحق وطنه يضحى عبداً ومنفذاً للسياسة الاستعمارية وعسكرياً لحراسة مكتسبات الرجعية، فإن الآلة الإعلامية الشيوعية غطت على الحقيقة، ونسجت من الخيال الأحلام، وتجاهلت دماء الشهداء وحرائر النساء والأطفال واحتراقهم بقاذفات اللهب.. فكيان الأنصار وقتها لا يملك آلة إعلامية لإظهار الحقيقة وطرحا فقد تم عزله تماماً إلا أن شهود العيان وإفاداتهم قد ألقت ظلالاً من المأساة في طريق سدنتها، حماة الاشتراكية وقادة فكرها.. فبيانات التضليل واجتهاد الحكومة في إخفاء الحقائق وتصوير ما حدث وفقاً لأهوائهم نؤكده وندحض ما جاء في بيان حمد الله بالنقاط التالية:

- الباحثة ترى أن الموكب الذي سيره الأنصار من ود نوباوي كان موكباً سلمياً احتجاجاً على أحداث الجزيرة أبا، فالأنصار لهم أسر وعوائل هناك، وقبائل اتخذت الجزيرة مستقراً لها وملاذاً وشاهداً على حب تلك الجموع إلى أن يسود العدل الإسلامي الذي رفع رأيته محمد أحمد المهدي على هدى الرسول الكريم.
- المشاركون في الموكب كانوا من كيان الأنصار ومن طلاب الخلاوى وضيوف المسجد ومن يتلون القرآن والراتب وهم لا يملكون أسلحة نارية ولا قذائف لهب ولا مدفعية مضادة ولا دبابات كان سلاحهم على مدى الزمان هو السلاح الأبيض المعروف لدى كيان الأنصار والتي اعتادوا عليها في زمن السلم والحرب..
- الموكب كان مقرراً أن يسير سلمياً ورفض رئيس المائة ما طرح من آراء بحرق طلمبة ودارو، فليس من شيم الأنصار حرق ممتلكات الشعب وذلك شعار متوارث بين الأئمة.

- الاعتداء الآثم حدث بعد عودة الجماهير إلى المسجد بود نوباوي بعد أن أبدوا شعورهم تجاه الأحداث في الجزيرة أبا والتعليمات التي صدرت كانت مقصورة ولا يوجد حتى تنظيم بين قيادات الجيش الذي أصابه الذهول فكان التصرف عشوائياً، دون تنسيق حتى بين القوات الحكومية. وقد قامت القوات المسلحة حامية الثورة ودرعها القوي بقيادة أهل اليسار بضرب العباد والطلاب والعجزة بالدانات، وفتايل اللهب والمدفعية بقسوة مما أدى إلى استشهاد عجزة وطلاب ومواطنين أبرياء، وألحق دماراً بالمسجد والخلاوى وبعض المنازل المجاورة. والضرب قد خلق قتلى وجرحى وتلته ملاحقات وحملات تفتيش للمنازل والأسر الكريمة واعتقالات.
- النظام الحاكم كان يمنع توثيق الحدث حتى لا ينكشف أمره أمام العالم نتيجة لما أرتكبه من جرائم تدخله في نطاق المطلوبون للعدالة العالمية من مجرمي الحرب..
- عربات الشرطة تابعت الموكب طيلة مسيرته ولم يحدث أي احتكاك مع رجال الموكب، والموكب استجاب لأوامر الضابط الذي ألتقي بهم عند مدخل كبري أم درمان فغير اتجاهه وغفل راجعاً جهة الشمال إلى أن وصل إلى ودنوباوي، ولكن الضرب كان مقرراً وفي بيان الوزير كذب وتضليل وإدعاءات كاذبة، فقد أعادوا استخدام المصطلحات السالبة في وصف الأحزاب تارة بالرجعية ومرة بالطائفية وبرجال استغلوا مواقفهم وأشاعوا الدجل الفوضى.

ويؤكد ذلك ما جاء في مقابلة أجراها عبد الرحمن مختار[1] مع أبو القاسم محمد إبراهيم في ٥ أبريل ١٩٧٠م فقد ذكر أبو القاسم بأنهم اكتشفوا ذواتهم فلا مكان للطائفية والدجالين والمتبطلين بالوراثة فكفى ما لقيه بهم المواطنين من استقلال وتسخير، وأضاف أن حكومة الثورة ومن ورائها الشعب أكتشف اليوم حقيقة لابد أن نبقي جاهزين كل في ميدانه لاجتثاث كافة الأوبئة السياسية والطائفية وعلينا أن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخنا الحديث وأن نأخذ العظات والعبر وأن ندك حصون الرجعية.. وهذا أيضاً ما ذكره حمد

---

[1] عبد الرحمن مختار، رئيس تحرير صحيفة الصحافة، وأجرى الحوار بعد ثلاثة أيام موقعة الجزيرة أبا والأحداث وهو أحد الذين رافقوا نميري وضللوا الرأي العام.

الله من بيانه عن أحداث ود نوباوي وسلاح تضليل الرأي العام اتخذته مايو شعاراً للخداع والتسويف ورسم صور متباينة تحكي قصص أحلام اليقظة التي يمثلونها على مسرح الحياة حتى يرفعون شعاراتهم شعارات الإلحاد والشيوعية في بلد الإسلام، ويذكر أبو القاسم محمد إبراهيم في حواره بطريقة فيها نوع من البطولة لأحزان حرقت الركع السجود قوله: (بينما كنا في تلك الحالة من التحفز واليقظة ونحن بأبا فإذا بأنباء ود نوباوي تصل إلينا وإذا بها تصل إلى كل ضابط وجندي في الحملة.. عشرات من زملائنا استشهدوا في ود نوباوي.. ويا للمصيبة وبدأت موجة من الأحزان تغطي قلوب الجنود حسرة على زملائهم الذين راحوا غدراً ومع ذلك استطعنا أن نكبح جماح العواطف ونقدر المسئولية في تعقل وتبصر ونزيل من وجوهنا وقلوبنا مأساة ود نوباوي المفجعة حتى لا تؤثر في عملياتنا).

والباحثة تتساءل من أين جاء بمعلومات القتلى بالعشرات أنه التضليل والبطولة الزائفة والحجج الواهية التي ركزنا على كشفها وإثبات حقائقها للتاريخ فقد أراد نظام مايو أن يعيد إلى الأذهان أحداث القتال والحرب الأهلية في نيجيريا وأن يجر بلادنا إلى الفوضى والدمار.

لم تجد مايو بعد أحداث ود نوباوي إلا أن تحدث زلزالاً وسط المجتمع باعتقالها لمائة خمسة وسبعين متهماً في أحداث ود نوباوي وإيداعهم سجن أم درمان ثم ربك ثم كوبر وقبل المحاكمة أفرجت النيابة عن مائة وسبعة وخمسين متهماً وكونت محكمة لمحاكمة بقية المعتقلين ونثبت للتاريخ أعضاء المحكمة والأحكام التي أصدرتها:

تكونت المحكمة من السادة:

الرئيس: عميد أركان حرب محمد خير عمر أزرق

الأعضاء:

عقيد أ.ح محمد الحسن محمد علي

مقدم صديق أحمد حمد

مقدم سيف الدين محمد عبد القائد

رائد سليمان عبد العزيز

نائب الأحكام:

السيد القاضي حسن شريف حسين

ممثل الاتهام عبد الله حسن سالم (قمندان البوليس)

وحكمت المحكمة على المتهمين بالسجن وكانت الأحكام كالتالي:

السجن أربعة سنوات على الآتي ذكرهم:

قاسم مكي، بشير نصري بشير، إسحق محمد آدم، أحمد السنوسي.

وحكمت المحكمة على الآتية ذكرهم بالسجن لمدة ثلاثة سنوات وهم:

إبراهيم إدريس محمد عمر، الضو محمد الهادي، الطيب عبد الرحمن علي، عبد الرحمن إسماعيل (أب زرد) وجبريل عيسى مركز.

وحكمت بعام واحد على حمد المكي عاجب والهادي أحمد حرين.

والباحثة للتاريخ تورد ما أورده محمد طه محمد أحمد[١] في كتاب صديق البادي[٢] حيث اتفق مع كل الآراء حول مايو ويساريتها وتبعيتها المطلقة للحزب الشيوعي الذي مهد وحشد وأطلق الشعارات، ثم أباد وأحرق وكذب وضلل يذكر (كانت حركة مايو ١٩٦٩م تشكل منطلقاً خطيراً في تاريخ السودان لأنها أول تحرك عسكري عقائدي منظم، نقل السودان إلى ساحات النظم الشمولية العربية التي سادت في مصر وسوريا واليمن والعراق، وكانت الحركة كما عبر عنها قائدها يسارية منحازة للمعسكر الشرقي، وقال نميري بوضوح (أن الثورة يسار يسار ولا مكان لليمين فيها وأن أحزاب الأمة والاتحادي الديمقراطي ونوابهم أعداء شعبنا وأن الثورة يسار يسار ولا مكان لليمين فيها). إذاً كان لابد أن يحدث الصدام بين القوى الحاكمة الجديدة وأولئك الذين سلبتهم السلطة الجديدة

---

[١] محمد طه محمد أحمد، صحفي سوداني دفع روحه ثمناً لحرية الفكر حيث اغتيل وذبح لآرائه السياسية وقوة فكره وجراءة قلمه.

[٢] صديق البادي، سبق ذكره، ص ص١٤٩-١٥٠.

كراسيهم خاصة وأن هؤلاء مثلوا شرعية شعبية لا يهـم أن كانـت بـالولاء الأعمـى أو لم تكن.

إنه صراع الإرادات في السودان وهكذا كل طرف يحشـد قـواه ويسـتعد.. وكـان الإمام الهادي عبد الرحمن المهدي هو إمام الأنصار وزعيم حزب الأمة كان لابد أن يرفـع لواء الثورة المضادة لثورة مايو خاصة وأن الزعيم إسماعيل الأزهري لم يكن يملـك حريـة متاحة للإمام الهادي في حصنه الحصين بـالجزيرة أبـا الـتي شـهدت أول انتصـارات جـده الإمام محمد أحمد المهدي على حكم مصري تركي شرق أوسطي وها هـو حفيـده يسـتعد لمقاومة حركة خرجت من تحت عباءة القومية العربية تلاميذ ساطع الحصري وجمـال عبـد الناصر وحينما كان نميري يقول: (الثورة يسار يسار ولا مكـان للـيمين فيهـا فـإن الإمـام الهادي قال: "لا سلام بلا إسلام").

وهكذا بدأت المعركة الساخنة وكانـت تعـني نهايـة عهـد التسـامح السياسـي في السودان.

نعم لقد كان هناك عنفاً في حوادث ود نوبـاوي والجزيـرة وكانـت المأسـاة قويـة الصدمة إذا أخذنا في الاعتبار أن نميري نفسه من بيت أنصاري كبير شـديد الـولاء لبيـت الإمام محمد أحمد المهدي وأهل نمـيري يسـكنون ود نوبـاوي الـتي بـدأت فيهـا المعركـة.. وهكذا كانت الحوادث الدامية في السودان الـتي أنهـت عهـد التسـامح وصـبغت الأرض والأفق بالدم..

لقد تحصن الإسلاميون بالجزيرة أبا فوصل إلى هناك الدكتور محمـد صـالح عمـر والشيخ محمد محمد صالح الكاروري والأستاذ مهدي إبراهيم وقاتلوا مع الإمـام وسـقط الشهيد محمد صالح عمر وهو يحتضن مدفعه الرشـاش وسـار الكـاروري مـع الإمـام في طريق الهجرة إلى أثيوبيا لمواصلة الكفاح وفي الكرمك تم إطـلاق الرصـاص علـى الإمـام الهادي وتم إلقاء القبض على الكاروري.. وظنت مايو أنها كسـبت طـول البقـاء بسـحق المقاومة في ود نوباوي وأبا ولكن توالت الأحداث العاصفة فيما بعد وهذا خـارج نطـاق البحث.

والباحثة وهي تثبت هذه المقالة لتؤكد غياب العقل لدى طغمة مايو وغيبة حكم القانون، قانون الدماء والسحل الذي جاءوا لتطبيقه وخرق لمبادئ حقوق الإنسان.. أنها مأساة الأنظمة العسكرية عندما تلبس قمصان الحرية والعدالة فيكون نصيب الشعب القتل والسجن والتنكيل.

أما بعد الأحداث فقد لعبت الصحافة والآلة الإعلامية دورها بإبرازها للعناوين الجاذبة في كشف المزيد من مزاعم التضليل وبتصوير المواكب الموالية باعتبارها أضخم مسيرة شعبية فإن تاريخ البلاد لتدعيم الثورة حسب مانشتات الرأي العام[1]. وهي ذات العناوين التي كشفت الدور الليبي والمصري في دعم حكم مايو حيث أوردت وصول الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس الثورة الليبي وأنور السادات نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة للإطلاع على تطورات مؤامرات الرجعية والاستعمار في بلادنا، وإعلان وحدة الحركة الثورية العربية وتضامن بلديهما مع مايو، وهذا يؤكد ما لعبته مصر وليبيا في دعمهما لمايو بالأسلحة والعتاد والاستخبارات، إضافة إلى الطائرات وتكفي برقية القذافي في ذات العداء والتي توضح (في الوقت الذي تحقق فيه ثورة الفاتح من سبتمبر الانتصارات بطرد المستعمرين من ليبيا تتآمر الرجعية على ثورة الخامس والعشرين من مايو في السودان وأن هذا لدليل على تحالف بين الاثنين من جهة ويؤكد وحدة الثورتين من جهة أخرى، لأن عدونا واحد إذا طردناه من بابنا يحاول أن يدخل من نافذتنا. وإن المعركة مهما تعددت فإن القطاعات من القوات الليبية الآن على أهبة الاستعداد للاشتراك معكم ورهن إشارتكم ولن يزيدنا التحدي المعادي إلا صلابة).

وذهب نميري وناصر والسادات ومبارك والقذافي وهبت الشعوب لتطهير أوطانها من رجس العبودية والمذلة واليسارية وتبقي الكلمة للتاريخ فهو بوابة وسجل الأحداث الخالدة.

---

[1] صحيفة الرأي العام، ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م، العدد ٧٨٢٦.

الفصل الخامس

دور الصحافة السودانية والعربية والاجنبية

في احداث الجزيرة أبا وود نوباي

مدخل:

وظفت الصحافة السودانية صفحاتها لخدمة أهداف النظام المايوي الذي رسم له السيناريوهات الإعلامية كوادره التي تجيد أسلوب خداع المجتمع وتصوير الجنات بأنهم أبطالاً، وتضليل المجتمع انسياقاً وراء الأهداف المرسومة لخدمة النظام اليساري فالإعلام في مضمونه رسالة ومرسل ومستقبل، أما الرسالة الموظفة التي تعامل بها أهل اليسار، فقد كانت رسالة تنكرت لصناع فجر الحرية والاستقلال للذين قدموا أرواحهم فداءً للعقيدة والوطن ... الذين دمرتهم آلة الغزاة يوم قصفت المدافع سهول كرري وارتفعت الحناجر بالتهليل والتكبير من أجل عزة الوطن والتاريخ يشهد لهؤلاء الأشاوس كيف دافعوا في ليلة الثاني من ديسمبر ١٨٩٨م... تناسى هؤلاء الكتاب وحملة رسالة النظام المايوي أن الذين وصفوهم بالرجعية هم الذين أقاموا الدولة السودانية المسلمة وهم الذين دافعوا على مر السنين عن الديمقراطية وهم أيضاً الذين رفعوا العلم وطهروا البرلمان من الشيوعية والإلحاد. فقد ماتت رسالتهم الإعلامية كما تموت الأمواج على الشواطئ، وكالزبد عندما تقذفه أمواج البحار ويتلاشى، فالذين يعرفون الحقائق تبقت في أعماقهم جمرة ملتهبة يذكيها تاريخ كتب بالدماء وسجله التاريخ كأسطورة هزت عروش الطغيان، لن ينطفئ... فهل تنطفئ نيران الزمان ويحيل الزمن التاريخ إلى رماد. فالذين يعرفون التاريخ مواقف الرجال استهانوا بالرسالة ومضمونها لأن شعارهم لا تقاعس عن العقيدة ولا مهادنة مع الشيوعية، ولا استسلام مهما قامت به الآلة العسكرية من دمار... لا انكسار ولا أحزان.

والباحثة وللتاريخ تورد في هذا الفصل نماذجاً مما خطته الأقلام وتناولته صحافتنا وعكسته على الرأي العام المحلي والعالمي، وتوثق في ذات الوقت لتصحيح مسار التاريخ لأنها شاهدة عيان عاشت ولمست واحتفظت في ذاكرتها مما لحق بالمواطن المؤمن القانت وبالشهيد العابد.

أفردت صحيفة الرأي العام[١] وفي مانشت رئيس (إخماد الفتنة) ووزير الداخلية يشرح مؤامرة ود نوباوي الدامية ويؤكد أن جماعة من الأنصار مسلحة بالسيوف والحراب والسلاح الأبيض حاولوا الاعتداء على دورية من رجال الأمن مكلفة بالحراسة في حي ود نوباوي، ثم يضيف أن جماعة من الأنصار قامت بهجوم منظم استعملت فيه الأسلحة الحديثة والمدافع والأسلحة الأوتوماتيكية، وهي فئة استقلتها قوى الفتنة والتآمر لتنفيذ المخطط الدموي الذي حاكته قوى الاستعمار والرجعية العالمية وأسندت تنفيذه أي وكيلها).

والباحثة تتساءل في بيان وزير الداخلية متناقضات فكيف يقدم في فاتحة البيان نوعية السلاح سيوف وحراب وبعد سطر واحد يصف الوضع بالمدافع والأسلحة الحديثة[٢] وجموع الأنصار عند عودتها لمسجد ود نوباوي لم تكن تنوي حتى الاعتصام ... ولكنها التصفية المخطط لتنفيذها والتي شاركت فيها دول ميثاق طرابلس، فقد جاء في ذات الصحيفة بالتدخل المصري إذ أن أنور السادات نائب رئيس جمهورية مصر العربية أتهم المخابرات الأمريكية أنها سعت إلى تنفيذ النظام في السودان وهذا دليل وبرهان من صحيفة رئيس تحريرها الفاتح التجاني ينتمي لذات التيار. ولتنفيذ المزيد من التضامن مع نظام مايو فقد نقلت صحيفة الرأي العام في صفحتها الأولى بوقوف أصحاب رؤساء تحرير الصحف مع النظام واستعدادهم للعمل الجاد لتوعية المواطنين وإنقاذهم من قوى الاستقلال والتخلف... في الوقت الذي تعكس فيه وقوف اليسار العربي من نظام مايو والتضامن لمواصلة مسيرة تصفية الحسابات، وقتل ووأد الديمقراطية وهي أصوات نشاز

---

[١] الرأي العام ٣/ ٣/ ١٩٧٠م العدد ٨٧٧٥.

[٢] راجع فصل ود نوباوي.

تناست أن للشعب كلمته وللحرية أعلامها والشعب الذي دفع الدم غالباً لا ترهبه وقفات اليسار مع النظام.

والباحثة تسلط المزيد من الأضواء لتكشف ماهية الإعلام الذي كشف تواطؤ الدول اليسارية مع النظام فقد أوردت الرأي العام[1] موقف سوريا ورئيسها نور الدين الاتاسي، وتضامنها مع نظام مايو في ذات الوقت أضاءت الأضواء حول زيارة عبد السلام جلود عضو قيادة الثورة الليبية وأنور السادات ووضعوا حسب ميثاق طرابلس كافة الإمكانيات في خدمة النظام وهي ذات الأخبار وبذات الصيغة التي أوردتها صحيفة الصحافة[2] مما يؤكد كيف يوظف الإعلام لخدمة أهداف النظام وهي نفسها التي نقلت مباركة محمد عثمان الميرغني لنظام مايو، وذات الصحيفة "الصحافة" هي التي أكدت على سلاح الأنصار السيوف والرأي حسب بيان وزير الداخلية المتناقص، والذي يؤكد ما جاء في الرأي العام وكافة الصحف السودانية، بل أكدت موقف العراق وإمكانياته لضرب الحرية ووأد الديمقراطية.

أما أخلاق قادة النظام وسلوكهم وحضارتهم التي جاءوا بها الأسلوب الذي تناول به أعضاء مجلس الثورة في محاولة طمس الحقائق وتكذيب الوقائع والإساءة لرموز الحركة الوطنية الذين أعطوا الوطن جهدهم وعرقهم وأموالهم من أجل حرية المواطن وحقه في العيش الكريم.

فقد أوردت صحيفة الصحافة في ذات العدد لغة الذي جعل نفسه بطلاً لخيانة الوطن وقتل الأبرياء. فقد أوضح أبو القاسم محمد إبراهيم بطل مذابح أبا في حديثه عن زعماء الوطن قوله: (إنني احتقر كل رؤساء الوزارات السابقين إنني أبصق على وجههم لأنهم جعلونا أمام صور التخلف التي يعيشها المواطن وأضاف أن رؤساء الحكومات كلهم يستحقون اللعنة كلهم يستحقون الاحتقار خصوصاً من كان يدعى منهم العلم والمعرفة والفهم والثقافة.

---

[1] الصحافة ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م، العد ٢١٧١.

[2] الصحافة ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧٢.

هكذا كانت لغتهم التي شغلوا بها الرأي العام دون مراعاة للعرف والتاريخ والموروثات واحترام الزعماء الذين أعطوا الوطن المهج والأرواح في ذات الوقت وفي ذات الصحيفة فنميري في رسالته الإعلامية يعلن في الجزيرة أبا أن الإمام الهادي استعان بإسرائيل لتزويده بالسلاح لقتل المسلمين، ووصف جموع الأنصار التي وقفت تدافع عن العقيدة بأنهم خونة ثم تناول حياة الإمام وأوضح (أن ما شاهده في قصر الهادي الذي يعتبره البعض كعبة لا يمت إلى الإسلام أو الدين بصلة، وجدنا الخمر والكشاتين والكفر والنفاق فهل ما يعلمه هذا يرضي الله)[١].

ولمزيد من أذكاء الفتنة ومحاولة تغيير وجه الحقيقة تناسوا أن التاريخ لا يعرف التثاؤب ولكنه يحفظ مواقف الرجال ويسجلها لتكون مرجعاً للأجيال القادمة ولمزيد من التخبط وحتى تعمل الآلة الإعلامية وتواصل دورانها في مزالق النفاق والكذب فقد خرج بابكر عوض الله في حديث مختصر لصحيفة الرأي العام[٢] بأن هناك محاولات بائسة لإحداث تمرد في الجيش عن طريق الإذاعات الاستعمارية المعادية التي حاولت استنفار القوات المسلحة للخروج عن الإجماع القومي ولم يوضح أكثر من ذلك فاللواء خالد حسن عباس وزير الدفاع سار على ذات النهج بإحباط القوات المسلحة لمؤامرات الاستعمار والرجعية وأوكار الدجل ولم يوضح من هم هؤلاء بل أضافوا أن التآمر وصل مداه فإن اكتشافهم لمخزن تحت الأرض بالجزيرة يحتوي على مدافع مضادة للطائرات وللدبابات أمريكية وإنجليزية وذخائر إسرائيلية.

وفي مانشت رئيسي بصحيفة الرأي العام[٣] حاولوا تغطية ما بثته الأجهزة الإعلامية حول التدخل الأجنبي الرجعي فأكد وزير الداخلية علم حكومة السعودية بالأحداث وهذا يعتبر تدخلاً سافراً في الشأن السودان باحتضانها ومساعدتها للعناصر الرجعية وأنها إحدى الدول التي ساندت الرجعية.

---

(١) راجع الفصل الأول.

(٢) الرأي ٣ أبريل ١٩٧٠م، العدد ٨٧٢٩.

(٣) الرأي العام ٨/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٨٧٣٣.

وفي ذات الصفحة الرئيسية أبرز وزير الداخلية حول النشاط الأجنبي المعادي للثورة الذي كان يقوم به ألماني اتحادي اعتقل وهو في طريقه إلى أبا ولم يوضح اسمه ولا المكان الذي تم إلقاء القبض عليه.

أما الصحافة السودانية فقد فتحت صفحاته للكتاب وبيانات النقابات والمؤسسات المؤيدة للنظام كما أبانت صحيفة الصحافة في صفحتها الأولى ومن نسج خيال كاتبها حسن مختار بأن الجزيرة أبا كانت تحكم دكتاتورياً حيث كانت تعقد المحاكم التي تملك السلطات المطلقة التي تصل حد الإعلام والنفي وواصلت ذات الصحيفة في[1] تضليل الرأي العام حيث أبانت أنها قد تحصلت على معلومات في أن العقيد التاج حمد أنقذ الوابور المقل للرئيس والوفد المرافق له من النسف عندما اكتشف بأن هناك مؤامرة لنسفه بمجرد اقترابه من كوستي.

ولمزيد من حبك الرواية أبان التاج حمد أنه بمجرد وصول الرفاس لقرية طيبة قامت جموع الأنصار بتسليط كشافات قوية على الرفاس وقد رد عليهم بتسليط كشافات رفاسه.

والباحثة تؤكد أن ما كتب حول هذا الأمر يجافي الحقيقة لأن الساحة أضحت مجالاً لنسج قصص البطولة التي ترضي الزعيم فهؤلاء يدسون خناجر الغدر في إكمال الدليل من أجل مصالحهم متناسين شموس العدالة التي تفضح مسيرتهم هؤلاء الذين صوروا أن جماهير الشعب ارتضت بالنظام مشعلاً اشتراكياً يقودها إلى مدائن الكفاية والعدل والحرية دون مراعاة بأن حقائقهم تقع تحت دائرة ومجهر التحليل بعد أن انكشفت سلاسل أحقادهم.

وقد واصلت الصحيفة نسج القصص الخرافية عن الحال في الجزيرة أبا وتصويرها بأنها قلعة للرجعية قامت الطائرات بقذفها والدبابات باقتحامها.

---

[1] الصحافة ٦/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧٨.

في ذات الوقت فقد صوروا بأفلامهم قصر الإمام وحجراته وذكر طلحة الشفيع بأنه شاهد[1] أشياء غريبة مدهشة ليس لها بالإسلام علاقة ولا بالدين رابطة فقد وجدوا زجاجات الخمر أشكالاً وألواناً والملابس النسائية الباريسية والمتكبرات والمايوهات وحبوب منع الحمل وغيرها.

والحقيقة ورداً على هذا الاتهام الذي لا يليق برجل عابد حافظ لكتاب الله أن تتناوله الأقلام بالإساءة والتجريح وهذا ما أكده شريف طمبل واتخذه وسيلة لإلهاء الجماهير عن الحقيقة[2].

أما عن مقتل الإمام الهادي والذي أوردته الصحافة المحلية فالباحثة تضع الحقائق التالية بعد أن وضحت في أحداث الجزيرة أبا الحقائق التي أدت لاستشهاد الإمام. فالنظام القائم لم يكن على دراية وعلم بطبيعة الأحداث ولا بالكيفية التي يمكن أن ينقلها للمجتمع فقد وظف كوادره لخدمة أهدافه فجاءت بياناته متناقضة لا يربط بينها إلا حبال الكذب والتضليل فقد أوردت صحيفة الصحافة[3] وتحت عنوان رئيس بأن القوى الثورية طالبت باعتقال الهادي وتصفية ممتلكاته بل أن نميري في مزيد من الكذب وطمس الحقائق أذاع بياناً ذكر فيه بأنهم أوفدوا كبار العسكريين للتفاوض مع الهادي فأوسعهم أنصاره ضرباً والباحثة أثبتت من قبل الحوار الديمقراطي بين الإمام وأبو الدهب فمن أين جاء نميري بهذه الأكاذيب وهو الذي أعلن وأثبتته الباحثة أنه كان لا يعرف الكثير من الأحداث.

فقد تناولت صحيفة الصحافة وبقية الصحف السيارة بيان رئيس مجلس الثورة الخاص بمقتل الإمام الهادي حيث أوردته الصحافة وبقية الصحف بمانشت رئيسي[4] يذكر فيه قائد الثورة مقتل الهادي الذي حاول الهرب ومعه جماعة في عربتين على الحدود

---

[1] صحيفة الصحافة ٤/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧٧.

[2] انظر الفصل الأول.

[3] الصحافة ٢٩ مارس ١٩٧٠م، العدد ٢١٧١.

[4] ٢ أبريل ١٩٧٠م، العدد، ٢١٧٥.

مع أثيوبيا ورفض الانصياع وتبادل إطلاق النار مع قوات الأمن... بينما نشرت صحيفة الرأي العام بيان نميري بأن الهادي حاول الهروب عبر الحدود فتصدى له حرس الحدود وتم تبادل إطلاق النار ليتعرف الناس بعدها على جثة الهادي بين القتلى[1].

في ذات الإطار فقد ظلت الحكومة تعزف على نوتة الكذب والتضليل عبر المقالات والبيانات والإدعاء أن الطائفية ومن ورائها من الاستعماريون والرجعيون ما زالوا يوالون تخطيطاتهم لدحر الثورة..

بينما نقلت الصحيفة بيان علماء معهد أم درمان العلمي الذي جاء مؤيداً للنظام الدموي واعتبر أن الدفاع عن العقيدة والوطن فتنة متدثرة بثياب الدين وقد تجاهل العلماء بأن النظام الذي سقطت أنواره وتلألأت هو نظام شيوعي لا علاقة له بالدين ولا بحياة الأبرياء الذين دفنهم أحياء وإذا كان بيان العلماء يعتقد أن الوقوف بجانب النظام هو واجب ديني لأنه الوقوف بجانب العدل والعدل واجب كل مسلم... فقد تنكر العلماء لسماحة الإسلام وقتل النفس دون وجه حق... وأضاع البيان حق الشهداء الذين قدموا أرواحهم فداءً للوطن...

لقد تناسي رجال الدين وظيفتهم الأساسية وأصبحوا تحت إمرة سلطان سلطات السلطان يصدرون البيانات التي تدعو لنبذ الأديان والانخراط مع نظام شيوعي جاء لطمس معالم وهوية الوطن... فإذا كان هذا موقف رجال الدين تناسوا ما لحق بحماة العقيدة من قتل وسفك ودماء وتجاهلوا صراخ الأطفال والشيوخ وحملة القرآن وطلاب الخلاوي يحرقون فما الذي تبقى من الإسلام وحماته يسقطون في بئر التبعية ويضللون الرأي العام.

أما الصحافة فقد واصلت كل حسب رؤيته وفقاً للبيانات من طرح الآراء حول أحداث الجزيرة أبا ومقتل الإمام الهادي وتصوير الواقع المعاش بما يخدم أهداف الثورة التي أعلن فائدتها بلهجة التشفي والحقد والكراهية وعدم توقير الكبير واحترام رسالات

---

[1] راجع فصل الجزيرة أبا.

السماء ليعلن عبر خطابه الذي أشرنا إليه أن ثورة مايو الاشتراكية التقدمية العظيمة لتمسك أقلام التاريخ لتكتب على صفحة منشتها دماء الشهداء الزكية نهاية النهاية لسراديب حزب الأمة الرجعي المخرب السفاك المنحل، فقد كان وليد سفاح فاجر منذ مولده فقد أنشاه نيوبولد وأشرف على إعداده فظل طوال حياته خوفاً لا يلد إلا خمار الحادثات ولم يكن الانتماء إليه شرفاً في يوم من الأيام[١].

بذات الأسلوب الذي لا يمت إلى الحقيقة والمنسوج من وحي الخيال كتب بعض كبار رجال الصحافة السودانية يمجدون القادة ويلبسون الحق ستائر النسيان... ويصورون القتلى بصور للأبطال حتى يطمسوا معالم الحقيقة التي تكشفت للشعب من حرق ودمار وقتل وطائرات وتدخلات أجنبية وقد تناسى هؤلاء دماء الشهداء وصراخ الأطفال وحرقه الألم التي كست وجوه الكبار حفظة كتاب الله..

والباحثة تورد نماذجاً لما كتبه كبار رجالات الصحافة للتاريخ فقد نشر عبد الرحمن مختار صاحب ورئيس تحرير جريدة الصحافة حواراً مع أبو القاسم محمد إبراهيم بتاريخ ٥/ ٤/ ١٩٧٠م أورد فيه بخيال كاتب يكتب الدراما والتراجيديا ويصور خلجات الإنسان وانفعالاته فقد كتب (كنت أراقب الرائد وهو يتلقى التهاني يروى لهم قصصاً تشبه أساطير القرون الوسطى كنت أتابع حركاته وطريقة حديثه وهو يضغط في شفتيه حرقة وغيظاً، كنتم استمع إلى أسنانه تضغط بعضها بعضاً فتحدث صوتاً كله الألم والحزن واختليت به لحظات فإذا بها ساعات ذكر فيها أن المحنة محنة أمة وشعب فلم يكن يتصور يوماً في القرن العشرين أن هناك استرقاقاً وتسخيراً للإنسان كما كان يحدث في مملكة الطائفية الخربة ثم بدأ الكاتب الكبير بصور معالم وجه الرائد كأنه يعرض تراجيديا على المشاهدين فقد أبان أن الرائد ارتفع صوته وبدأت معالم وجهه تتغير ثم صمت للحظات شارد الذهن والبصر وقبض على رأسه بكلتا يديه ثم نزلت من عينيه دمعة الحسرة

---

[١] صديق البادي سبق ذكره، ص ٧٧.

وانفجر يقول إنني احتقر كل رؤساء الوزارات وابصق على وجوههم لأنهم من صنع ذلك).

والباحثة تتساءل لماذا لم يكتب الكاتب الكبير عن الشهداء والقتلى والجرحى لماذا لم يستعرض سيناريوهات الأحداث بدلاً من نسجه هذه الصور التي تمجد الأشخاص فهل قضايا البلاد تبحث وتكتب بمثل هذا الأسلوب.

إن الصحافة التي أضحت وسيلة للتضليل بما يكتبه الكتاب أضحت في ذات الوقت بعد أن كشف التاريخ الحقائق أنها كانت أحدى وسائل الكذب والتضليل والتلاعب بالأحاسيس والوجدان السوداني.

ولمزيد من التوثيق لتلك الفترة التي مرت في تاريخ السودان فالباحثة تورد ما كتبه من نوراني رئيس تحرير[1] السودان الجديد بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٧٠م متحدثاً ومتناولاً ما قدمه الرائد أبو القاسم محمد إبراهيم الذي حمل على أكتافه دماء الشهداء وصراخ الأطفال وقتل الشيوخ ودفنهم أحياء.. أن الرائد جعلته الأفلام بطلاً حكومياً انتفخت أوداجه وصار كثير الحديث واللقاءات تمجده الأفلام وتفتح له الصحف صفحاتها وهو في قمة الانشراح فمن قتل الأبرياء بشرب دماء الشهداء على مر الأيام لأن الحق عند الله وعنده الحساب.

لذا فالباحثة تعرض نموذجاً آخر كتبه نوراني حيث قال: (الرائد أبو القاسم الذي أشرف على إخماد الفتنة في أبا... ونحن داخل قصر الهادي تحدث عن أبعاد المخطط الاستعماري وآثاره المستهدفة داخل وخارج القطر وذكر أن المخطط كان المقصود منه تصفية مايو الاشتراكية وإرجاع السودان إلى عهد الطائفية والإقطاع... وضرب المكاسب التي حققتها الثورة والتي تعمل جاهدة لتحقيقها لكافة الشعب دون تمييز أو اعتبار للون الحزبي أو طائفي وكان هذا وحده كافياً لعملاء الاستعمار ووكلائه من الإقطاعيين أن يتحركوا بسرعة لتصفية هذا النظام.

---

[1] السودان الجديد بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٧٠م، وصديق البادي، سبق ذكره، ص٩٧.

بينما كتب إدريس حسن[1] في عدد الجمعة بصحيفة الأيام بتـاريخ ٢/ ٤/ ١٩٧٠ كلمة من نسج خياله بصورة دراماتيكية فيها كثير من الشجن والمفردات التي تشبه الأدب القصصي حيث وصف الأحداث والأحوال داخل الجزيرة أبا بقوله (كانت الشمس تميـل للمغيب مساء أمس الأول عندما دخل وفد الصحفيين الجزيرة أبـا وفي مـؤخرة الأذهـان عشرات من علامات الاستفهام ترسمها شائعات الخرطـوم وقلـق الأيـام الماضـية ولكـن الهدوء الذي يلـف الجزيـرة وعـودة الحيـاة إلى طبيعتهـا تقريبـاً تبـدد كـل أسـئلة تطـوف بالذهن... ليس هناك آثار لدمار وخراب وليس هناك بقايا وآثار معارك عنيفة فإن قـوات الأمن لم تستعمل إلا أقل قدر من العنف وهي تستولي على الجزيـرة... المنـازل قائمـة في أماكنها والمواطنـون الـذين لم يشـتركوا في المؤامرة يعيشـون حيـاتهم العاديـة في بيـوتهم ويتجولون في قراهم ونفس الكاتب وفي مقابلة تلفزيونية وردت في الصفحة الرئيسة لمنـبر الرأي لرباح الصادق بتاريخ الخميس ٢٤ يونيو ٢٠١٠م أورد ببرنامج بقناة النيـل الأزرق السودانية وبرنامج حتى تكتمل الصورة ما يتناقض ما كتبه أحداث الجزيرة أبـا حـاول أن يعيد الذاكرة وأن يكفر عن قلم مغموس في أخبار خداع الشعب والأمة حاول فيما كتب أن يجعل الموقعة عادية لا دمار ولا قتل ولا تشريد... صور الموقف في شكل زيارة ترفيهية ولكن وخز الضمير وتقدم العمر لا يكون في موقع استهزاء من التاريخ كفر عن خطيئتـه وأوضح في المقابلة (أنهم حينما ذهبوا لزيارة أبا حجـزوهم خارجهـا سـاعات طويلـة ولم يسمحوا لهم بالدخول في الحال.. وأنه حينما استفسـر بعـدها بزمـان مـن أحـد الضـباط المسئولين (التاج حمد) حول سبب التأخير قال كنا مشغولين بدفن الناس بالجرافـات وقـد كانت أعدادهم مهولة وما كنا نريدكم أن تشهدوا ذلك المنظر).

والباحثة تورد هذه الأمثلة لأقلام كتاب ضللوا الرأي العام فقد غربت الشـمس بأرواح عشرات الرجال والنساء والأطفال ثـم يكتـب الكتـاب في سـاعات الحـدث مـا يخالف طبيعة الأشياء كأنما التاريخ وعاء أكاذيب لا حفظ وقائع ويأتون ويندمون بعـد أن

---

[1] صحيفة الأيام ٢/ ٤/ ١٩٧٠م، وصديق البادي، سبق ذكره، ص٩٧.

خافوا من أفلام ستكتب للتاريخ وتخضع الأحداث للتشريح والتقييم بالعيون المجردة بعيداً عن التأثر العاطفي ومهما كان فإن كل جهد بشري لا يخلو من أوجه الخير والشر معاً .

الصحافة العربية ودورها في النقل والمتابعة للأحداث :

السودان بحكم موقعه وتميزه وتعدد لهجاته وتنوع قبائله يشكل نسجياً مزيداً في التعايش السلمي المستمد من سماحة الإسلام ومن الأعراف والتقاليد التي تحكم البلاد... وبحكم تربعه الإستراتيجي فقد قام حلقة للوصل ما بين العروبة والزنجية فغدا بذلك قنطرة لإنسياب المؤثرات الحضارية والثقافية وبوتقة للإشعاع إلى مجاهل القارة الإفريقية. فهذا البلد الأمين الذي قدر له أن يشغل العالم في أخريات القرن التاسع عشر بثورة الإمام المهدي وقيام الدولة الإسلامية هو ذاته الذي حمل لواء الديموقراطية والحرية به، أبناء وحفدة الإمام الأكبر، وقد توارثوا حق في الدفاع عنه الحرية لإنسانة كابر عن كابر، وهذا لا يعني أن الوطن إقطاعية يتحكمون فيها ولكنهم يمثلون تاريخه وسداً منيعاً للتصدي لكل الملمات والأحداث التي تحاول المساس أو الانتهاك لحرماته أو تلك التي تحاول بيعه بثمن بخس، تمشياً مع الموجة الاشتراكية التي كانت سائدة والقومية العربية التي كانت رائدة والتي وقف حماة الديمقراطية لانتشال الوطن العربي من نكسته المريرة فكانت خرطوم اللاءات الثلاثة بذات الشخصيات الوطنية التي أضحت فيما بعد بحكم القوى اليسارية أنهم من الرجعية وقواماً للإمبرالية الغربية.

لقد مرت البلاد قبل انقلاب مايو بمرحلة هامة وحاسمة اجتمعت فيها أحزاب البلاد على أن استقامة الأوضاع لا تتم إلا بالإسلام كمنح حياة يكتمل بإقامة الدولة على أسسه وهو رأي الأغلبية في البلاد وهو ما اتفق عليه بين كافة الكيانات للفجر الجديد فكان الحوار نحو الدستور ونوع رئاسة الدولة وقد تكاتف الجميع أقباط ومسلمين على طبيعة الدستور بموافقة كافة توجهات المجتمع ماعدا الحزب الشيوعي... في ذات الوقت فقد كانت تدور مناقشات وحوارات فقد أصدرت الأحزاب بياناً في مايو ١٩٦٩م قالت فيه (أنه تم الاتفاق على أن يكون الدستور الدائم إسلامياً وتكون الجمهورية رئاسية

وأن الرئاسة في مطلع ١٩٧٠م، وهذا ما أكده المحجوب بأن الأحزاب السودانية أصدرت بياناً في ٢٣/ مايو ٦٩ وأعلنت الاتفاق بأن يكون الدستور إسلامياً والجمهورية رئاسية وان الدستور الدائم سيكون جاهزاً في غضون ستة أشهر على أن تجرى الانتخابات في مطلع ١٩٧٠م. كان هذا هو الجو العام للوضع السياسي في البلاء اتفاق واختلاف واتفاق حول الدستور ونوع الحكم... هذا الهدف الذي تحدد شكل الكثير من العلامات أمام الاتجاهات العالمية والعربية... فالعالم بعد مؤتمر الخرطوم ونتائجه وتضامن الأمة العربية وتكاتفها وخروجها من محنتها بالقرارات التي صدرت وبموقع قادة الحكومة السودانية الزعيم الأزهري باسمه وتاريخه والمحجوب بمكانته العالمية وقيادته للأمة العربية في مجلس الأمن... واتفاق قادته الكبار خشي العالم اليساري والقومي العربي أن يظهر المارد الجديد في قلب أفريقيا فينتقل بدستوره وهيبة رجاله قوة الدفع السودانية أياً كان الذي يقودها فإذا كانت ثورة أكتوبر قد هزت العالم وأضحت بوابة لتحرك الشعوب ومنارة يهتدي بها كل من أراد الفجر الجديد لبلاده... فإن فجر الديمقراطية السودانية سيهز عروش أفريقيا وكثير من الدول لذا كان لا بد من الحراك المتوقع حدوثه من كوادر وقيادات كشف الشعب حقيقتهم وتوجهاتهم فكان نظام مايو .

الباحثة بهذه المقدمة تتناول بأمانة ما تناولته الصحافة العربية والأجنبية اتجاه الأحداث التي هزت ضمائر العالم وكشفت حقيقة الإدعاءات الكذوبة نحو قادة البلاد وزعمائها.

صحيفة النهار:

فقد تناولت صحيفة النهار اللبنانية المستقلة الأحداث بمنظور الإعلام السوداني دون أن توضح رأيها بصراحة ودون أن توفر صحفياً لينقل الأحداث ويرسم المواقف ويعرضها على القراء شأنها شأن الصحافة العربية جمعاء فقد ذكرت الصحيفة (بأن مقتل الهادي يعني سقوط أهم قلعة معارضة لثورة ٢٥ مايو وكانت هذه القلعة متعصبة في رفضها للنظام الجديد وكانت لا تريد أن تصدق أن الدنيا تتبدل وأن لكل إنسان دور يلعبه ويتصرف فيه، وكان الهادي يعتقد أن أي ثورة لن تنهي دوره وأن أنصاره هم الذين يقررون الموقف بحرابهم وسيوفهم وحناجرهم وأضافت أن عائلة المهدي تحاول أن تختار إماماً جديداً ولكن ذلك لن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه لأن الهادي قلب الموازين، إذ لم يتصرف كإمام بل تصرف كقائد ثورة مضادة فإذا كانت القضية قضية تدين فالشيوعيون يصلون ويصومون ويتمنون أن تسمح لهم الظروف بأداء فريضة الحج، فإذا كانت القضية قضية قوة فالنظام الجديد في السودان قوي ومعه فوق ذلك مصر وليبيا[١].

أخبار اليوم المصرية:

أما إحسان عبد القدوس في فقد علق على الأحداث في صحيفة (أخبار اليوم) دعا إلى وحدة القوى الشعبية في السودان على أساس القضاء على القوى الأجنبية التي تستفيد من الانقسامات، وإقامة نظام للتآلف والتعاون بين الطوائف في السودان، لا على أساس تعدد الشخصيات القومية داخل الوطن الواحد ولكن هذا لا يتطلب قيام كيان ديني مثل كيان طائفة الأنصار وطائفة الختمية.. لأن لا الأنصار ولا الختمية لها شخصية قومية مستقلة ولكنها شياخات دينية يجب أن تذوب في التكوين الشعبي العام.

---

[١] نقلاً عن صحيفة الصحافة، ١٢/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٨٧٤٣.

الثورة العراقية:

أما صحيفة الثورة العراقية فقد كانت بين حركة الهادي المهدي وحركة ٢١ ينـاير في العراق وذكرت أن تحرك الهادي اتخذ شكل التصدي المباشر الـذي ينقـل الصـراع بـين قوى الثورة والقوى المعادية إلى مستوى أكثر حدة وأشارت إلى اسـتعداد العـراق لتقـديم كافة المساعدات لثورة السودان ضد المؤامرات.

الأحرار اللبنانية:

أما مجلة الأحرار اللبنانية والتي تعكس آراء حـزب البعـث العربـي الـذي يحكـم العراق فقد ذكرت أن تمرد الهادي كان جزءً من مخطط اسـتعماري رجعـي يضـرب ثـورة ٢٥ مايو في السودان ونشرت صوراً تجمع بـين الهـادي والملـك فيصـل ملـك السـعودية، وقالت أن مؤامرات الرجعية وصلت حداً لم يعد معه مقبـولاً شـعار عـدم سـفك الـدماء وكان لابد من التحرك لضرب التمرد.

أما مجلة الصياد اللبنانية والتي تعكس اتجاهات دار الصياد التقدمية فقد ذكرت أن خبراء عسكريين غربيين استطاعوا أن يتسللوا إلى الجزيرة أبا بواسطة اللواء بالمعاش أحمـد عبد الله حامد وأن سكان أبا يعملون في خدمة آل المهدي منذ أيام المهـدي الكـبير ابتـداءً من فلاحة الأرض إلى حراسة أفراد آل المهدي من أي اعتداء.

أما مجلة الأسبوع العربي اللبنانية فقد ذكرت (أن الهادي قتله طموحه لرئاسة الجمهوريـة، وقد وقع ضحية مؤامرة استعمارية لإثارة القلاقل والاضـطرابات في السـودان، وتهـدف المؤامرة لتكرر ما حدث في الكنغو ونيجيريا كما تهدف للقضـاء علـى ثـورة مـايو وفـك ارتباط السودان مع كل من مصر وليبيا وأبانـت أن الخطـة بـدأت في أعقـاب ثـورة مـايو مباشرة عندما استطاع الشريف الهندي أن يهرب من السودان عـن طريـق أبـا، وبواسـطة طائرة الهادي الخاصة، ومنذ ذلك الوقت والشريف الهندي يعمـل في الخـارج والمهـدي في الداخل حيث كان الشريف يؤمن من مصادر أجنبية الأسلحة الحديثة وكان الهادي يجمـع الأنصار استعداداً لتنفيذ الخطة.

أما صحيفة الأنوار اللبنانية التقدمية فقد أوضحت أن قتل الهادي يطوى صـفحة من صفحات القرن التاسع عشر فالسنوسية والحميدية والمهدية وغيرها مـن الـدعوات الدينية التي حركت الشعوب في القرن الثامن عشر ثم تحولت إلى حاكمة.. هذه الحركـات لم يعد بإمكانها أن تصمد في وجه التطورات التي حدثت في العـالم ولا أن تقـف في وجـه عجلة التاريخ.

والباحثة بإيرادها لما كتبته الصحافة العربية وهي نماذج موجودة في توقيت واحـد بالصحافة السودانية فإنها تتناول بالتحليل مضمون الرسالة الإعلامية التي عكسـتها هـذه الصحف وتثبت للتاريخ أنها قد طمست الحقائق.

وتناولت المعلومات من الإعلام السـوداني المسـموع والمقـروء وأنهـا لم تتحـرى الدقة حتى في نقلها فلم توضح صحيفة واحد خبراً منقـولاً مـن مراسـلها بـالخرطوم مما يؤكد أن القوى التي تعتبر تقدمية صناعتها نسج قصص الخيال وكتابـة مـا يضـلل الـرأي العام دون تحري الحقيقة، كأنما التاريخ كتـاب طـوي صـفحاته حتـى لا يسـجل مخـازيهم بأكاذيبهم.

فصحيفة النهار تقاضت وتناست في تعليقها أن المهديـة كيـان راسـخ في المجتمـع السوداني بل هم روح هذا المجتمع ونبض حياته وصمام أمانه ضـد الشـيوعية والشـمولية والتاريخ يثبت ذلك، ولم تأت الصحيفة إلا لتؤكد الدور الذي لعبته مصـر وليبيـا في قيـام نظام مايو وهو ما نفاه النظام وأربابه.

وجاءت الصحيفة وأكدت أن مصر وليبيا صمام الأمان.. وهذا يؤكـد أن كاتـب المعلومة في الصحيفة كتب من خياله إضافة إلى معلومات ضئيلة لا تسلط الأضـواء علـى المجازر والأرامل والأطفال الذين سحقتهم الآلة العسكرية المايوية.

أما إحسان عبد القدوس فهو أكثر النـاس إلماماً ومعرفـة بكيـان الأنصـار كقـوة ضـاربة في وادي النيـل وقـد لمـس بنفسـه إبـان زيـارة عبـد الناصـر للسـودان في أواخـر الخمسينات كيف استقبلتهم قوة وعظمة شموخ الأنصار، فكيـف يـذوب كيـان الأنصـار التاريخ والمجاهـدات والفـداءات والوقـوف مـع مصـر، كيـف يتجاهـل صـحفي الـدعم

والمجهودات الدبلوماسية التي قدمها هذا الكيان يوم انتكست يوليو وأنهار جيشها وتفرق في سيناء ولم يجد إلا كيان الأنصار الذي أعاد الثقة بمؤتمر الخرطوم وإنهاء مشكلة اليمن.. فإذا تنكر مثله وأراد أن يساير حركة المجتمع فقلمه قد ظلمه والتاريخ يسجل أن السياسة تسقط الأقلام التي تغمس في محابر الحقد والكراهية.. فالسودان بتعدده العرقي وتنوع ثقافاته هو الذي ناصر المهدي ووقف مع مصر..

أما صحيفة الثورة العراقية فلم تأت بجديد فالمحور واحد والنبع الذي نهلت منه واحد ويكفي أنها أكدت وفقاً للمعلومات التي توفرت لديها من بيانات النظام من تصوير الموقف السعودي مع المهدي وهذا في حد ذاته يؤكد أنها افتقرت إلى المصداقية وأنها صحيفة ناقلة فقط للأحداث المقروءة والمسموعة لتضليل الرأي العام العربي والأجنبي.

أما الأسبوع العربي فقد شبهت الأحداث بما حدث في الكنغو ونيجيريا وأدخلت ليبيا ومصر في تناولها؛ كما أكدت على وجود أسلحة حديثة جاء بها الشريف الهندي. هذه المقتطفات من الصحافة العربية انتقتها الآلة الإعلامية المايوية ووزعتها على الصحف المحلية لتكون بين يدي القارئ.. لتزيد من تضليله بالحقائق.. ومن المؤسف أن الصحافة العربية لم تتناول الموضوع وأسبابه والمحادثات التي دارت والخداع الذي مارسه النظام ولم تتناول الطائرات وأزيزها الذي أرهب الأطفال ولم تكتب حرفاً واحداً عن الضحايا الذين مزقتهم الشظايا والمدافع والدانات.. لم تتناول كيف التحف أهل السودان السماء وناموا على الأرض وافترش بعضهم أرض المقابر لعل ملازمة الأموات خير من خيانة الأحياء.

إن الأقلام العربية التي سودت الصحف لتضليل الرأي العام صمتت عن المجازر التي ارتكبت عن الأحياء الذين دفنوا مع الأموات، لم يهزها الضمير ولكن شيمة أهل اليسار دائماً تنظر إلى كيفي السيطرة على الحكم والعمل على نشر فضائل اليسار الذي رفضه أهل ملة الإسلام.

والباحثة تؤكد أن الصحافة لم تتناول الخطوات الدستورية ولا الوفاق الوطني، ولا استعداد البلاد لدخول مرحلة الانتخابات الرئاسية. لقد كان قرار إبعاد نواب الحزب الشيوعي كارثة بالنسبة للأنظمة اليسارية التي جندت الأقلام وتعاهدت وتكاتفت فكان الانقلاب الذي أطاح بالحرية ووأد الديمقراطية والغريب أن الأقلام التي كتبت معلقة حول الأحداث هي التي تكتب بحرية في بلادها ولكنها أقلام مأجورة في طمس الحقائق على القراء.

لقد استطاع النظام المايوي أن يطوي بسرعة الأحداث وأن يوظف كوادره في برامجه التي كانت بمثابة ذر الرماد عن العيون فانطوت صفحة ولكنها تبقى مع الزمن في سجل التاريخ.. صفحة مأساوية سوداء أطاحت بالمثل والقيم والعادات والتقاليد والموروثات.

دور الصحافة الأجنبية نقل الأحداث وتداعياتها :

والباحثة تستعرض آراء الصحف الأجنبية في تناولها لأحداث الجزيرة أبا وتفتح نوافذ جديدة لمآرب واضحة المعالم من كُتاب وظفوا أقلامهم لخدمة أهدافهم خدمة لمجتمعاتهم ولحكوماتهم.. فالمطامع من قبل الدول شيوعية أو رأسمالية كانت تسعى دوماً للسعي نحو إيقاف عجلة التقدم والنماء والحرية والديمقراطية في بلادنا..

لقد نقلت الصحافة الأجنبية الأحداث من الوكالات ودونتها وسودت بها الصفحات واتخذتها حكومة مايو شهادات أودعتها لدى صحافتنا للنشر دون تعليق.

والباحثة تفتح الآن للتاريخ الآراء الصحفية التي تناولت الأحداث فقد ذكرت صحيفة برلينر زايتونق الألمانية الشرقية والتي تصدر في ألمانيا الديمقراطية فقد علقت على الأحداث على ضوء المقابلة التي جرت بين وولتر البرخت زعيم ألمانيا الديمقراطية وحسان محمد الأمين سفير السودان، حيث له تفاصيل المؤامرة الرجعية في السودان وقد نقل إلى السفير تأييد ألمانيا الديمقراطية لمساندة السودان وتقديم المساعدات الكافية له لمواجهة أي مؤامرات رجعية أو استعمارية، وقال أن قيام علاقات دبلوماسية بين البلدين تسهل من تقديم هذه المساعدات ومن توثيق التعاون بين البلدين.

أزفتيا السوفيتية:

أما صحيفة أزفستيا السوفيتية الناطقة بلسان الحكومة السوفيتية فقد علقت على أحداث السودان في مقال كتبه ديمشنكو تحت عنوان (فشل المؤامرة) استعرض فيها الأحداث وزيارة نميري للنيل الأبيض وقال أن القوى الرجعية تحرشت به غير أن القوى التقدمية في الخرطوم سيرت مظاهرات التأييد واشترك فيها العمال والموظفون، كما ساندت الصحف السودانية الرئيس نميري، وأضافت أن فشل المؤامرة الرجعية يعتبر ضربة للمخططات الاستعمارية وأن إسرائيل تقوم بالاشتراك في هذه المخططات وهي التي تساندها).

صحيفة أيكونويست:

أما الصحافة البريطانية فقد أوردت مجلة (أيكونويست) البريطانية تعليقها على تمرد الهادي تحت عنوان موت مهدي وأشارت له بأنه حفيد المهدي الذي قاد السودانية في معركتهم ضد الإنجليز في نهاية القرن التاسع عشر، وقالت أن الهادي قتل بينما كان يحاول عبور الحدود إلى أثيوبيا.

التايمز اللندنية:

أما صحيفة التايمز اللندنية فقد كتبت تحت عنوان الموت في السودان، حيث ذكرت أن طائفة الأنصار في السودان يبلغ تعدادها قرابة مليونان غير أن جيش الأنصار في حدود أربعمائة ألف ولكن ليس من المؤكد أن تمرد الأنصار تأييد للهادي بل كان عملاً واعياً ثم تناولت تزايد النفوذ السوفيتي والمصري.

الديلي اكسبريس:

أما صحيفة الديلي اكسبريس البريطانية فقد كتبت تحت عنوان (قائد التمرد يموت قتيلاً) حيث أشارت إلى مقتله عند الحدود الأثيوبية وذكرت أن طائفة الأنصار تعدادها ثلاثة مليون نسمة وأن الهادي عارض من البداية حكومة الرئيس نميري وأسس قاعدة له في الجزيرة أبا.

صنداي تلغراف:

وتناولت صحيفة صنداي تلغراف الأحداث بصورة من التهكم حيث ذكرت (المهدي يموت مرة أخرى) تعلم بروك شيبارد الذي كتب في تجربة مضحكة ذاكراً لو كانت وكالات الأنباء قد حملت نبأ مقتل المهدي إلى لندن من قبل وليس عام ١٩٧٠م وكان النبأ قوبل بالابتهاج لما ألحقه المهدي الأول من هزائم ضد الإنجليز في ذلك الوقت، ولكانت الصحف البريطانية قد أصدرت ملاحقاً خاصة تنقل موت المهدي للقراء، ولكانت دوائر الحكومة قد شربت أنخاب الفرح، ولكانت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا في ذلك الوقت قد (قلبت هوبا) من الفرح رغم كبر سنها، فقد كان المهدي الأول في تلك الأيام مسيح السودان الجبار، فقد هزم بريطانيا التي كانت أقوى دولة في العالم هزمها بمائة ألف رجل وكل رجل يحمل حربه وحماس ديني عنيف وأصبح ابن نجار المراكب أول زعيم وطني في العالم يهزم الإمبراطورية البريطانية ثم تناولت الصحيفة الهادي وذكرت أنه حفيد الأول وأن مقتله لم يثر اهتمام الصحف البريطانية، كأن يحدث لو أن جده هو الذي هرب وقالت الأول كان المهدي العظيم والهادي كان المهدي الصغير وأن المهدي الأول قاد ثورة الحكم التركي في حرب مقدسة، وأن الثاني ثار ضد الأوضاع في بلاده.

تايمز الأمريكية:

كما تناولت الصحف الأمريكية الأحداث حسب ما أوردته صحيفتا الصحافة والرأي العام فقد أبانت نيويورك تايمز الأمريكية الأحداث تحت عنوان القوات السودانية تقتل قائد التمرد وقالت أنه قتل على الحدود الأثيوبية.

والباحثة بإيرادها لما كتبته الصحف الأجنبية وفقاً لمعطيات الإعلام السوداني وتعليمات اليسار بنشرة تتناول بالتحليل ما جاءت به هذه الصحف، فكيف كانت علاقة السودان بالمعسكر الشرقي وما سر الاهتمام بالسودان، أفاد محمد أحمد محجوب[1] بأنه قبل عشرة أيام من انقلاب مايو استدعى السفير السوفيتي في الخرطوم وطلب إليه بعض

---

[1] محمد أحمد محجوب، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

الأجهزة المتطورة المخصصة للدفاع ضد الطائرات فوافق على الطلب فوراً ولكنه أبان بأن هذه الأجهزة تحت أمرة جنرال سوفيتي فأجاب المحجوب بالموافقة، وفجأة قال السفير لماذا لا تعترفون بجمهورية ألمانيا الديمقراطية وتقيمون علاقات دبلوماسية معها لقد فعل العراق وكمبوديا وكان رد المحجوب هذا هو السودان سياستنا نابعة من تقاليدنا الوطنية ومصالحنا وكان الانقلاب.

والباحثة تواصل في وضع النقاط فالنظام المايوي كان دكتاتورياً فقد علق الدستور وحل المجلس التأسيسي وكمم الأفواه وجعل الصحافة بوقاً يسود مداد كتابها صفحات الصحف تبجيلاً وتشهيراً.

فإذا كانت الصحافة السوفيتية والألمانية قد تناولا الحدث فإن ما رفضه الحكم الديمقراطي الذي أطيح به ليحفظ حق البلاد في التوازن ما بين المعسكرين الشرقي والغربي قام النظام بالاعتراف بألمانيا الشرقية وأوضح أن الثورة لم تنجح لولا الشيوعيين السودانيين وكانت بداية الخلاف مع نميري الذي نفى أن تكون حكومته شيوعية.. وهذا يؤكد الدور الذي قامت به دول المعسكر الشرقي التابعة للاتحاد السوفيتي بتأييدها المطلق لثورة مايو لأنها تمثل انتقال اليسار إلى قلب أفريقيا وفتح معابر جديدة لتغيير هوية الشعوب ونهب خيراتها.

أما الصحافة البريطانية مجتمعة فأنها قد تعاملت مع الحديث بالتاريخ الذي أطاح بقوتها عند مواجهتها للأنصار في الموقع المشهور وأن مرارات الماضي لم تزل في حلوقهم جيلاً بعد جيل، فهم يعرفون جيداً قوة الأنصار وعزيمتهم وإيمانهم المطلق وشجاعتهم فهم يعترفون بأن أول هزيمة تلقوها كانت على أيدي الأنصار وقائدهم ابن نجار المراكب الذي هزمهم.. وحتى كتابات أنطوني مان مؤلف كتاب (حيث ضحك القدر) الذي نشره عام ١٩٥٤م وصاحب المقالات ذات الصبغة العدائية فقد تناول الأحداث بالسماع ولم يعلق عليها بما كان يتوقعه نظام مايو الذي أدانه.

مما تقدم فإن الباحثة وهي تتناول موقف الصحافة الأجنبية توضح أن الصحف مجتمعة لم تسرد الأحداث أو تتناول الوقائع أو تنشر حتى بالصور ماذا حدث حتى تملك القارئ الحقيقة مكتملة.

إن الصحف مجتمعة تناولت الأحداث وفقاً لموقفها من النظام وجميعها مؤيدة ومناصرة لم تتكرم بنشر صور الأطفال والنساء والرجال لم تكتب عن المجازر التي ارتكبها النظام والتي تقع تحت دائرة القانون الدولي كجرائم حرب.. لم تتحدث عن العون الأجنبي وعن الطائرات والدانات والأحياء الذين قبروا.. بل أن كل اهتمامها جاء وفقاً لما تلقته من آلة الإعلام اليسارية التي نجحت في حجب المعلومات، ورسمت خيوط العنكبوت حول أوهام الصراع والبطولات.

إن أحداث ود نوباوي والجزيرة أبا لو وجدت أفلاماً تكتب الحقيقة لأذهلت المجتمع العربي والأجنبي صور النضال والتضحيات وكيف أعاد التاريخ صور الجهاد بالسيف، تحدوا المدفع لترتفع راية الحق ولتعلو كلمة الله وليعيش الإنسان حراً وللتاريخ عيون لا تغمض وأقلام تكتب ومعلومات تصحح ومسئولية أجيال ترصد وتعيد كتابة التاريخ بأقلام سودانية.

والباحثة وهي تختم هذا الفصل تتناول بالتحليل ما تناوله محمد حسنين هيكل الكاتب المصري المعروف عبر برنامجه بقناة الجزيرة حول أحداث الجزيرة أبا ومقتل الإمام الهادي، لتضع في خاتمة الفصل الحقائق التي حاول هيكل نسجها من خياله والتي تخالف الواقع والأحداث المرصودة والمثبتة من قبل الحكومة والكتاب والصحافة العربية والأجنبية، ما عدا هيكل الذي يحاول أن يطمس معالم التاريخ.

هيكل وموقفه من الأحداث:

محمد حسنين هيكل كاتب وصحفي وسياسي متمرس عاش بين أروقة الحكم سنوات عمره، شاهد وشارك في صناعة كثير من الأحداث السياسية خاصة في فترة الناصرية والقومية العربية، وكانت مقالاته بصحيفة الأهرام تحت باب (بصراحة) تشكل نموذجاً للسياسات التي كان يتبعها عبد الناصر وآراء حكومته في كيفية التعامل مع دول

العالم، وهيكل الكاتب السياسي والوزير الناصري هو أيضاً قد شهد العديد من الاتفاقيات بل ساهم في بعضها ومن ضمنها ميثاق طرابلس الذي جمع بين مصر وليبيا والسودان.. وهو أيضاً شاهد عصر على الأحداث التاريخية ويملك قلماً كيف يحمل الحدث ويعيد صياغته بما يخدم أهداف النظام الناصري.

هيكل يعرف موقف السودان ودعمه المستمر للحكومة المصرية ويعرف كيف حفظت لمصر وللأمة العربية ماء الوجه الذي أريق على ضفاف القنال يوم اكتسحت إسرائيل ودكت مصر ومطاراتها وممراتها بل وحياة الإنسان المصري.

هيكل يدرك جيداً موقف الأنصار وقوة شكيمتهم وتاريخهم النضالي وقيادتهم السياسية المتوارثة منذ الإمام محمد أحمد المهدي ويعلم أن كيان الأنصار يمثل قوة الدفع الأساسية في مستقبل السياسة السودانية وهيكل بحكم موقعه أدرك من فحوى شخصية الإمام الهادي أنه يمثل الثقل الحقيقي في السياسة السودانية خاصة وأن الساحة السياسية كانت مهيأة لعهد جديد ولدولة وضعت دستورها الذي ارتضته الأحزاب السودانية، وأوضحت نوع الحكم وبدأت تعد العدة ليوم الديمقراطية الأكبر.

هيكل أقرب المقربين من ناصر أدرك قوة السودان منذ أن احترمته الدول وخاصة السعودية التي أوقفت نزيف الدماء بوساطة سودانية قادها المحجوب.. ويدرك معنى وفحوى الرسالة التي أرسلها الإمام الهادي إلى جمال عبد الناصر[(١)]. والتي حملت الرؤى السودانية حول الأحداث ومستقبل العلاقة بين البلدين. وهيكل الذي استطاع أن يغير ويغسل التاريخ المصري ويحول الهزيمة إلى نكسة التي عمل على ترسيخها النظام المصري باستخدامه لآلة إعلامية متقدمة بلع طعمها إعلامنا العربي ودونها التاريخ في سجلاته.. وفي السنوات الأخيرة أراد هيكل أن يكون مثار نقاش بين عامة أبناء الشعب العربي وذلك عبر برنامجه بقناة الجزيرة (ساعة مع هيكل تجربة حياة) عند تناوله الأحداث في ٢٤ يونيو ٢٠١٠م الدور المهدي في أحداث الجزيرة أبا.. حاول سرد معلومات هي في

[(١)] راجع فصل الجزيرة أبا.

الأساس معلومات لا تمت إلى الحقيقة، فلو تناول الأحداث منذ بـدايتها واللقـاءات الـتي تمت والاتفاق ما بين الإمام الهادي والحكومة.. لو كتب عـن الجزيـرة أرضـاً وسـكاناً ثـم تناول الأحداث وفقاً لمعطيات ذاك الزمان لو عكس في حلقتـه دور الأحـزاب السـودانية والتحاقها بالإمام في الجزيرة أبا موطن المجاهـدين وأرض الأنصـار وكلمـة المهـدي الأول والحفيد لأدرك أن كيان الأنصار وحدة لا تتجزأ.. ولو قرأ هيكـل تـاريخ الإمـام المهـدي لعرف لماذا تحسر الإمام على مقتل غردون الذي يريد أن يفدي به الـزعيم عرابـي.. ولـو قرأ هيكل تاريخنا الحديث والمعاصر لما تجاهل الحفاوة وحرارة الاستقبال عندما زار مصـر عام ١٩٦٨م واستقبله شيخ الأزهر وطلاب الجاليات الإسلامية الـذين خرجـوا ووقفـوا أمام فسحة الأزهر مرحبين بالحفيد.. بالإمام الأمر الذي أثار دهشـة عبـد الناصـر الـذي كان يرافقه وقد كانت نظرته للإمام وقتها تتم على أن القيادة الإسلامية متمكنة في نفوس المجتمعات الإسلامية.. ولو قرأ هيكل كلمة الإمام الهادي التي خاطـب بهـا سـكان وادي النيل أجمعين لأدرك أن التاريخ لا يرحم الذين يحاولون تزييفه.

ولأهمية الرسالة[1] ثانياً توردها في سياق التناول للرد على هيكل لتعكس حجم الروابط بين الشعبين ولتؤكد أن حقائق التاريخ هي الباقية ولأهميتها مـن زاويـة التوثيـق تثبتها لفائدة البحث. (لقد جئنا لمصر أنـا وصـبحي مـن خـيرة رجـال الأنصـار وأعضـاء حزب الأمة ومنهم وزراء الأنصار وأعضاء حزب الأمة ومنهم وزراء ونـواب في البرلمـان كما فيهم قادة شعبيون لهم مكان مرموق بين مواطنيهم، جئنا لمصر زائرين وبقصـد تفقـد أخواننا العرب والوقـوف علـى حقيقـة أمـرهم ولمبـادلتهم الآراء والمشـاعر ومشـاركتهم الآمال والآلام والتفكير والعمل الموحد لإزالة آثـار العـدوان واسـترداد الحـق والكرامـة العربية ورسم خط سير جديد لإحراز النصر وبناء أمجـاد جديـدة تكـون امتـداداً لتـاريخ العرب ومآثر الإسلام وتأكيـد أن المسـلمين في هـذه الأرض العربيـة هـم مـن خـير أمـة أخرجت للناس كما وصفهم القرآن عند بداية الرسالة المحمديـة العظيمـة الـتي أخرجـت

[1] خطاب الإمام الهادي المهدي لشعب وادي النيـل ١٩٦٨م وقـد بثتـه إذاعـة ركـن السـودان، راجـع الملحق.

الإنسانية من حالك الظلمات إلى النور المبين، ولقد سرنا أن نقابل المسئولون والشعب في مصر هذا الاتجاه باتجاه ومشاعر مماثلة بل وبشعور فياض بالأخوة والإخاء والتقدير والطمأنينة والثبات، مما أسعدنا وأزال قلقنا للرئيس جمال عبد الناصر وصحبه تتويجاً مشرفاً مطمئناً لاستطلاعنا كما كان استقبال الشعب الرائع لنا في كل مكان زرناه غاية في الروعة والتجارب وأننا لجد مسرورون لعلو الروح المعنوية في الله ولإصرار الشعب العربي وإصراره وتصميمه على السير قدماً، ومهما كانت التضحيات في سبيل أخذ الثأر واسترداد الحقوق وإحراز المكانة اللائقة به تحت الشمس وهذا ما جئنا لنطمئن إليه كموفق حكيم مبدين استعدادنا في حزب الأمة خاصة والسودان عامة لوضع كل طاقاتنا وقدراتنا في سبيل تعزيزه وتدعيمه مستعدين لكل تضحية وفداء في سبيله، فإننا كنا دائماً وأبداً نقول أن السودان الحر المستقل سيكون الدرع الواقي لمصر والعكس بالعكس، وها هي الآلام تؤكد أننا لم نقل إلا حقاً ولم نردد إلا صدقاً، وانتهر الفرصة وأنا أوشك على العودة أن أشكر الرئيس جمال عبد الناصر على حسن الاستقبال وكريم الوفادة وأن أقدر وأشكر للشعب المصري وفاءه وتقديره ومشاعره الطيبة، وأن أرجو لهم النصر المبين في أقرب حين وأن أؤكد أن الله لن يخزيهم.

هذه الرسالة توضح عمق العلاقات وما يكنه كيان الأنصار لمصر ولكن انحياز حكومة مصر والتخطيط في الانقلاب المايوي ذاك الانقلاب الذي أدى إلى أن يروح ضحيته الأرواح نتيجة القذف المصري وهذا ما حدا بالإمام الهادي بإرسال رسالته الشهيرة لجمال عبد الناصر بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م[١] وهي تصور حقيقة المرارات التي أفرزها التحول المفاجئ إلى ربط مصير وادي النيل بميثاق تباع فيه المثل والقيم والأعراف.

حاول الكاتب المصري هيكل أن يصور أحداث ومواقع وتدخلات الحكومة المصرية من خيال واسع لكاتب يحاول أن يزور التاريخ وأن يطمس المعلومات وأن ينفي

---

[١] راجع الملاحق.

التدخل المصري في الشئون السودانية وحاول أن يكتب لنفسه تاريخاً بمحاولة منعه لناصر من استعمال الأسلحة من طيران ومدفعيات لضرب الجزيرة إضافة إلى نسجه ومن خياله قصة استشهاد الإمام التي حاول أن يلبسها ثوباً يجافي الحقيقة التي أوضحتها أقوال صديق طلحة[١] والمحاكمة التي أجريت فيما بعد.

والباحثة تورد رواية الأحداث لهيكل كما تتناول مسودات تاريخية فمن عاش التجربة وشاهد مرارتها لن تندمل الجراح إلا بإظهار الحقائق التي أخفاها البعض من سجلات التاريخ فالمعلومات التي أوردها هيكل في برنامجه الشهير بقناة الجزيرة مساء الثالث من شهر يونيو ٢٠١٠م والذي تناولته صحيفة الصحافة وكثير من المواقع التي ستتناولها فإن الباحثة تثبت ما ذكرته الصحافة من إعداد خالد سعد والذي ذكر فيه: (إن الكاتب المصري هيكل قدم مرافعة جديدة عن الدور الذي لعبته مصر إبان حقبة عبد الناصر في أحداث الجزيرة أبا مؤكداً أنه ساهم برأيه في أن يلقي قرار للرئيس ناصر بإرسال طائرات عسكرية مصرية لضرب المنطقة، وزعم أن الهادي المهدي قتل مسموماً في كسلا وأن اغتياله جريمة غامضة حيث قدمت له سلة مانجو ملقمة أودت بحياته، وذلك بعد أن خرج ومعه بعض الأنصار من منطقة الجزيرة على خلفية سريان شائعات بأن الطيران المصري يستعد لضرب المنطقة.

حاول الكاتب أن يجعل نفسه بطلاً للأحداث عندما أظهر على الشاشة مسودات تاريخية لمكاتبات جرت بين ناصر وسامي شرف أحد مؤسسي المخابرات المصرية وسكرتير عبد الناصر الشخصي للمعلومات، وتوضح المكاتبات أن عبد الناصر أبلغ سكرتيره للمعلومات بإيقاف القرار لأن لهيكل وجهة نظر أخرى، مما أدى إلى إلقاء القرار.

وكانت وجهة نظره التي تثبتها الباحثة أنه إذا ضرب الطيران المصري مواطنين سودانيين سيكون هناك دم بين الشعبين المصري والسوداني وسوف يؤدي ذلك إلى

---

[١] صديق طلحة مصدر سبق ذكره، ص ٢١

تطورات خطيرة في علاقة البلدين من وقتها والميزان السوداني جزء من ممرات نهر النيل وجزء دول الحوض السبعة، وأن أي تدخل لمصر يضر بمصالحها فهو يعرف منابع النيل لأنه عمل فيها كمراسل صحفي، وأن هذه الأماكن يستحيل الدخول فيها في ظل وجود مصالح حيوية لمصر وأنه رأى أن لا تدار العلاقة بوسيلة القوة وإنما بالسياسة وذكر هيكل أن عبد الناصر تحدث إليه بالهاتف وأبلغ بقرار وقف إرسال الطيران العسكري المصري إلى السودان، وأنه اقتنع بعدم الإقدام بهذه الضربة وأنه أبلغ سامي شرف بإلقاء القرار وذلك بأن مصر إذا دخلت السودان فيجب أن تدخل سياسياً وليس عسكرياً.

وأشار هيكل إلى أن نميري قبل بالقرار بمنتهى الصعوبة على حد تعبيره ولكن الشائعات كانت تسرى بأن الطائرات المصرية ستضرب الجزيرة، ولذا رأت قيادات الأنصار أن يخرج الهادي ليس له فيها نفوذ أو يمكن التعرف عليه وأنهم اختاروا الخروج إلى الشرق وأن الإمام اتجه نحو كسلا وأنه واجه ومن معه (جريمة غامضة) إذ تناول سلة فاكهة كان فيها مانجو سودانية ملغمة وقتل.. وتابع أظنه لم يعثر على قاتل الإمام الهادي.

وفي رواية هيكل وأحداث الجزيرة أبا والتي تناولها د. أحمد خير[1] من واشنطن في موقعه الإلكتروني بتاريخ ٧ يونيو ٢٠١٠م أن هيكل ركز في برنامجه بقناة الجزيرة وهو يسرد أحداث الجزيرة أبان الكاتب بأن الإمام الهادي تحصن بين أنصاره الذين ما هابوا صلف وعنجهية الحكم القادم إلى الخرطوم على ظهر دبابة فأعلنوا المقاومة مما أدخل الرعب في قلوب الذين اغتصبوا السلطة من حكومة قومية منتخبة ومعها لم يجد النميري مخرجاً من الوضع الذي حشر نفسه فيه إلا أن يطلب النجدة من عبد الناصر.

أوضح هيكل بأن الطيران المصري لم يتدخل بالرغم من الخطة التي وضعت للتنفيذ وأوفد للسودان لتنفيذها من القيادة العسكرية محمد حسني مبارك ومن القيادة السياسية محمد أنور السادات وكانت الخطة كما أوضح هيكل أن تقوم الطائرات المصرية بدك معقل الأنصار في الجزيرة أبا مع الساعات الأولى لفجر اليوم التالي وذلك بالتنسيق

---

[1] Ahmed Khair (alkhair@yahoo.com).

مع مجلس قيادة الثورة وبالتنسيق مع قائد الثورة الليبية الوليدة في ذلك الوقت العقيد معمر القذافي.

لقد ذكر هيكل بأن الرئيس استدعاه قبل ساعة الصفر لضرب الجزيرة أبا وقدم رأيه لناصر الذي اتصل بالقيادة العسكرية بالسودان والتي أنيط لها مهمة تنفيذ المهمة بإيقاف التنفيذ وبالفعل كما قال هيكل بأن الطائرات الحربية المصرية لم تستخدم ويتساءل الكاتب طائرات من تلك التي قامت بالمهمة. أما عن مقتل الإمام الهادي فقد ذكر الكاتب على ما ذكره هيكل بأن الإمام قتل نتيجة مانجو مسمومة كانت قد قدمت له. أما رباح الصادق فقد أوضحت في صفحتها الرئيسة منبر الرأي بتاريخ ٢٤ يونيو ٢٠١٠م عن دور الطيران المصري وأحداث الجزيرة أبا وتحت عنوان (شطحات هيكلية) حيث أوضح هيكل في برنامجه أن مصر لم تشترك في قصف الجزيرة برغم إرسالها نائب الرئيس وقادة من سلاح الطيران وقد غدا ذلك للنصيحة التي قدمها لناصر وحجته أن اشتراك مصر في القصف ضد الشعب في تلك المناطق الحساسة من حوض النيل سيخلق مرارة. ومهما حاول أن ينفي التدخل المصري فإن الكاتبة تثبت أن اشتراك الطيران المصري معلوماً بالضرورة فقد ذكر محمد أحمد محجوب آخر رئيس وزراء قبل مايو في كتابه الديمقراطية في الميزان وهو يتحدث عما قام به نظام مايو أول أمره (في ٢٧ مارس أمر طائرات الميج بضرب وقصف الجزيرة أبا بالصواريخ وفي ذاك الوقت لم يكن السودان يملك طائرات ميج ولا طيارين يستطيعون قيادتها مما أقنع الكثيرون بأن القصف جرى بطائرات مصرية وطيارين مصريين وبيان وزارة الخارجية الليبية يؤكد هذا.

وتناولت الكاتبة الطريقة التي تناول بها هيكل ناسباً لنفسه تلك البطولات وذاكراً منطق عدم المشاركة في القصف بالحساسيات في مناطق حوض النيل ثم ما تلاه من كذب مفضوح حول مقتل الإمام الشهيد.

وتناولت الكاتبة[1] ميثاق طرابلس الذي وقع بين مصر وليبيا والسودان عام ١٩٦٩م والذي نص على الدفاع المشترك بين تلك الدول الثلاث في حالة التعرض لغزو أجنبي أو لخطر داخلي مما يوحي بأن الإحجام عن القصف لو تم فسيبني على حساب الجدوى العسكرية فقط وليس خطر مناصرة النظام ضد قطاع شعبي هو في النهاية (خطر داخلي) ولا شك أن الجزيرة لم ترق كخطر داهم فهي منطقة يسهل عزلها وحصارها ولم تتهيأ لها سبل الاستعداد العسكري الذي يقيم أنفاس الدول ورغم ذلك فقد دكت بطيران ومدفعية ثقيلة. واختتمت الكاتبة بقولها أن أكبر ما تثيره مجازر أبا ليس المواقف الرسمية وأعمالهم التي جاءت ضمن خطة قهرية جربتها المنطقة من شرقيها لغربيها ومن سافلها لصعيدها ولكن ظلم التاريخ، الظلم البائن الذي تراه حينما تحيل النظر بين الوثائق التي خلفتها الأحداث.

إن وثائق أبا المخلفة لم تكتف بدفن الآلاف ودك ديارهم، بل بتشويه صورتهم فالصحف اندرجت في مواويل الغثاء المشروخ، تحول الصحبة لجلاد، والشهيد لبغي، وتحول النبل لخيانة، والخيانة لبطولة، والبسالة لخور..

وعن مقتل الإمام بمانجو سوداني تساءلت من قال لهيكل أن مصر اتهمت أصلاً بقتل الإمام الهادي ومن قال لهيكل أن الإمام مات بمانجو مسمومة ومن قال له أن قضية الإمام الهادي لا زالت مجهولة لأنها اتخمت للجرائم الغامضة في التاريخ[2].

أما صديق محيسي الكاتب الصحفي المعروف فقد كتب في ٢٢ يونيو وتحت عنوان هيكل يستمر في كذبه عن السودان فقد كتب (أقرأ هذه الأيام في كتاب الصحف والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل (مبارك وزمان من المنصة إلى الميدان) والذي تنشره صحيفة الشروق المصرية حيث أفاد (اعتاد الكاتب دائماً في منطلق نرجسية شديدة وفي بعض الأوقات متمكنة منه أن يحولها إلى حقائق مسلم بها منها ما كتبه عن موت الإمام الهادي

---

[1] ralsadig@hotmail.com) copy right ٢٠١٢ www.sudanile.com Rahab Alsadig All rights(

[2] راجع الملحق نص المقال.

التي استخدم فيها خياله الصحفي وإظهار أنه رجل الأسرار الغامضة التي لا يفك ألغازها إلا هو، فقد أعاد الرجل عناداً الرواية نفسها التي تزعم فيها أن الإمام الهادي مات مسموماً بعد تناوله كمية من المانجو، وقد ذكر أن الإمام في طريقه إلى كسلا قاصداً أثيوبيا قدمت له سلة مانجو مسمومة وقد ترك الرواية معلقة دون إضافة.

أما محمد الرميحي[1] فقد تناول ما ذكره هيكل عن مقتل الإمام الهادي فقد ذكر بأن الإمام قتل بسلة لفاكهة المانجو المسمومة وكان خلف السلة اللواء حسني مبارك وتلك قصة فيها أقوال الأولى منها أن السادات ومبارك ذهبا إلى السودان بالأمر من جمال وأحداث أبا في ١٩٧٠م وبعدها توفى ناصر والمنطق يقول لو صح القتل بالتفجير لعلمت بذلك القيادة المصرية العليا ولكن الإمام كما هو معروف قتل بعد اشتباك على الحدود.

والباحثة وهي تورد هذه الإفادات تعليقاً على إدعاءات محمد حسنين هيكل تؤكد وهي الأقرب إلى الحدث مشاهدة ومتابعة وملاحقة للأحداث أن مصر لعبت دوراً رئيساً في قتل وسحل وإصابة مجتمع الجزيرة أبا بل أن الطائرات قد دكت الجزيرة دكاً وهي شاهدة عيان لصراخ الأطفال وأشلاء الشهداء.

إن قتلى الجزيرة قتلوا بقاذفات اللهب والضرب من خلال الدبابات والبرينات والمدافع الرشاشة ميدانياً ثم الضرب من الطائرات الميج من الجو. وهو ما أكده محمد أحمد محجوب[2]، آخر رئيس وزراء قبل مايو ١٩٦٩م وهو يتحدث عما قام به نظام مايو إذ أفاد: (أن طائرات الميج قامت بقصف الجزيرة بالصواريخ في الوقت الذي لم يكن يملك السودان طائرات ميج ولا طيارين فالقصف حربي بطائرات مصرية وطيارين مصريين).

إضافة إلى ميثاق طرابلس الذي أشرنا إليه والمحور الشرقي الذي أضحى علامة بارزة في السياسة.

والباحثة وقد أوردت في سياق البحث العديد من المعلومات التي تؤكد التدخل الأجنبي في ضرب الجزيرة أبا، ولأن التاريخ احتفظ بهذه المعلومات التي أشرنا إليها

---

(١) محمد الرميحي، كاتب صحيفة الشرق الأوسط، ١٠ مارس ٢٠١٢م، العدد ١٢١٥٦.

(٢) محمد أحمد محجوب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٥

وتناولها الكثير من الكُتاب بحثاً وتعقيباً. فإن الباحثة تتجاوز هذا الموضوع إلى مقتل الشهيد الإمام الهادي الذي أدعى هيكل أنه مات مسموماً بمانجو وأن المخابرات السودانية أو المصرية لعبت دوراً في ذلك.

إن هيكل لا يعرف طبيعة الأراضي السودانية ولا مناطق تواجد كيان الأنصار الذي يغطي معظمها ولم يدرس في خريطته الذهنية كيفية الاستعداد والتحسب لما هو متوقع أن يقوم به النظام المايوي.. لم يعرف الطرق ولا المنحنيات ولا الأودية والغابات ولم يتناول بالتفصيل أسباب الرفض الذي قاده الإمام الشهيد ورفاق دربه من قادة الأحزاب.. وأن هيكل لم يدرس إلا ما يحترم نظامه ولعله تدارس سراً قوة رسالة الإمام لعبد الناصر بعد حرارة الاستقبال التي قوبل بها عند زيارته لمصر. هيكل لم يقرأ ما كتبته الصحافة الأجنبية والعربية وما تناولته وكالات الأنباء لم يطلع على وثائق المحاكمات التي جرت للمعتقلين، ولم يقرأ فصول كتاب مذكرات ضابط شرطة (حقيقة مقتل الإمام) للعقيد مختار طلحة رحمة في طبعته الأولى، هيكل لم يقرأ ما أورده دكتور الصادق الهادي في كتابه مجزرة الجزيرة أبا الهجرة وأحداث الكرمك عام ١٩٧٠م، ولم يطلع على ما أوردته الشبكة العنكبوتية في تناولها لأحداث الجزيرة أبا.. لم يستمع لأقوال مهدي إبراهيم ولا الكاروري ولا شهود العيان، بل حاول أن يوظف قلمه لتبرئة نظام ناصر وغسل يديه من كل الجريمة فلو تناول الموضوع من زاوية الوقائع والتوثيق والتحقيق لما حاول تزييف الحقائق فما كتبه فيه ظن واعتقاد، وعدم معرفة ومحاولة تبرئة ساحة مصر من الأحداث ورسم صورة لشخصه فيها كثير من النرجسية، وبطولة زائفة في حق رجل كان المفروض أن يهتم بالوثائق لا أن يوظف قلمه بالأكاذيب فالنظام المصري أكد وساند وشارك وبعث بمخابراته للمتابعة وتم الغزو ودكت الجزيرة بأحدث الأسلحة وبالطيران وتفاخر حسني مبارك في تصريحات بمجلة المصور عام ١٩٧٠م أنه دمر آخر معقل للأنصار في السودان ولن يعلو لهم صوت بعد اليوم. وهذا يؤكد حقد النظام الناصري بعد الزيارة التاريخية للإمام لمصر، والتي جعلت عبد الناصر يتحسب لهذه القوى المؤمنة الضاربة في أعماق التاريخ السوداني لو تولت حكم السودان..

والباحثة ترى أن الاشتراكية العلمية التي تجمع النظامين المصري والمايوي هي التي نفذت المجزرة التي قدر ضحاياها حسب ما أورده المحجوب[1] بثمانية وعشرين ألفاً والحقائق أكدت أن عدد القتلى تجاوز ستة وثلاثون ألفاً، أما عن سلة المانجو الملغومة التي أتخذها هيكل أحد وثائقه التي تقوم على الظن وعدم الدقة فقد أبان بأن الإمام الهادي قدمت له سلة فاكهة واعتقد أنها مانجو، وكانت ملغمة وقتل وأظن حتى هذه اللحظة لم يعرف من قاتله. وكلماته (اعتقد، أظن، لم يعرف) جميعها تنفي توفر معلومات دقيقة لديه، وبالتالي لا يمكن أن يفيد هذا دليلاً لأنه يفتقد إلى المصداقية فلا يمكن تشييد رواية تاريخية متعلقة بحادثة قتل لقائد كالإمام الهادي بالتهويم وهي ليس تحليلاً سياسياً ولكن التوثيق يحتاج إلى عناصره، وعناصره الصدق والثبات عليه بل أن من أهم صفات المؤرخ الأمانة والدقة، وعدم بيع الرسالة لحكومة أو لمجتمع لأن أحداث التاريخ لا تباع، لقد اختلطت الأحداث في ذهن الكاتب الكبير فالذي قدمت له المانجو المسمومة حسب إفادات التاريخ هو الرئيس الباكستاني ضياء الحق الذي اغتيل بمانجو مسمومة أدخلت له في طائرته وذلك لأنه أراد تطبيق الشريعة الإسلامية.

وهنا يكمن التشابه في المضمون فلو قدر لخطوات الدستور وانتخابات رئاسة الجمهورية السودانية أن تكتمل لتحققت الأهداف لأول دولة إسلامية في القرن العشرين.. ومن الملاحق المصاحبة للبحث وقائع مقتل الإمام الشهيد من دفاتر ومضابط المحاكمات..

وللتاريخ وإضافة لسجلاته تورد الباحثة إفادات عمر الحاج موسى وزير الإرشاد والناطق الرسمي باسم الحكومة بتصريح أذيع ونشر وتناولته الصحافة السودانية ونقلته الصحافة الأجنبية حيث ذكر: (أشاد بمساندة وتأييد الأنظمة الثورية والتقدمية وكل قوى الخير في العالم بجانب ثورة السودان وهي تواجه تآمر الاستعمار ومخططاته الرامية إلى القضاء على مكاسب حركة التغيير والثورة واختتم تصريحه أن وجود أنور السادات نائب

---

[1] محمد أحمد محجوب، تجربة الديمقراطية، باللغة الإنجليزية، ٣٢، ٣٣

رئيس الجمهورية العربية المتحدة وعبد السلام جلود نائب رئيس مجلس الثورة في ليبيا وفي هذه اللحظات التاريخية الحاسمة يؤكد التأييد والتلاحم بين قوى الثورة العربية وتجعلنا نواجه تحديات الاستعمار في قوة وصلابة وتماسك).

هيكل والهروب من الإجابة:

إزاء الاتهامات ومحاولات تضليل الرأي العام العربي وفي محاولاته المتكررة في أن ينسج من قضايا الأوطان بطولات تنسب إليه دون توخي الدقة.. أو الإلمام بالوثائق أو دراسة طبيعة البلدان التي يتحدث عنها والقضايا التي يتناولها ونتيجة لما ذكره في برنامجه تجربة حياة الذي تبثه قناة الجزيرة[1]، حول رواية مقتل الإمام الهادي المهدي مسموماً بمانجو ومحاولته تبرئة نظام جمال عبد الناصر عن المجازر التي ارتكبها في أحداث الجزيرة أبا وبالرغم من أن الرسالة قد تناولت هذا الأمر إلا أن الباحثة وفي سبيل توضيح هذه المعلومات ودحضها وتقديم إفادات وشهود عيان على الأحداث فقد أرسلت خطاباً[2] تطلب فيه من القناة إتاحة الفرصة للتعقيب.. إلا أن المكتب بالخرطوم لزم الصمت التام بالرغم من تكرار الاتصال به..

والباحثة ترى أن هيكل يحاول أن يتلاعب بتاريخ الشعوب ويضع لنفسه مكانة في عهد تنكر للسودان ممثلاً في الإمام الهادي الذي لعب دوراً هاماً في سياسة وادي النيل ويكفي موقفه من النكسة التي صنعها عبد الناصر وروج باسمها هيكل لقد أخطأ هيكل وأخطأ مكتب قناة الجزيرة بالخرطوم عندما لزم الصمت والباحثة مع وقائع الأحداث وكتب التاريخ صححت المعلومات بأقلام متعددة ذكرت في مواضعها من البحث.

---

[1] محمد حسنين هيكل، برنامج تجربة حياة بتاريخ ٢/٦/٢٠١٠م.

[2] خطاب نمرة ك/ ١/ هـ/ مكتب الرئيس، راجع الملاحق.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

الآن وبعد أن انتهيت من هذه الدراسة أحمد الله وأشكره أن وفقني لاختيار هذا الموضوع وأعانني على جمع معلوماته والوصول إلى خاتمته، فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى الدور الهام والفعال الذي لعبه الإمام الهادي عبد الرحمن في تاريخنا الحديث والمعاصر نوجزه في النتائج التالية:

- كان للعقيدة دور كبير في حياته وهي عنده تلخيص لميراث الكيان ونهجه والتزام بتحقيق الأهداف المتمثلة في الدفاع عن العقيدة والحفاظ على هوية الوطن وحق المواطن في الحرية وممارسة معتقداته.
- حافظ على تنظيم كيان الأنصار وأعده إعداداً دينياً كوحدة أساسية تضارع أعتا وحدات أنظمة الجيوش.
- اهتمامه بالشباب وإعدادهم إعداداً دينياً للدفاع عن العقيدة وهوية الأمة.
- إنشاء المساجد كمراكز وعي ديني للتخلق بأخلاق القرآن وسماحة الإسلام.
- مساهماته في بناء المساجد والخلاوي ودور العلم والمستشفيات.
- التصاقه بأعمال دائرة المهدي أكسبه الخبرة الإدارية ومكنه من الالتحام بالجماهير.
- تعامله الاجتماعي نابع من تنشئته الدينية والتي أدت إلى تعلق الأنصار به ومحبتهم له والوقوف معه.
- مراعاته للعرف والتقاليد فتحت أمامه الآفاق ومكنته من نسج علاقات اجتماعية مع الجاليات المتعددة مما أدى إلى دخول بعضهم إلى الإسلام نتيجة لأخلاقه وروحه الدينية العالية.
- أثبتت الدراسة أن فترته شهدت تغييراً في الخريطة السياسية السودانية، وقد أدى هذا إلى أن يلعب دوراً هاماً في تصحيح مسارات الحكومات فكانت رسالته للفريق

إبراهيم عبود رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة في انقلاب نوفمبر ١٩٥٨م والتي تؤكد اهتمامه بقيام دستور يرعى سيادة القانون والحريات الأساسية لتحقيق الأهداف الوطنية.

- علاقاته الخارجية أدت إلى تفاعل المجتمع العربي والإسلامي مع قضايا السودان ودعمه في كافة المجالات.

- أبانت الدراسة، قيادته لتوحيد الصف العربي بعد نكسة ١٩٦٧م ووصفه للأسس التي يجب أن يتناول بها العرب قضاياهم وحث الأمة العربية والإسلامية للتكاتف ومطالبته بتوحيد الطاقات والقدرات ونبذ الخلافات لإعادة الثقة إلى أمتنا، وأدى ذلك إلى انعقاد مؤتمر الخرطوم اللاءات الثلاثة.

ـ القضايا الإسلامية العربية، قد كان من صميم إهتماماته وعلى رأسها قضية فلسطين ودعمه لشعبها وإعداده لمائتي ألف من شباب الأنصار لتحرير القدس.

- علاقاته بمصر كانت مميزة التقى بقياداتها السياسية وقابل عبد الناصر وخاطب شعبها بحديث تناول عمق الروابط والصلات.

- نوهت الدراسة إلي مسعاه الحثيث في العمل علي رأب الصدع بالصف العربي وأمته والتي كانت بينها خصومات خاصة مصر والسعودية وتحققت المصالحة بينهما.

- أوضحت موقف جمال عبد الناصر تجاه الإمام الهادي عبد الرحمن وتنكره للمشاعر المفعمة بالاحترام والمودة ونكرانه للدور الذي لعبه الإمام في تحقيق المصالحة العربية وقيام مؤتمر الخرطوم الذي أدى إلى دعمه.

- كشفت دور جمال عبد الناصر وموقفه ومساهماته في الانقلاب العسكري على الشرعية ووأد الديمقراطية، مما عطل قيام الانتخابات وتحقيق قيام الدولة بدستورها الإسلامي.

- أثبتت خطابه لعبد الناصر الذي كان يقود حلفاً عسكرياً ثلاثياً مصرياً ليبياً سودانياً قبل أحداث الجزيرة أبا موضحاً فيه المواقف بين الشعبين، رافضاً إهدار

حرمة الإخاء الإسلامي وتمزيق صلات الجوار معدداً الأخطاء وطرق معالجتها وهي الرسالة التي أدت فيما بعد لموقف ناصر العدائي تجاه الإمام الهادي عبد الرحمن.

- أكدت تواجد المخابرات المصرية بالخرطوم ودعمها للنظام المايوي.
- أكدت تدخل الطيران المصري في حصد أرواح الشهداء بالجزيرة أبا.
- أبانت موقف الصادق المهدي ومحاورته للنظام المايوي واعتقاله.
- كشفت إدعاءات أجهزة مايو بتعرض نميري لمحاولة اغتيال تمثيلية سيئة الإخراج.
- أوضحت موقف القوى السياسية بعد انقلاب مايو حيث اختفت علامات التمايز السياسي وتوحدت الأحزاب تحت قيادة الإمام الهادي ملتفة حول الدفاع عن الشريعة والمبادئ العادلة الأساسية في حماية وتأمين الحريات واستعادة الديمقراطية.
- أكدت الدراسة تواجداً لقيادات الأحزاب السودانية الرئيسة بالجزيرة أبا للوقوف مع الإمام الهادي صوناً للحقوق والحريات والحفاظ على هوية الأمة.
- ركزت على الحوار الذي دار بين الوفد الرسمي الحكومي لمايو بقيادة فاروق حمد الله وزير الداخلية وأبو القاسم محمد إبراهيم وزير الحكومة المحلية وآخرين وتم وضع الحوار كاملاً في متن الرسالة للتاريخ.
- كشفت الأطروحة عن تلك المؤامرة التي قادها العقيد أبو الدهب والرائد عثمان أمين والخاصة باعتقال الإمام الهادي ثم المفاوضات التي دارت بعد ذلك.
- أوضحت معالم المعركة بالجزيرة أبا دور الطيران المصري ومقاومة كيان الأنصار والأحزاب وحددت عدد القتلى من مذكرة للأمم المتحدة وأثبتت ذلك في الملاحق.
- أوضحت موقف جماهير الأنصار بود نوباوي وخروجهم في موكب بعد أن استفزت مشاعرهم الأخبار التي ترامت لمسامعهم عن ما حدث في الجزيرة أبا.. وقد كان الموكب سلمياً يحمل عريضة واعترضته السلطات وعاد إلى المسجد بعد أن طاف ببعض شوارع أم درمان وركزت على أسباب تصفية المتظاهرين وحرقهم والخطوات التي تمت بواسطة الجيش والشرطة.

- تناولت الصورة التي خرج بها الإمام الهادي من الجزيرة أبا وعدد من رافقوه ومكان استشهاده والذين قاموا بهذا الجرم الكبير وأودعت كل الحقائق في متن البحث برواية العقيد مختار طلحة رحمة الشاهد على الحدث ونقلت كل الوقائع.

- تابعت إدعاءات الإعلام السوداني ومحاولته تضليل الرأي العام وأثبتت حقائق التلفيق التي ابتدعها النظام بإدخاله الخمور والملبوسات النسائية، وكشف الحقائق بواسطة من نفذ العملية.. وركزت على إفادات المؤرخ السوداني أبو سليم باعتباره أول من دخل قصر الإمام.

- كشفت دور الأقلام اليسارية في محاولاتها تشويه قادة الأحزاب وتصوير كيان الأنصار بما لا يليق برجال قاوموا وناضلوا طوال تاريخهم الطويل.

- ركزت على نضج أكاذيبهم تجاه مساعدة إسرائيل للإمام الهادي.

- تناولت دور الصحافة العربية وفندت أقوالهم المأخوذة من الإعلام السوداني وركزت على كشف هويتهم اليسارية.

- أبانت الدراسة، موقف الصحافة الأجنبية من الأحداث وكشفت أدوارهم في تضليل الرأي العام من منطلقات مختلفة.

- تناولت حديث هيكل في برنامجه عبر قناة الجزيرة.. وأوضحت كذب إدعاءاته وفندت ما ذكره خاصة حول دور عبد الناصر وكتاباته عن استشهاد الإمام وأودعت نص الرسالة لتصحيح المعلومات التي لزمت الجزيرة الصمت ولم ترد عليها.

- أثبتت ما جاء في الشبكة العنكبوتية حول أكاذيب من حسنين هيكل من قبل شهود العيان وحملة الأقلام وكتاب التاريخ وأودعت ذلك في الملاحق.

- لاحقت الباحثة بدراستها المغلوط من المعلومات التاريخية وعملت علي كشفها وتصحيحها وثائقياً وعبدت بذلك الطريق للباحثين من بعدها لمواصلة البحث والتنقيب عن الحقائق الغائبة لإفادة المكتبة السودانية بمثل هذه الدراسات.

التوصيات

تضع الباحثة في خاتمة البحث التوصيات التالية:

- ضرورة التعرف على القيادات الدينية والسياسية والعسكرية والتركيز على دورها في الحركة السياسية السودانية.
- إلزام الجامعات السودانية بالاهتمام بالدور الذي لعبه الرواد في تاريخنا الحديث والمعاصر وبإصدار كتيبات توضح دورهم وتاريخهم وما قدموه من أجل الوطن.
- ضرورة تصحيح الوقائع التاريخية والمفاهيم الخاطئة والمواقف العدائية التي اتخذتها الحكومات المتعاقبة في حق رواد الحركة الوطنية السودانية.
- دراسة دور الإمام الهادي المهدي والأئمة من قبل ودورهم في الحركة السياسية والاجتماعية والثقافية وإبراز دورهم كأئمة لأكبر كيان ديني حافظ على هوية الوطن.
- تناول دور الإمام الهادي في ترسيخ الإسلام باعتباره دين ودولة وذلك بإصراره في إصدار دستور إسلامي وإبراز دوره في القضايا العربية.
- أهمية الرجوع إلى أضابير التاريخ في الفترة الزمنية المحددة لهذا البحث واستخلاص الحقائق والنتائج ومسبباتها والتي أدت في الوقوف الجاد للأحزاب السياسية وهجرتها للجزيرة أبا ووقوفها مع الإمام الهادي دحراً للشيوعية والعمل على إعادة الديمقراطية.
- العمل على إظهار هذه الحقبة التاريخية المهمة بالبحوث الجادة وإبراز تأثيرها على التاريخ الحديث والمباشر.
- ضرورة متابعة هذه الدراسة واستكمال الدراسات وإبرازها للمجتمع السوداني.
- أن تهتم مكتبات الجامعات بالحصول على الصحافة السودانية في تلك الفترة وإيداعها كوثائق يجب تصحيح ما ورد فيها.
- أن يعاد دراسة تاريخ السودان وفقاً للمعطيات التي قادت إلى قيادته للحركات الإسلامية وإبراز دور السودان الريادي منذ قيام الإمام المهدي بدعوته.



المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **الأحاديث النبوية.**

الوثائق:

- وثائق دار الوثائق القومية (د و ق خ).
- وثائق قسم التراث والتوثيق (ك أ م).

الأوراق الخاصة غير منشورة:

- مجموعة أوراق عبد الله الفاضل.
- مجموعة أوراق أحمد عبد الرحمن المهدي.
- مجموعة أوراق عبد الله عبد الكريم الأنصاري.
- مجموعة أوراق مذكرات الشريف الهندي.

الكتب الوثائقية:

١. إبراهيم باشا فوزي: السودان بن يدي غردون وكتشنر، المؤيد المصرية، القاهرة، مصر، ١٣١٩هـ.

٢. أحمد خير المحامي: كفاح جيل، الدار السودانية للكتب الخرطوم، ط ٢٠٠٢م.

٣. أمين التوم: ذكريات ومواقف في تاريخ الحركة الوطنية السودانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط١، ١٩٨٧م.

٤. الشاطر بصيلي: معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر.

٥. أحمد إبراهيم دياب: موسوعة شخصيات ورموز الحركة الوطنية السودانية، المجلد الأول، يناير ٢٠٠٦م.

٦. الصادق المهدي: جهاد في سبيل الديموقراطية، مطبعة الأمة، بدون تاريخ.

٧. الصادق المهدي: مجزرة الجزيرة أبا، الهجرة وأحداث الكرمك، ١٩٧٠م.

٨. إسماعيل عبد القادر الكردفاني: سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، الدار السودانية للكتب ودار الفكر بيروت.
٩. الإمام أحمد عبد الرحمن المهدي: مذكرة مجلس الإمام حول تجديد البيعة، أم درمان الملازمين، يونيو ٢٠٠٣م.
١٠. الإمام المهدي: راتب الإمام المهدي، شركة دار الحكمة، ١٩٩٧م.
١١. عبد المحمود أبو شامة: من تلسهاي إلى أبا، الخرطوم، ١٩٧٠
١٢. علي المهدي: الأقوال المروية في تاريخ المهدية، ١٩٦٥م.
١٣. محمد أحمد محجوب: الديموقراطية في الميزان، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط١٩٨٩م.
١٤. محمد سعيد القدال: الإمام المهدي، ط بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م.
١٥. محمد فؤاد شكري: مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية، بدون تاريخ.
١٦. محمد عباس: وشل مركز التقانة للدراسات الأمدرمانية، ٢٠١٢م.
١٧. مكي شبيكة: تاريخ شعوب وادي النيل، بدون بيانات نشر.
١٨. محمد إبراهيم أبو سليم: منشورات المهدية (تحقيق)، الخرطوم ١٩٦٩م.
١٩. ـــــــــ : الطائفية في السودان، غير منشور، الخرطوم دار الوثائق المركزية.
٢٠. محجوب عمر باشري: رواد الفكر السوداني، دار الفكر الخرطوم، دار العالم الإسلامي بيروت، ١٩٨١م.
٢١. عادل محمد أحمد شرفي: طائفة الأنصار، ماجستير جامعة الخرطوم، غير منشور.
٢٢. محمد حسن حامد: مذكرة بمناسبة مئوية الإمام عبد الرحمن المهدي.
٢٣. محمود عبد الرحمن: القوات المسلحة وأحداث ود نوباوي، بدون تاريخ.
٢٤. محجوب عثمان: الجيش والسياسة في السودان، دراسة في حركة ١٩ يونيو.
٢٥. محمد عبد العزيز: أحداث الجزيرة أبا، ومقتل الهادي، بدون معلومات نشر.

٢٦. مختار طلحة رحمة: مذكرات ضابط شرطة، حقيقة مقتل الإمام الهادي، ط١، ١٩٩٨م.

٢٧. سليمان كشة: تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، بدون بيانات نشر.

٢٨. سمية عبد الرحمن: الإمام الصديق، سيرة أسرة ومسيرة.. موسوعة الحركة الوطنية في السودان، مركز البحوث والدراسات، جامعة الزعيم الأزهري.

٢٩. سمية سيد: صراع الحكم في السودان، بدون تاريخ.

٣٠. صديق البادي: أحداث الجزيرة أبا ودنوباوي، مارس ١٩٧٠م، رؤى للطباعة.

٣١. يحيي التكينة: الصحافة السودانية ودورها في الحركة الوطنية، ١٩٩١م، رسالة ماجستير غير منشورة.

٣٢. يوسف حسن: الإمام المهدي إمام الدين والدولة من الميلاد إلى الاستشهاد، قسم التراث والتوثيق، كلية الإمام.

المقابلات الشخصية:

قابلت الباحثة كل من:

- محمد إبراهيم أبو سليم، بمكتبه بدار الوثائق بالخرطوم، ١٩٩٤م.
- محمد شريف علي، بكلية الإمام الهادي المهدي، ٢٠١١م.
- محمود إدريس، بكلية الإمام الهادي المهدي، ٢٠١٠م.
- موسى محمد السراج، بكلية الإمام الهادي المهدي، ٢٠١٠م.
- نصر الدين الهادي المهدي، بمنزل الأسرة بأم درمان، ٢٠١١م.
- الصادق الهادي المهدي، بمنزل الأسرة بأم درمان، ٢٠١١م.
- يحي التكينة، بمنزل الأسرة بأم درمان، ٢٠١٠م.
- يوسف حسن، بكلية الإمام الهادي المهدي، ٢٠١٠م.

الصحافة:

- صحيفة الرأي العام ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م العدد ٧٨٢٦.
- صحيفة الرأي العام ٣١/ ٣/ ١٩٧٠م العدد ٧٨٢٦.
- صحيفة الرأي العام ٣ أبريل١٩٧٠م العدد ٨٧٢٩.
- صحيفة الرأي العام ٨ أبريل١٩٧٠م العدد ٨٧٣١.
- صحيفة الرأي العام ١٠ أبريل ١٩٧٠م العدد ٨٧٣٨.
- صحيفة الصحافة ٢٩/ ٣/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧١.
- صحيفة الصحافة ٣٠/ ٣/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧٢.
- صحيفة الصحافة ١/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٨٧٨٣.
- صحيفة الصحافة ٦/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٧٨.
- صحيفة الصحافة ٢٢/ ٤/ ١٩٧٠م، العدد ٢١٩٢.
- محمود الرميحي ١٠ مارس ٢٠١٢م العدد ١٢١٥٦.
- النهار اللبنانية عن الصحافة السودانية ١٢/ ٤/ ١٩٧٠م.

الكتب التي تناولت الموضوع:

- الأحرار اللبنانية.
- الأسبوع العربي.
- الأنوار اللبنانية.
- الثورة العراقية.

صحافة أجنبية من ذات المصادر:

- صحيفة بلينر زايتونف، ألمانيا الديمقراطية.
- أيكونست البريطانية.
- التايمز اللندنية.
- الديلي اكسبريس.
- صنداي تلغراف.
- تايمز الأمريكية.

- هيكل قناة الجزيرة.

الشبكة العنكبوتية (Internet):

- منبر الرأي، رماح الصادق، حول دور الطيران المصري، سودانايل الصحفة الرئيسية ٢٤/٦/٢٠١٠م.
- مهدي إبراهيم، روي أحداث أبا، مارس ١٩٧٠م، مراجعات.
- محمد الرميحي، الشرق الأوسط.
- أحمد خير، هيكل وأحداث الجزيرة أبا، من واشنطن.

فهرس الموضوعات

المحتـــويات	الصفحة

المحتـــويات	الصفحة